مكتبة دير السيدة العذراء
(السريان)

الراهب الروحاني

القمص مكاريوس السرياني

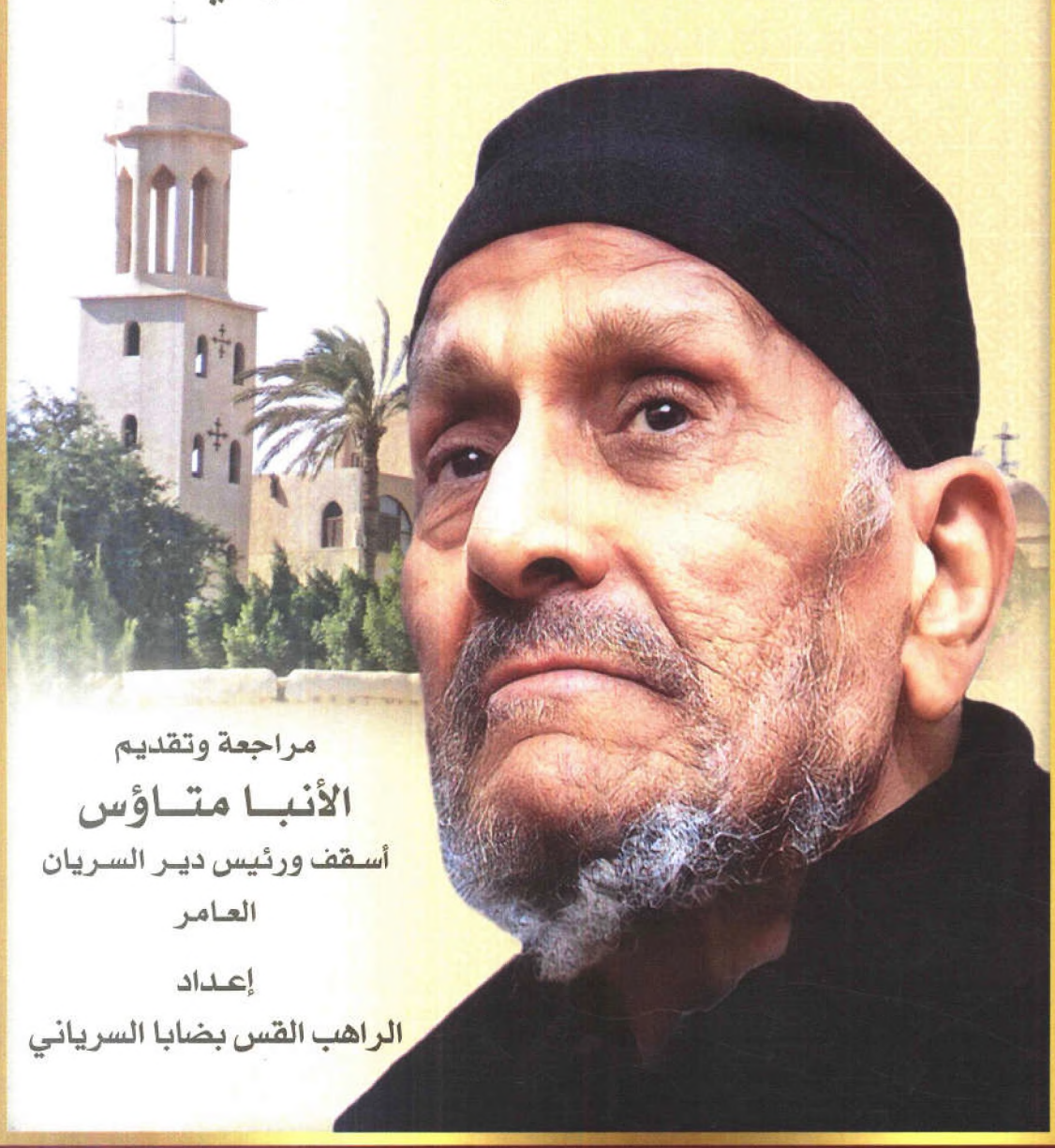

مراجعة وتقديم
الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

إعداد
الراهب القس بضابا السرياني

✣

مكتبة دير السيدة العذراء
(السريان)

الراهب الروحاني

القمص مكاريوس السرياني

مراجعة وتقديم
الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

إعداد
الراهب القس
بضابا السرياني

اســـم الكتـــاب : الراهب الروحاني
أبونا مكاريوس السرياني
إعـــــــــداد : الراهب القس بضابا السرياني
الناشـــــــــر : دير السيدة العذراء مريم (السريان)
الطبعـــــــــة : الأولى ـ أغسطس ٢٠٢٣م
المطبعـــــــــة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط
موبايل: ٢ / ٠١٢. ٥٥٥٠٤٤١ & تليفاكس: ٠٣ ٤٥٩٦٤٥٢
رقـــم الإيـــداع : ١٤٢٦٦ / ٢٠٢٣

صاحب الغبطة والقداسة

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

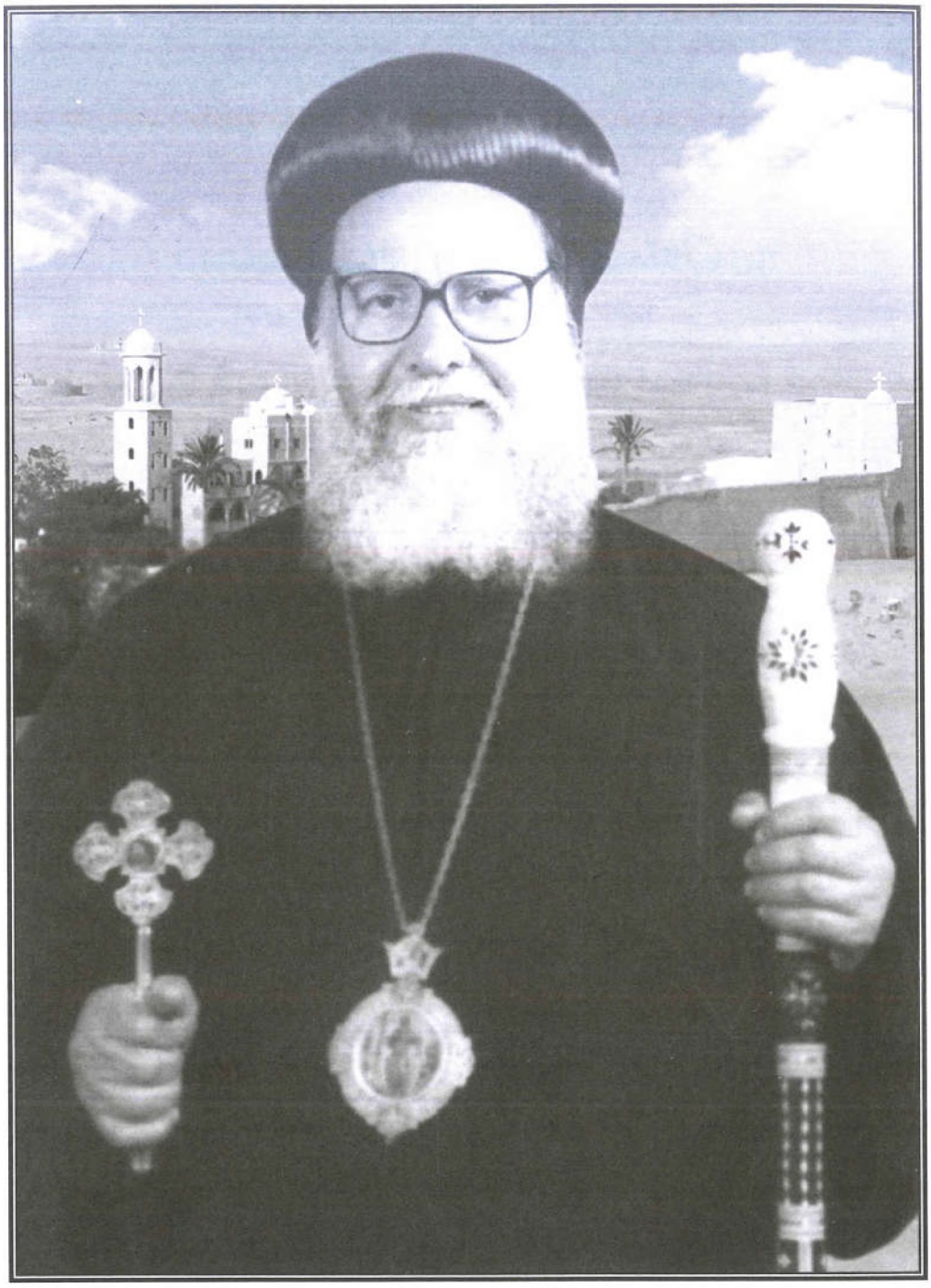

نيافة الحبر الجليل

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان) العامر

بِاسـم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد . آمين

تقديم

الراهب القمص مكاريوس السرياني (الطوباوي)

كان عموداً من أعمدة دير السريان، قضى في الرهبنة أكثر من خمسين عاماً، لم يخرج خلالها من الدير إلا في أواخر حياته للعلاج عندما تكاثرت عليه الأمراض.

كان راهباً مثقفاً بالعلوم العالمية والدينية، هو عالم متدين أو رجل دين عالم.

تجلس معه فتستفيد من علمه ومن روحانيته، تتلمذ على أيدي آباء ذوي قامات روحية ورهبانية عالية مثل: مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث، والمتنيح نيافة الأنبا صرابامون أسقف ورئيس دير الأنبا بيشوي ببرية شيهيت، فتشرب منهما الروحانية والرهبنة على أصولها.

كان يعيش في قلاية منفردة في حديقة الدير، في نسكيات روحية عالية.

نشكر الأب الموقر الراهب القس بضابا السرياني الذي أخرج لنا هذه السيرة العطرة لتنضم إلى سير الآباء الرهبان القديسين ويستفيد منها كل من يقرأها حسب نصيحة مار إسحق: "سير القديسين مثل الماء العذب للغروس الجدد، ينميها في النعمة وينعشها ويجعلها تزهر وتثمر ثمار الروح القدس".

بشفاعة أُمنا العذراء مريم وصلوات أبينا المُكرم البابا تواضروس الثاني، ونعمة الرب تشملنا جميعاً.

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

صوم الرسل ٢٠٢٣

مقدمة

عاش أبونا الراهب القمص مكاريوس السرياني **حياة رهبانية مثالية** فقد كان راهباً مجاهداً بكل ما تحويه كلمة الجهاد من معانٍ، فقد كانت حياته جهاداً وجهاده منهج حياته.

لقد جاهد في الثبات في الدير والقلاية، كما جاهد في الصوم والصلاة والميطانيات والسهر والقراءة والتأمُّل، جاهد في اقتناء الفضائل، ولكن كان محور تركيزه واهتمامه على الدوام أن تكون حياته الروحية مُستترة ومخفية، وجهاده سر بينه وبين إلهه لا يعلم به أحد سوى أب اعترافه.

وكما قال قداسة المتنيح البابا كيرلس السادس: "**كنت أود أن أعيش غريباً وأموت غريباً لكن لتكن مشيئة اللَّه**". عاش أبونا غريباً لا يعرفه أحد إلا النذر القليل من المُقربين وأراد أن يموت غريباً وأن يكون مجهولاً حتى بعد موته لا يعرف أحد عنه شيئاً ويصير منسياً، هذا كان فكره وهذه كانت رغبته، لدرجة أنه قال لأحد الآباء: "صدقني هاخليكم متعرفوش حاجة عني لا تاريخ ميلادي ولا تاريخ رهبنتي، ومش هاتلاقوا حاجة تكتبوها على الطافوس عند نياحتي" ... كان لهذه الدرجة حريصاً على إخفاء ذاته.

طلب مني بعض الآباء أن أكتب عنه فأمسكت بقلمي وأنا حائراً تائهاً مشتتاً متردداً متخبطاً مفكراً في نفسي هل أكتب عنه أم أحترم رغبته في عدم الظهور ...؟ وحتى لو كتبت فمن أنا أمام هذا البطل المجاهد، وكيف لي أن أدخل إلى قدس أقداس حياته وأكتب عنه، فكل ما نعرفه عنه مجرد القشور الخارجية، وماذا أكتب عن هذا الكنز المخفي والسفر المختوم والجنة المُغلقة، عن هذه القيمة والقامة الرهبانية العالية، عن هذا النموذج الفريد لراهب القرون الأولى الذي قلما يجود به الزمان، فكرت كثيراً، وأخيراً استقريت مع نفسي ومع الكثير من الآباء بأننا بعدما تمتعنا كثيراً بقربنا من أبينا الحبيب ـ وحتى لا نُتهم بالأنانية وحب الذات ـ قررت أن أكتب، وبعد اتخاذ القرار قمت بتجميع بعض الآيات من الكتاب المقدس فأضاءت أمامي هذه الآيات:

"اُذكُرُوا مُرشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللَّه. انظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِم فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ" (عب ١٣ : ٧).

"إِنْ لَمْ تَعرِفِي أَيَّتُهَا الجَمِيلَةُ بَينَ النِّسَاءِ فَاخرُجِي عَلَى آثَارِ الغَنَمِ وارعَيْ جِدَاءَكِ عِندَ مَسَاكِنِ الرُّعَاةِ" (نش ١ : ٨).

"لَيسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجاً وَيَضَعُهُ فِي خُفيَةٍ وَلاَ تَحتَ المِكيَالِ بَلْ عَلَى المَنَارَةِ لِكَيْ يَنظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ" (لو ١١ : ٣٣).

فكيف يختفي هذا السراج اللامع المُضيء، وكيف لنوره أن يخفت أو ينطفئ، وكما نُصلِّي في ذكصولوجية الأنبا أنطونيوس ونقول: "**السلام للأنبا أنطونيوس سراج الرهبنة" ... فحقاً كان الأنبا أنطونيوس وأولاده الرهبان المُجاهدين لُباس الصليب سراجاً مُضيئاً ... وكذلك نقول في عظات الآباء القديسين في أسبوع الآلام: "فلنختم عظة أبينا القديس [....] الذي أنار أذهاننا وعيون قلوبنا".**

وعن استحقاق صار آباء الكنيسة ومُعلِّميها وشهدائها ومُعترفيها وقديسيها على مر العصور بمثابة علامات وأنوار ومنارات في الطريق إلى اللَّه، نسير على أثارها ونهتدي بهديها وتستنير أذهاننا وعيون قلوبنا بتعاليمهم، ونتمثل بإيمانهم الثابت بربنا يسوع المسيح.

من كل قلبي أشكر اللَّه الذي أعطاني هذه البركة العظيمة أن أكتب عن أبينا الحبيب، وأطلب منه أن يساعدني ويعضدني ويؤازرني في الكتابة، وأن يكون هذا العمل لمجد اسمه القدوس، كما أطلب من أبينا أن يذكرنا نحن أولاده أمام عرش النعمة لكي يكمل اللَّه أيام غربتنا بسلام وأن يكون لنا نصيب معه في المجد الأسنى، كما أشكر أبي نيافة الحبر الجليل **الأنبا متاؤس** أسقف ورئيس دير السيدة العذراء السريان الذي قام بمراجعة هذا الكتاب، كما أشكر آبائي الرهبان الذين ساعدوني في إخراج هذه السيرة العطرة، الرب يعوضهم أجراً سمائياً.

الراهب القس

بضابا السرياني

كلمة لا بد منها

- حياة أبونا القمص مكاريوس مرت بمراحل متعددة لكل منها خصائصها وسماتها وجهاداتها وفضائلها بل وأيضاً ضعفاتها.
- ما سوف تقرأه عزيزي القارئ ليس بالضرورة منهجه في كل مراحل حياته، فمرحلة بداية رهبنته تختلف عن سُكنى قلاية منفردة، تختلف عن فترة نضجه الروحي، وعن مرحلة بداية تواتر الأمراض عليه، وعن مرحلة كونه طريح فراش في آخر أيامه.
- ما سيتم كتابته هو تجميع لأكثر من مصدر بعد التدقيق فيه، وقد تختلف رؤية ودقة كل مصدر عن الآخر.
- يجب النظر إلى أقوال وأفعال أبينا القمص مكاريوس السرياني من منظور رهباني صرف، وإلا ستكون بعض أقواله أو أفعاله ضرباً من التزمت أو على الأقل غير متماشية مع روح العصر السائدة.
- سيتم ذكر فقط ما قد يُفيد القارئ ـ والذي غالباً سيكون من الرهبان ـ من فضائل وسلوكيات قد يحب أن يقتدي بها، وهذا هو الهدف الأول والأخير للكتاب ... فهذه السطور ليست لإضفاء صفة القداسة على شخص أو مدحه أو حتى تخليد ذكراه، وحتى بعض المواهب أو ما يُسمّيه العوام بالمعجزات ـ عمل اللّه في حياة قديسيه ـ فهو لإشعال حماستنا وزيادة إيماننا بثمار سلوك الطريق الضيق.
- إن كان لكل مِنَا ضعفاته وسقطاته فإن أبونا القمص مكاريوس السرياني لم يكن استثناءً من هذه القاعدة، ولكن لم يتم ذكرها لأن الهدف هو الاقتداء بالفضائل ووضع مُثل للقارئ، ولكن يجب ذكر أن هناك بعض النقائص خاصة في بداية جهاده الرهباني، وهذا يثبت فينا الرجاء لا سيما للذين يعانون ويتألمون من ضعفاتهم ... فبالمثابرة في الجهاد والثبات فيه وبنعمة المسيح المُكملة لكل عمل الإنسان قد يصبحوا يوماً ما في القامة الروحية التي وصل إليها أبونا الحبيب في أواخر حياته.

سيرة وحياة أبونا الطوباوي القمص مكاريوس السرياني

✣ ميلاده ونشأته:

"هُوذَا البَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِندِ الرَّبِّ" (مز ١٢٧ : ٣).

في صباح يوم الخميس الموافق ١٧ مارس سنة ١٩٣٨م وُلِدَ الطفل المُبارك برسي "أبونا القمص مكاريوس السرياني" بصعيد مصر في مركز فرشوط بمحافظة قنا لأبوين تقيين يعيشان في مخافة الرب وحفظ وصاياه، من أب فاضل يُدعى "قوص طانيوس شنوده"، كان يعمل ترزي عربي وتاجر عسل، ويمتلك قطعة أرض يقوم بزراعتها، كان الأب الفاضل محبوباً من الجميع لأمانته وصدقه، أمَّا والدته فكانت سيدة فاضلة تدعى "ثمرة تكلا بقطر" وقد تفرغت لأعمال المنزل وتربية الأولاد.

رزقهما اللَّه بأربعة أولاد وثلاثة بنات ترتيبهم كالتالي:

١- ماريكا (وهيَ الابنة الكبرى). ٢- قيصر. ٣- لنسة. ٤- ميخائيل.

٥- بشري. ٦- برسي (صاحب السيرة). ٧- ماريا (الابنة الصغرى).

الأخوات كانوا يساعدون الوالدة في أعمال المنزل وقيصر وميخائيل في تجارة العسل ومساعدة الوالد في عمله، وبشرى وبرسي تفرغوا للدراسة.

✣ طفولته:

"وأَنَّكَ مُنذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعرِفُ الكُتُبَ المُقَدَّسَةَ، القَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي المَسِيحِ يَسُوعَ" (٢ تي ٣ : ١٥).

نشأ الطفل برسي هادئاً وديعاً رزيناً مُحباً لخدمة الآخرين خاضعاً لوالديه ومطيعاً لهم، فكانت أمه تحبه حُباً جماً ودائماً تعتز وتفتخر به وتقول ابني برسي مفيش مثله، وبالمثل هو كان يُبادلها نفس الحب، فعندما كان يتكلم عنها يقول: "المحبوبة أمي"، كذلك كان مُحباً لإخوته عطوفاً ودوداً رحيماً كريماً شفوقاً حانياً مُتسامحاً، التحق بمدرسة فرشوط الابتدائية واجتاز سنوات الدراسة بنجاح، وحصل على الشهادة الابتدائية في شهر يونيه عام ١٩٥٢م وكان عمره ١٤ سنة.

في طفولته كان مواظباً على حضور القداسات ومدارس الأحد، وفي نهاية المرحلة الابتدائية بدأ يُمارس سر التوبة والاعتراف على يد المتنيح "**القمص عازر أرسانيوس**"(*).

تلمذة الطفل **برسي** على **أبونا القمص عازر** تميزت بالطاعة والخضوع له فتعلم منه الكثير ونال البركة منه في بداية حياته مع اللَّه.

✤ صباه:

"وأمَّا الصَّبيُّ صَمُوئِيلُ فَتزَايَدَ نُمُوّاً وصَلاحاً لدَى الرَّبِّ والنَّاسِ" (١ صم ٢ : ٢٦).

في هذه المرحلة تربى الصبي **برسي** في حضن الكنيسة وكان الوالد والوالدة يشجعان أولادهم على الصلاة والذهاب إلى الكنيسة، فكانت الأسرة بكامل أفرادها

(*) **القمص عازر أرسانيوس:** هو كاهن كنيسة السيدة العذراء مريم بفرشوط، الذي تمت سيامته كاهناً عام ١٩٤٩م وفي عام ١٩٥٠م ابتدأ **أبونا عازر** يتردد على القمص مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس السادس) وتتلمذ على يديه، كان يحبه ويقدره ولقبه بالمبروك، وكان الاثنان يشتركان معاً في صلاة وتسبحة نصف الليل، وبعد سيامته بطريركاً كان يدعوه كثيراً للبطريركية بالقاهرة ليُقيم ويمكث معه في البطرخانة القديمة فترة طويلة وأحياناً كانت تمتد إلى عدة أشهر ظلت هذه العلاقة قائمة حتى نياحة البابا كيرلس، ولقد تسلم منه حب الصلاة والصوم والكتاب المقدس، فكان يقرأه كاملاً كل خمسين يوماً.

كان القمص عازر رجل صلاة يبدأ يومه الساعة الثانية بعد منتصف الليل ويظل واقفاً مُصلياً حتى الفجر ثم يرتاح ساعة ويستيقظ للذهاب إلى الكنيسة لصلاة رفع بخور باكر وصلاة القداس الإلهي، كان بالحقيقة عاشقاً ومُحباً للمذبح لا يُريد أن يُفارقه، فكان يُصلِّي قداسات باستمرار تستغرق صلوات القداس خمس ساعات أو أكثر، كان يخرج من القداس فرحاً مُتهللاً، وعندما تقدم به العمر وأُصيب بأمراض كثيرة كان يتحرك بصعوبة لتورم قدميه، فنصحه الأطباء بالراحة وقلة الحركة، لكنه ظل يواظب على حضور الصلوات من بدايتها إلى نهايتها وهو واقفاً مُنتصباً على قدميه، وكانت له عشرة قوية مع القديسين والسمائيين فكان ينظرهم عياناً ويتحدث معهم بدالة قوية، كان مكشوف العينين ما يقوله للناس يتحقق، ويتنبأ عن المستقبل بكلمات روحية عميقة تكشف غوامض الأمور. قبل نياحته بيوم صلي قداس بمفرده انتهى الساعة الثالثة عصراً، وفي ليلة نياحته صلى صلاة نصف الليل حتى الرابعة والنصف فجراً، ورقد في الرب صباح يوم الخميس الموافق ٢٠٠٤/٦/٢٤م.

يجتمعون يوم الأحد من كل أسبوع ويذهبون إلى الكنيسة مبكراً لحضور القداس الإلهي والتناول من جسد الرب ودمه، كما تعلم الأولاد من والديهم المحبة والعطاء والرحمة.

وأمَّا الصبي **برسي** فتفوق على باقي أفراد أسرته في حبه الشديد للكنيسة، فمنذ صباه انفتحت عيناه على كنيسته فتتسم روائح البخور الذكية في صلواتها من عشيات وقداسات ومناسبات، فارتبط وجدانه بها وبصلواتها وقديسيها وآبائها، وكذلك بعراقة وأصالة ألحانها وطقوسها وعقائدها، فنشأ وعاش وتربى ونما وترعرع في كنيسة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل المجاورة لمنزل الأسرة، في هذه المرحلة نمت وأينعت وأثمرت محبة اللَّه داخل قلبه فتميز بحسن الخلق، وقوة الشخصية، والحس المُرهف، والذوق العالي، والاحترام الشديد للكل، فبادله الجميع الحب والاحترام، وفي نهاية هذه المرحلة التحق بالمدرسة الإعدادية بفرشوط وحصل على الشهادة الإعدادية في تاريخ ٢٦ يونيه ١٩٥٤م.

✤ شبابه:

"فَاذكُر خَالِقَكَ فِي أيَّامِ شَبَابِكَ قَبلَ أنْ تَأتِيَ أيَّامُ الشَّرِّ أوْ تَجِيء السِّنِينَ إذْ تَقُولُ: لَيسَ لِي فِيهَا سُرُورٌ" (جا ١٢ : ١).

زاد ارتباط الشاب **برسي** بالكنيسة فانغرس فيها ووهب نفسه لخدمتها، فعكف على قراءة ودراسة الكتاب المقدس وسير وأقوال الآباء القديسين.

وفي عمر ١٦ سنة أحس بدعوته لحياة الرهبنة فاشترى كتاب بستان الرهبان وابتدأ يقرأ فيه بنهم وحب شديد، كما ابتدأ يتردد على **"عم عباس جرجس**

الغالي"[*]. أعجب الشاب **برسي** بحياة وجهاد **عم عباس** الغالي فاقترب منه، فكان يحكي له عن ظهورات السيدة العذراء له وتعلم منه رشم الصليب، فكان الغالي يرشم الصليب باستمرار ويقول: "لو أعطيتني عالم مليان ذهب لا أتخلى ثانية واحدة عن رشم الصليب".

التحق الشاب **برسي** بفصل إعداد الخدام بالكنيسة فتعلم وأتقن الخدمة على يد خدام أمناء، ثم أُسند إليه فصل مدارس الأحد، فكان يقوم بخدمته على أكمل وجه، كما كان يقوم بخدمة الافتقاد، وفي احدى المرات ذهب للافتقاد في أحد الشوارع وكان هناك شخص متضايق من موضوع الافتقاد، فأطلق كلبه الشرس في اتجاه الشاب برسي، فما كان منه إلا أن وقف ثابتاً في مكانه ورشم علامة الصليب فتوقف الكلب أمامه ثم عاد راجعاً إلى صاحبه، وعلق على هذه القصة قائلاً:

---

[*] **عم عباس جرجس الغالي:** وُلِدَ في بهجورة عام ١٩٠٣م وفي سن الخامسة عشر من عمره نذر أن يعيش بتولاً ويُكرس حياته لخدمة اللَّه، كان يعيش حياة الصلاة الدائمة، كما كان يقرأ من خمسين إلى ستين أصحاحاً من الكتاب المقدس يومياً، كما كان مُحباً لسير الآباء القديسين، عاش ناسكاً زاهداً وسط العالم، وفي سنة ١٩٣٥م أُسنِدَ إليه أمانة صندوق جمعية خلاص النفوس الأرثوذكسية، وفي الاجتماع الأسبوعي لخدام الجمعية صرح قائلاً: "إني رأيت حلم بأني سأبني مدرسة وملجأ وكنيسة لم يُصدقه الخدام، ولكن حلمه تحقق فقام ببناء كنيسة السيدة العذراء ببهجورة ومدرسة الاتحاد الابتدائية، والملجأ الذي جمع فيه الأطفال اليتامى، وأقام في حجرة بسيطة من هذا المبنى وأصبح للأطفال بمثابة الأب والأم والمُرشد.

كانت له علاقة قوية بالسيدة العذراء وكان دائماً يناديها ويطلبها وأحياناً كثيرة كانت تظهر له وتلبي طلباته، فصارت له أُماً تُدبِّر له كل الأمور، كانت صلاته مُستجابة، كما كان يميل لحياة الوحدة والانفراد، أسس خدمة رغيف الفقراء فأحضر مجموعة من التروسيكلات لهذا الغرض، فقد كانت من عادة الأسر المسيحية في ذلك الوقت أن يقوموا بخبز العيش الشمسي يوم السبت، فاختار **عم عباس** مجموعة من الشباب تقوم بجمع رغيف العيش من الأسر ويقومون بتوزيعه على الفقراء في مساء هذا اليوم كان من ضمن هؤلاء الشباب **برسي** "**القمص مكاريوس السرياني**" وابن عمه "**المتنيح القمص أرشيلدس السرياني**" وأصدقاءه من نفس البلدة "**المتنيح القمص أبادير السرياني**"، و"**المتنيح القمص اسطفانوس الأنبا بيشوى**". وهذه الباقة الجميلة من آباء الرهبنة المعاصرة جميعهم من أبناء مركز فرشوط التابع لمحافظة قنا.

"الكلب والشيطان لا تخاف منهم، بل اثبت مكانك وارشم ذاتك بعلامة الصليب، فهم يخافون ويرتعبون منك".

قال عنه أحد الخدام المعاصرين له أنه كان خادماً أميناً هادئ الطباع مُطيعاً، وكان يحيا في وسطنا حياة ملائكية في جدية كاملة، وكان كل أسبوع في اجتماع الشباب يقوم بتفسير أصحاح من الكتاب المقدس، وفي مرة قام بشرح قانون الإيمان لمدة ستة شهور كاملة شرح وافي وكافي، كما كان يقوم بالتحضير لاجتماع الخدام والخدمة. في عام ١٩٥٥م التحق الشاب **برسي** بمدرسة قنا الثانوية واجتاز العام الأول والثاني بنجاح وفي العام الثالث سافر مع أخيه بشرى إلى القاهرة، الذي ذهب للدراسة في كلية الآداب جامعة فاروق الأول، أما هو فالتحق بمدرسة الدواوين الثانوية بالسيدة زينب، وسكنوا في شقة في الظاهر قريبة من كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل، ومن خلال مواظبتهم على الكنيسة تعرفوا على المتنيح "**أبونا القمص إشعياء ميخائيل**"(*) كاهن الكنيسة وصارت محبة بينهم، فكان يذهب لزيارتهم ويسهرون معاً في صلاة وتسبحة نصف الليل، وفي معظم الأحيان كان يبيت عندهم.

(*) **القمص إشعياء ميخائيل:** وُلِدَ عام ١٨٩٩ ببلدة كفر عبده ورُسِمَ كاهناً على مذبحها سنة ١٩٥١م، ثم انتقل للخدمة في كنيسة مارمرقس بشبرا، كان يبدأ أي عمل بالصلاة، كان منزله نموذج للبيت المسيحي المثالي، فكان مليئاً بالصلوات والتسابيح، وكان أب اعتراف لعدد كبير من الآباء الكهنة والشعب، كان يُصلِّي مع كل معترف قبل الاعتراف، وكان يستدعي الروح القدس يتكلم ويرشد ويعمل فكان الكلام الذي ينطق به كأنه من اللَّه.

كان من أعظم مُرشدي الجيل الروحانيين، وسر عظمته هو استنارته بالروح القدس، كان يحمل خطية كل واحد من أولاده على كتفه وينفذ مع المعترف القانون الروحي والميطانيات، كما كان يرفع صلوات من أجل شعبه، كان يعلم أبنائه في الاعتراف أن كل شيء في الكنيسة حي تستطيع أن تتعامل معه وتخاطبه، فكان يخاطب مذبح اللَّه ويتحدث مع أيقونات الآباء القديسين كأنه يتحدث مع الأحياء، محبته للعطاء شديدة ولا يرد سائلاً أو محتاجاً وخصص حجرة في المنزل لاستضافة الغرباء من الفقراء وإخوه الرب وكثيراً ما كانوا يقضون الليالي والأيام عنده.

كان طقسياً مُتمسكاً بالعقيدة الأرثوذكسية وطقوس الكنيسة كما رتبها الآباء ولا يحيد عنها خاضعا لقوانينها ونظامها.

في هذه السنة اختار الشاب **برسي** المتنيح **القمص ميخائيل إبراهيم** ليكون أب اعتراف له. تعلم الشاب برسي كثيراً من **القمص ميخائيل** وكان يعتز بتلمذته وبنوته له، في هذه المرحلة خدم في مدارس الأحد بكنيسة السيدة العذراء بروض الفرج وملجأ الأطفال التابع لها. عام ١٩٥٧م تقدم لامتحان الثانوية العامة ونجح بمجموع لا يؤهله للالتحاق بكلية الهندسة التي كان يرغب في الالتحاق بها.

✤ المرحلة الجامعية:

"أَمَّا الخَلاَصُ فَبِكَثْرَةِ المُشِيرِينَ" (أم ١١ : ١٤).

في عام ١٩٥٨م نجح في الثانوية العامة والتحق بكلية العلوم جامعة عين شمس قسم رياضة بحتة وطبيعة، وكان يتمتع بحب وانتماء شديد للوطن، فاستخرج بطاقة انتخابية، ومن فرط حُبه لوطنه كان على أتم الاستعداد أن يموت شهيداً من أجله، كذلك كان مُحباً ومُخلصاً للكنيسة غيوراً على إيمانها، فقرأ وبحث وتعمق في تاريخها وكذلك قرأ الكثير من تفاسير الكتاب المقدس والآيات عسرة الفهم والشبهات المثارة حولها والرد عليها.

وفي عامه الدراسي الأول بالكلية كان أحد أساتذة الجامعة كثيراً ما يتعرض للدين المسيحي، ففي إحدى محاضرته خرج عن السياق وشكك في حقيقة نقل جبل المقطم، فما كان من الشاب **برسي** إلا أن وقف مُتحمساً للرد عليه وأثبت له بالأدلة التاريخية حقيقة نقل جبل المقطم، لم يتقبل الدكتور كلامه وانتهره وأمره

بالجلوس، بعد انتهاء المحاضرة تجمع حوله أصدقاؤه المسيحين ونصحوه بعدم الرد على كلام الدكتور والتعرض له مرة أخرى، لكنه لم يقتنع بكلامهم، وحدث في محاضرة أخرى لهذا الدكتور قال فيها إن الكتاب المقدس مُحرف، فرفع يده لطلب الإذن بالكلام ثم وقف للرد عليه، وأثبت له بالأدلة من الإنجيل والقرآن استحالة تحريف الكتاب المقدس، وأفحمه بالردود السديدة والمُوثقة، فما كان من الدكتور إلا أن قال له: "طالما أنا موجود في الكلية لن ترى النجاح في مادتي"، وفعلاً نفذ كلامه، ففي السنة الأولى أعطاه تقدير ضعيف، وفي السنة الثانية أعطاه تقدير ضعيف جداً بالرغم من سهولة المادة ونجاحه في بقية المواد، صرخ إلى إلهه وتشفع بالسيدة العذراء لكي ترفع عنه هذا الظلم، فحدث في السنة التالية أن احتاج هذا الدكتور لعمل ثلاث عمليات جراحية قبل الامتحانات فانتدبوا دكتور من جامعة القاهرة يقوم بامتحان الطلاب بدلاً منه، فنجح الشاب **برسي** في هذه المادة .

وفي هذه المرحلة تأكد من دعوته لحياة الرهبنة فأخذ يتردد كثيراً على مقر دير السيدة العذراء السريان بالعزباوية القريب من مكان سكنه، وفي خلال تردده على المقر تقابل كثيراً مع مثلث الرحمات الأنبا ثاؤفيلوس أسقف ورئيس الدير وصار معروفاً له مُقرباً منه.

وفي ١٠ مايو سنة ١٩٥٩م اختارت العناية الإلهية قداسة البابا كيرلس السادس، فكان الشاب **برسي** يذهب لنوال بركته في البطرخانة القديمة بكلوت بك، بعد شهر من جلوس البابا كيرلس على كرسي مارمرقس في يونيو ١٩٥٩م اختار الراهب أنطونيوس السرياني **(مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث)** سكرتيراً خاصاً له.

من خلال تردد الشاب **برسي** على البابا كيرلس السادس تعرف على الراهب "أنطونيوس السرياني" فأعجب به وانجذب له واختاره كمُرشد روحي له وأخبره عن رغبته واشتياقه لحياة الرهبنة، فتعهد الراهب أنطونيوس هذه النبتة الرهبانية وهذا الغُرس الجديد، فنما فيه الشوق والرغبة الرهبانية، فقد كان أباً ومُرشداً حكيماً في الطريق الرهباني.

في سبتمبر من نفس العام عاد الراهب أنطونيوس إلى ديره لاشتياقه لحياة الوحدة. خلال تلك الفترة كان الشاب **برسي** يتردد على دير السريان ويقضي فترات خلوة في الدير، وكان يتقابل مع أبونا أنطونيوس عند نزوله من مغارته للدير، كان يقضي الأجازات الصيفية في مسقط رأسه بفرشوط.

وفي ٢٩ مايو ١٩٥٩م تمت سيامة المتنيح **القمص جرجس دوماديوس**(*) كاهناً على كنيسة مارجرجس ببهجورة. ومن خلال زيارة الشاب برسي **لعم عباس** تعرف على **القمص جرجس** واختاره كأب اعتراف ومُرشداً له.

في ٢٠ سبتمبر عام ١٩٦٢م تمت سيامة الراهب القمص أنطونيوس السرياني أسقفاً عاماً للتعليم والكلية الإكليريكة والمعاهد الدينية بِاسم نيافة الأنبا شنودة، بعد سيامته أسس اجتماعات روحية للوعظ والتعليم بمنطقة دير الأنبا رويس بالعباسية.

(*) **القمص جرجس دوماديوس**: أقام الأربعين يوماً التي تلي السيامة بشقة أحد مُحبيه ببهجورة، وكان يُصلِّي قداسات يومياً يحضرها المئات من أبناء بهجورة والبلاد المجاورة، كذلك أقام اجتماعات ونهضات بها عظات وتأمُّلات وشرح الكتاب المقدس. فكان **أبونا جرجس** متكلم بارع وواعظ مفوه لأنه كان قارئ من الطراز الأول، كما اشتهر كأب اعتراف مُختبر تدخل عنده مُثقلاً بالهموم فتجد عنده حلاً لكل مشكلة، وإجابة لكل سؤال، وهذا شجع أعداد كثيرة على الإقبال على سر التوبة والاعتراف وجذب الكثير من الشباب لحقل الخدمة، فكان أباً ومُرشداً له، بعد عام من سيامته تم نقله إلى كنيسة السيدة العذراء ببهجورة لمساعدة **عم عباس الغالي**.

تميز **القمص جرجس** بخشوعه الشديد في صلاة القداس الإلهي، وكان بعد سر حلول الروح القدس لا ينظر إلى فوق بل يكون نظره مُركزاً على الجسد وصلاته بهدوء وخشوع وروحانية، وفي نهاية القداس كان يقوم بغسل الأواني بنفسه وتجفيفها ولفها ووضعها على المذبح.

كان عنده ثقة لا نهائية في الوعود الإلهية، فحدث أن أُصيب ابنه البكر شنوده بحمى شوكية أفقدته الوعي لمدة ثلاثة أيام، وكان أبونا خلال فترة مرض ابنه يقضي يومه في الكنيسة في قبول اعترافات الشعب وفي نهاية اليوم يذهب إلى المنزل ويقف أمام ابنه باكياً ويقول له: "مش بأيدي يا ولدي"، قرر الأطباء أنه لا فائدة من العلاج وابتدأ أبناء البلدة يعدون ويجهزون لجنازة شنوده. في هذا اليوم صلى أبونا جرجس القداس بنغمة حزينة وصلي قسمة ذبح إسحق وبكى وأبكى الشعب معه، ظهرت السيدة العذراء لإحدى السيدات وقالت لها: "أنا ذاهبة لأشفي ابن أبونا جرجس"، فشفى شنوده من مرضه في تللك اللحظة بدون أي أثار جانبية.

واظب الشاب برسي على حضور اجتماعات الأنبا شنوده، وفي تلك السنة التحق بالكلية الإكليريكية فنجح في العام الأول ولم يكمل بقية سنوات الدراسة، تعرف على **القمص إبراهيم عزيز** كاهن كنيسة الأنبا رويس وارتبط بالكنيسة لمحبته لأبونا.

كذلك كان مواظباً على حضور عظات الخادم والواعظ المشهور **كمال حبيب (لاحقاً مثلث الرحمات الأنبا بيمن أسقف ملوي)**، تردد الشاب برسي على دير السريان كثيراً في تلك السنة وتعرف على **القمص أغاثون السرياني (مثلث الرحمات نيافة الأنبا أغاثون مطران الإسماعلية ورئيس دير الأنبا بولا)** الذي كان مسئولاً عن بيت الخلوة بدير السريان وأُعجب الشاب برسي بأبونا أغاثون لجديته وكذلك أُعجب أبونا أغاثون بالتزام وتدقيق الشاب برسي، وحدث توافق وتجاذب بينهما، فكان أبونا أغاثون كل مرة يذهب فيها إلى القاهرة يذهب لزيارة الشاب برسي في شقته بالضاهر، اجتاز الشاب برسي سنوات الدراسة بنجاح وحصل على درجة البكالوريوس العامة في الطبيعة والرياضة البحتة في نوفمبر ١٩٦٤م.

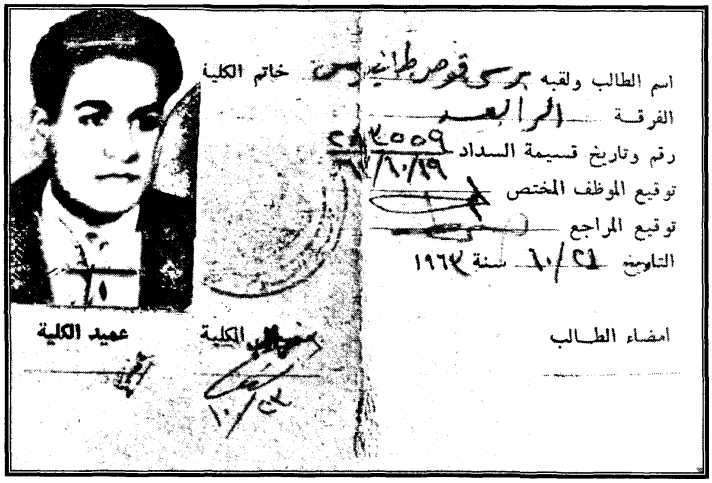

❖ موقفه من التجنيد:

"فَاشتَرِكْ أنتَ فِي احتِمَالِ المَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ المَسِيحِ" (٢ تي ٢ : ٣).

بعد حصوله على شهادة البكالوريوس تقدم لإدارة التجنيد ليلتحق بالخدمة العسكرية فتم قبوله كضابط احتياط، وبعد أيام من التحاقه بالخدمة العسكرية وبدون أن يتظلم قام أحد الضباط بفرزه وتحويله للكشف الطبي، فبعد الكشف عليه وفحصه طبياً أعطاه الكومسيون الطبي إعفاء من الجيش لفرزه غير لائق طبياً،

وإن كان التجنيد قد رفضه لعدم اللياقة الطبية إلا أنه كان لائقاً روحياً للدرجات الروحانية السمائية "**لأنَّ الإِنسَانَ يَنظُرُ إِلَى العَينَينِ، وأمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنظُرُ إِلَى القَلبِ**" (١ صم ١٦ : ٧)، لقد كان اللَّه يعده ليكون جندي صالح في جيش البتوليين.

✣ دعوته للكهنوت:

"**اَلدَّعوَةُ الَّتِي دُعِيَ فِيهَا كُلُّ واحِدٍ فَليَلبَث فِيهَا**" (١ كو ٧ : ٢٠).

ذهب الشاب برسي ليخبر أب اعترافه القمص جرجس بإعفائه من الخدمة العسكرية فانتهز الفرصة وقال له: "أنت تعلم أن أعمال التعمير في الكنيسة تحتاج إلى مجهود كبير مني بالإضافة إلى تزايد أعباء الخدمة وأنا محتاج لكاهن يساعدني ومش حالاقي أفضل منك أذكيه لأسقف الإيبارشية عشان يترسم كاهن"، فاعتذر عن قبول الدعوة باتضاع وشعور بعدم الاستحقاق وقال له: "قدسك أب اعترافي وعارف إني مُشتاق لحياة الرهبنة وأنا مُنتظر اليوم الذي أنطلق فيه إلى الدير".

✣ عمله:

"**قُمْ واعْمَلْ، وليَكُنِ الرَّبُّ مَعكَ**" (١ أخ ٢٢ : ١٦).

حصل على شهادة الإعفاء من الخدمة العسكرية بتاريخ ١٩٦٤/١٠/١٠م وكان يود ويرغب ويأمل ويتطلع أن يذهب إلى الدير مباشرة، ولكن لإحساسه بالمسئولية نحو أسرته قال لهم: "كما تعبتم في تربيتي وأنفقتم الكثير على تعليمي فلا بد أن أعمل لكي أرد جزء من الدين الذي عليَّ نحوكم"، فتقدم بمصوغات التعيين إلى شركة السكر، وكان أمامه خيارين إما أن يعمل بشركة السكر بقوص بمحافظة قنا أو شركة السكر بإدفو محافظة أسوان، فاختار شركة السكر بأدفو لبعد المسافة، وذلك لمحبة أسرته الشديدة له وتعلقهم وارتباطهم الشديد به ورغبتهم في وجوده وسطهم، لكنه فضل الانحلال عن الكل للارتباط بعريس نفسه الرب يسوع، وحتى لا يعوقوه عن طريق الرهبنة الذي اختاره لنفسه.

في عمله كان أميناً مُدققاً ومُجتهداً لدرجة أن المديرين كان كل منهم يطلبه للعمل معه، منصبه كان كبيراً بشركة السكر، وكانت الشركة توفر وسائل الترفيه

للعاملين بها، فكان له مقعد في الصفوف الأولى بالسينما، ولعلم زملائه بأنه لن يذهب إلى السينما مطلقاً حاول بعضهم أن يأخذ الكارنيه الخاص به ليشغل مكانه فرفض وقال لهم: "كل اللي أقدر أعمله أني لن أحضر لأخذ مكاني".

في عمله في تحليل عينات عصير القصب كان أميناً، فحدث أن طلب منه أحد المُديرين أن يكتب تقارير مُخالفة للواقع فرفض، وحاول المدير معه مراراً وتكراراً ولكنه أصر على رفضه، ولما فشل في اقناعه هدده، ولكنه لم يخف ولم ينثني أو يلين بل ظل راسخاً ثابتاً محافظاً على أمانته، تعرض لمضايقات شديدة بسبب أمانته في العمل، ولكنه ظل أميناً إلى آخر يوم له في العمل، وكان زملاؤه يذكرونه بالخير ويضربون المثل به في دقته وأمانته وصدقه وإتقانه لعمله، عمل عدة سنوات بمصنع السكر بإدفو ثم انتقل إلى العمل بشركة كيما بأرض النعام بأسوان.

كان في عام ١٩٦٣م أن تمت سيامة الراهب أغاثون السرياني قساً **(مثلث الرحمات نيافة الأنبا أغاثون مطران الإسماعلية ورئيس دير الأنبا بولا)**.

خدم كأميناً للدير من سنة ١٩٦٣م ـ ١٩٦٥م ... اهتم حينها ببيت الخلوة والشباب الذين يحضرون إليه، ثم أشرف بعدها على تعمير دير أبي سيفين طموه بالجيزة وكان الدير حينها خرباً، وما أن وطأت قدماه الدير حتى أرسل للشاب برسي لكي يُقيم معه بالدير كطالب رهبنة، لكنه كان قد اختار دير السريان لأنه كان عامراً بالرهبان في ذلك الوقت، ولاتفاقه مع ميوله في حبه للهدوء والبُعد عن العالم، وكذلك لوجود أب اعترافه ومُرشده القس أنطونيوس السرياني وباقي أحبائه من الآباء الرهبان، اعتذر لأبونا أغاثون واكتفى بقضاء خلوات بالدير.

✤ اشتياقه ودعوته لحياة الرهبنة:

"كَمَا يَشتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ المِيَاهِ هَكذَا تَشتَاقُ نَفسِي إِلَيكَ يَا اللَّه" (مز ٤٢ : ١).

خلال فترة عمله كان فكره مشغولاً بالرهبنة وقلبه مُتعلق بها، وليعد نفسه للذهاب إلى الدير عاش حياة الرهبنة بكل تفاصيلها من فقر اختياري وعفة وطاعة ونسك وموت عن العالم، فكان يذهب لأب اعترافه كلما تُتاح أمامه الفرصة

ويسترشد به في كل أموره الروحية، أميناً ومُدققاً في اعترافه، مُطيعاً لأب اعترافه خاضعاً له، وبعد الاعتراف يقضي بقية اليوم مع **عم عباس الغالي** يتعلم منه يُرشده ويُساعده في حروبه ضد الشياطين، واستمر يسترشد به حتى ذهابه إلى الدير.

تميز **القمص جرجس دوماديوس البهجوري** بمحبة غامرة لأولاده، ولأنه أب مُختبر قادهم في الطريق الروحي بجدارةً، فتخرج من تحت يديه الكثير من الآباء الرهبان نذكر منهم **المتنيح القمص أبادير السرياني والمتنيح القمص أرشيليدس السرياني والمتنيح القمص اسطفانوس الأنبا بيشوى**، كما قاد الكثير من أبنائه في طريق البتولية والتكريس منهم **المتنيح عم عباس الغالي والمتنيح المهندس فايق فارس الواعظ المشهور**، كما تم سيامة الكثير من أولاده كهنة منهم **المتنيح القمص تيموثاوس محروس** وكيل مطرانية الأقباط بقنا.

كان من عادة **القمص جرجس** عندما يخبره أحد أبناؤه الروحيين برغبته في حياة الرهبنة يُعطيه قانون روحي يتناسب مع حياة الرهبنة المقدم عليها، وكان يتابعه ليتأكد من جديته والتزمه بقانونه الروحي ويسأله عن دقائق الأمور الخاصة بحياته الروحية، كان مُدققا في اختباره لابنه الراغب في الرهبنة، وعندما يتأكد من ثبات فكر الرهبنة عنده وصدق الدعوة ونضوجه روحياً يسمح له بالذهاب إلى الدير.

ظل الشاب **برسي** مواظباً على سر التوبة والاعتراف وكان من عادته أن يذهب لممارسة السر وهو صائماً، في أخر اعتراف له عند **القمص جرجس** بعد أن قرأ له التحليل قال له: "دلوقتى أقدر أقولك تروح الدير وأنا مطمئن عليك"، ولكي يفطمه عنه ويجعله يعتمد على نفسه قال له: "لما تروح الدير وتبعت لي خطابات أوعى تتوقع أني هأرد عليك ... خلاص عيش حياتك مع المسيح واذكرنا دائماً في صلواتك"، في نهاية الجلسة قبل يديه واحتضنه متأثراً باكياً شاكراً له تعبه ومحبته واحتماله له، بعد ذلك ذهب **لعم عباس** ليخبره بأنه ذاهب للدير للرهبنة فأخذ يدعي له ويطلب من السيدة العذراء أن تحافظ عليه وجلس معه جلسة روحية امتدت لعدة ساعات، وكانت تلك هيَ الجلسة الوداعية بينهما.

✤ ذهابه إلى دير أبي سيفين طموه:

"لَيسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى المِحرَاثِ وَيَنظُرُ إِلَى الوَرَاءِ يَصلُحُ لمَلَكُوتِ اللَّهِ" (لوقا ٩ : ٦٢).

بعدما صرح له أب اعترافه بالذهاب إلى الدير سافر إلى أسوان وتقدم بطلب استقالة إلى مدير مصنع كيما، وفي بداية الأمر كان المدير رافضاً نظراً لحاجة العمل إليه ولإتقانه وتميزه في عمله، ولكن لما رأى إصراره وافق ووقع له على طلب الاستقالة، أخذ الطلب وبدأ في إجراءات إخلاء الطرف من المصنع، وأثناء تلك الأيام كان مواظباً على حضور القداسات يومياً، وفي كل قداس كان يضع ورقة على المذبح لكي يقبل اللَّه نذره كذبيحة حب ويرشده ويقوده في طريق الرهبنة.

الأسرة كانت رافضة لفكرة الرهبنة لمحبتهم له وخوفهم عليه نظراً لصعوبة الحياة في الأديرة في ذلك الوقت، بالإضافة إلى قلة عدد الرهبان بالأديرة، وكذلك كانت الطرق المؤدية إليها غير مُمهدة فيصعب الوصول إليها.

جلس مع نفسه يفكر كثيراً لكنه أحس في أعماق نفسه أنه قام بدوره ورسالته نحو أسرته على أكمل وجه، ثم فكر في محبة والدته له ومحبته لها ولكنه تذكر الآية التي تقول: "مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَستَحِقُّنِي" (مت ١٠ : ٣٧). كذلك فكر أنه لو ذهب إلى دير السريان مباشرة سوف تذهب أسرته إلى الدير ويحاولون الضغط عليه لكي يرجع معهم، فاتخذ القرار بالذهاب إلى دير أبي سيفين بطموه يقضي فيه فترة انتقالية حتى تهدأ الأمور وتتقبل الأسرة الأمر الواقع ثم يذهب إلى دير السريان.

وفي أوائل شهر يونيو عام ١٩٦٩م استلم إخلاء الطرف، ثم ذهب إلى حجرته وقام بتجهيز حقيبته وسلم مفتاح الحجرة إلى صاحب السكن، وأعد كل شيء وجهز نفسه للسفر، في هذه الليلة ظل ساهراً مُصلياً بحرارة حتى الصباح، ثم أخذ حقيبته وذهب إلى محطة السكة الحديد بأسوان واستقل القطار المتجه إلى محافظة قنا، وصل القطار إلى محطة السكة الحديد بقنا عصراً وانتظر في المحطة حتى أتى القطار المتجه إلى القاهرة فاستقله ووصل القطار صباحاً إلى محطة رمسيس.

وبعد نزوله من القطار اتجه إلى شبرا لكي يخبر أب اعترافه المتنيح **القمص ميخائيل إبراهيم** بقرار ذهابه إلى الدير، تقابل معه وأعلمه بالخبر، ففرح به ودعى له بالثبات في الدير وأن يكون بركة، وفي نهاية الجلسة أعطى له بعض الإرشادات وودعه وداعاً حاراً.

خرج من عنده مُتجهاً إلى دير أبي سيفين بطموه، وعند وصوله للدير رحب به **القمص أغاثون السرياني** وأعطاه قلاية ليُقيم بها، بعد فترة عرض عليه أن تتم سيامته شماساً لكنه كان رافضاً للدرجات الكهنوتية زاهداً فيها، ولكنه بعد إلحاح وافق.

وفي يوم الأحد صلى مثلث الرحمات الأنبا دوماديوس مطران الجيزة القداس بالدير وقام بسيامته شماساً بدرجة أغنسطس بِاسم "برثلماوس"، وبعد فترة من وصوله للدير أرسل خطاب لأخيه بشرى يعلمه بذهابه لدير أبي سيفين بطموه لرغبته في حياة الرهبنة، وقال له فيه: "أنت الأخ الأكبر، فبحكمتك دبر أمر إبلاغ الأسرة هذا الخبر بهدوء".

فما أن علمت الأسرة بهذا الخبر حتى تجمع الإخوة وقرروا السفر إلى القاهرة لمقابلته والضغط عليه وإرجاعه معهم، بعد وصولهم إلى القاهرة ذهبوا لزيارته في دير أبي سيفين بطموه، تقابلوا معه وجلسوا معه لساعات طويلة يُحاولون إقناعه بالرجوع معهم لاحتياجهم إليه ومحبتهم له فرفض، ثم قال له أحد إخوته: "لماذا تترك العالم وتحرم نفسك من مُشتهياته ومُغرياته وتختار هذا الطريق الصعب؟"، فرد عليه قائلاً: "أنا لم أختار هذا الطريق بل هذا هو الطريق الذي اختاره لي اللَّه"، وجلسوا معه فترة طويلة يُحاولون إقناعه، وبعد فشلهم في إقناعه سافروا إلى الصعيد وأخبروا والدته بكل ما حدث.

❖ ذهابه إلى دير السريان:

"واحِدَةً سَأَلتُ مِنَ الرَّبِّ وإِيَّاهَا أَلتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي" (مز ٢٧ : ٤).

مكث الأخ **برسي** حوالي ثلاثة شهور في دير أبي سيفين من شهر يونيو ١٩٦٩م حتى شهر سبتمبر ١٩٦٩م، وخلال تلك الفترة كان يعمل بجد واجتهاد

في أعمال التعمير بالدير، لم يعرف الكسل والتواني الطريق إليه، فكان يستيقظ بعد منتصف الليل يُصلِّي قانونه الروحي، ثم يذهب لصلاة التسبحة والقداس الإلهي مع القمص أغاثون السرياني، ثم يذهب إلى قلايته ليرتاح مدة ساعة واحدة، ثم يستيقظ لكي يجهز وجبات الطعام للعاملين بالدير من إفطار وغذاء وعشاء ويساعدهم في أعمال البناء والتعمير.

في هذه الفترة كان القمص أغاثون أب اعترافه، وكان مواظباً على أداء قانونه الروحي بكل أمانة وجدية بالرغم من كثرة الأعباء والمسئوليات.

بعد فترة من وجوده بالدير علم مثلث الرحمات نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف ورئيس دير السيدة العذراء السريان بوجود الأخ **برسي** في دير أبي سيفين بطموه، فأخبر القمص بيجيمي السرياني ربيتة الدير في ذلك الوقت بذلك وقال له: "تبعت تجيب الأخ **برسي** من دير أبى سيفين في أقرب فرصة".

تقابل أبونا بيجيمي مع الأنبا شنوده أسقف التعليم عند زيارته للدير وقال له المرة الجاية تجيب الأخ **برسي** معك، في أحد الأيام قرر نيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم زيارة دير السريان فاصطحب معه القمص متياس السرياني **(مثلث الرحمات نيافة الأنبا رويس الأسقف العام)**، وفي طريقهم إلى الدير بعدما وصلوا إلى الطريق الصحراوي تذكر الأنبا شنوده ما قاله له المتنيح القمص بيجيمي السرياني فأخبر القمص متياس بذلك، ورجعوا من الطريق وغيروا خط سيرهم واتجهوا إلى دير أبي سيفين بطموه لكي يحضروا الأخ **برسي**.

تقابلوا مع القمص أغاثون السرياني وأخبروه بأنهم أتوا إلى الدير ليأخذوا الأخ **برسي** معهم إلى دير السريان، أخبر القمص أغاثون الأخ **برسي** بذلك فقام بتجهيز حقيبته بسرعة واستأذن من القمص أغاثون وذهب معهم، وفي الطريق إلى الدير ظل صامتاً وكان فرحاً مُتهللاً يردد مزمور "**فَرِحتُ بالقَائِلِينَ لِي: إِلَى بَيتِ الرَّبِّ نَذهَبُ**" (مز ١٢٢ : ١) ... كذلك كان يردد مزمور: "**مَا أحلَى مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ الجُنُودِ. تَشتَاقُ بَلْ تتُوقُ نَفسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ ... العُصفُورُ أيضاً وجَدَ بَيتاً والسُّنُونَةُ عُشّاً لنَفسِهَا حَيثُ تَضَعُ أفرَاخَهَا ... مَذَابحَكَ يَا رَبَّ الجُنُود مَلِكِي وَإِلَهِي**" (مز ٨٤ : ١ ـ ٣).

وصلوا إلى دير السيدة العذراء السريان الساعة الرابعة عصراً يوم الثلاثاء الموافق ١٩٦٩/٩/٢٥م ١٥ توت ١٦٨٦ للشهداء تذكار نقل جسد القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة، نزل من السيارة وقبل يد الأنبا شنوده ويد القمص متياس السرياني واستأذن منهم وذهب إلى كنيسة السيدة العذراء السريان سجد أمام الهيكل ووقف يُصلِّي ويشكر اللَّه على محبته وعنايته به واختياره لهذه الحياة الملائكية، ثم ذهب إلى المقصورة التي تحتوي على أجساد الآباء القديسين وتبارك منهم، وأخذ يُصلِّي ويطلب من الأنبا يحنس كاما شفيع الدير وباقي الآباء القديسين أن يُساعدوه ويُساندوه في حياة الرهبنة المقبل عليها.

خرج من الكنيسة وتقابل مع القمص بيجيمي السرياني ربيتة الدير فرحب به واستقبله بحفاوة شديدة وأعلم نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير بوصول الأخ **برسي** ... فاستدعاه نيافة الأنبا ثاؤفيلس وذهب الأخ **برسي** إلى قلايته وعمل له ميطانية خضوع وطاعة ثم قبل يديه وشكره على محبته واهتمامه وقبوله له في الدير، تحدث معه كثيراً وفي نهاية اللقاء أعطاه مفتاح قلاية في الدير الأثري.

استأذن من نيافة الأنبا ثاؤفيلس وذهب إلى قلايته وقام بتنظيفها وترتيبها، ثم أمسك بالبطاقة الشخصية وقام بتمزيقها وألقاها في سلة المهملات، وقرر في نفسه أن يعيش باقي أيام حياته في الدير لا يخرج منه مُطلقاً لأي سبب من الأسباب.

❖ زيارة والدته وإخوته له:

"لاَ تُعَوِّقُونِي والرَّبُّ قَد أنجَحَ طَرِيقِي" (تك ٢٤ : ٥٦).

عندما علمت والدته بخبر ذهابه إلى الدير بدون رجعة سافرت إلى القاهرة ومعها إخوته قيصر وبشرى وماريا، وبعد وصولهم إلى القاهرة ذهبوا لزيارته في دير أبي سيفين بطموه، فأخبروهم بأنه ترك الدير منذ يومين وذهب إلى دير السيدة العذراء السريان.

رجعوا إلى القاهرة وذهبوا إلى مقر الدير بالعزباوية ليتحققوا من الأمر وتقابلوا مع الأب المسئول فأخبرهم بذهابه إلى دير السريان للرهبنة، وسألوه هل سيرجع

مرة أخرى ... أجابهم أن هذه المرة بدون رجوع إلى العالم ... فاستأذنوا منه أن يذهبوا إلى الدير لمقابلته فأذن لهم.

ذهبوا للمبيت بالشقة الخاصة بهم في الظاهر واتفقوا مع سيارة أجرة لتنقلهم إلى الدير في اليوم التالي، وفي فجر يوم الجمعة الموافق ١٩٦٩/٩/٢٨م استقلوا السيارة واتجهوا إلى الدير، وفي الطريق للدير وعند مفترق الطرق ساروا في طريق خطأ فأرسل اللّه لهم عربة ماركة Zell مُتجهة في طريق الدير، ذهبوا خلفه حتى المدق الموصل للدير، وفي المدق انغرست العربة في الرمال وحاولوا تحريكها بدون فائدة، نزلوا من العربة وساروا على الأقدام مسافة طويلة تشارك فيها قيصر وبشرى في حمل الحقيبة الخشبية التي أتوا بها من الصعيد.

وصلوا إلى الدير بصعوبة وهم في قمة الإرهاق والتعب وتقابلوا مع الأب المسئول عن بوابة الدير، وسألهم عن بلدهم وسبب الزيارة فأجابوه أنهم أتوا من فرشوط ومعهم والدة الأخ **برسي** لزيارته، استأذن منهم وذهب للأخ **برسي** ليخبره بحضور أسرته وهل يرغب في مقابلتهم؟ فقال له: "طبعاً أقابلهم دول تعبانين وجايين من الصعيد كيف أرفض مقابلتهم" .. رجع الأب المسئول عن البوابة وسمح لهم بالدخول إلى الدير وسألوه عنه فأخبرهم بأنه يُصلِّي قداس في كنيسة السيدة العذراء السريان، دخل إخوته إلى الكنيسة ليحضروا القداس، وظلت أمه وأخته خارجاً كعادة دير السريان بعدم حضور النساء للقداسات في الدير، بحث إخوته عنه في الكنيسة فوجدوه واقفاً خلف عامود ووجهه للحائط لم يتحرك من مكانه أو يلتفت إليهم حتى نهاية القداس، بعدما خرجوا من الكنيسة سألت الوالدة ابنها قيصر: "هل رأيت برسي؟" ... أجابها: "رأيته واقفاً خلف عامود الكنيسة، ولو كان العامود قد تحرك كان هو أيضاً سيتحرك".

خرج الأخ **برسي** من الكنيسة وسلم على والدته وإخوته واصطحبهم إلى مضيفة الدير ورحب بهم، ثم قال لهم: "لماذا تعبتم أنفسكم وأتيتم؟"، فقال له إخوته: "أمك قالت أروح أسلم عليه" ... قالت له والدته والدموع تسيل من عينيها: "يا ولدي ماكنتش قادر تستنى وتقعد معانا شوية"، فرد عليها: "أنا اخترت طريقي"، قالت له: "أنا أُمك وبحبك ومحتاجة إليك ومقدرش أستغنى عنك"، رد عليها:

"ينبغي أن يُطاع اللَّه أكثر من الناس". ألحت عليه والدته وإخوته بأن يتراجع عن قراره ويرجع معهم ولكنه رفض، عرضوا عليه أن يرجع معهم ويقضي شهور قليلة معهم ثم يعود مرة أخرى للدير فرفض بشدة فكرة الرجوع إلى العالم مرة أخرى، أخذوا يتوسلوا إليه بالدموع ولكنه كان راسخاً صامداً لم يتأثر بالعواطف البشرية، استمرت الزيارة حتى الساعة الخامسة عصراً وفي نهاية الزيارة ذهب لوداعهم حتى باب السيارة، وبعدما جلست والدته في السيارة قال لها: "يا أُمي لا تفكري أن تأتي إلى الدير مرة أخرى ولا تتعبي نفسك وتتعبي إخوتي معكِ ... الملاقاة على يد رب كريم"، وحدث هذا بالفعل فلم تراه أمه مرة أخرى حتى نياحتها، لكنه كان يأذن لإخوته بزيارته مرة كل عدة سنوات.

❖ فترة الاختبار:

"نَعَمْ أَيُّهَا الأَخُ، لِيَكُنْ لِي فَرَحٌ بِكَ فِي الرَّبِّ. أَرِحْ أَحشَائِي فِي الرَّبِّ" (فل ١ : ٢٠).

بعد أيام قليلة من قبوله في الدير وتحديداً في يوم السبت الموافق ١٩٦٩/٩/٣٠م وقبل صلاة عشية أرسل نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير أحد الآباء لاستدعاء الأخ **برسي**، ذهب إليه مُسرعاً وكان موجود معه الأب الربيته، عمل ميطانية لسيدنا وقَبَّلَ يديه ثم قَبَّلَ يدي الأب الربيته ووقف أمامه صامتاً، ثم قال للأب الربيته: "الأخ ده أسرته محتاجة له"، فرد الربيته: "دا أخ مُلتزم وطيب ونيافتك عارفه"، فوجه الكلام للأخ: "إيه رأيك تنزل تزور أسرتك"، فرد عليه: "أنا ابن السيدة العذراء وابن نيافتك وأسرتي هم الآباء الرهبان"، فقال له: "الحياة في الدير كلها فقر معندناش غير العدس والفول، وفي الفطار المش"، فقال له: "خير وبركة".

ثم قام باحضار ملابس الاختبار البيضاء وقام برشمها وإلباسها له، ولثقته فيه ومحبته له ورغبته أن يكون قريباً منه كلفه بالعمل في قصر الضيافة، قَبَّلَ يديه وشكره واستأذن منه وذهب لحضور العشية، دخل إلى الكنيسة ثم سجد أمام الهيكل وأمام أجساد الآباء القديسين، ثم ذهب للسلام على الآباء فكان كل أب يحتضنه ويُبارك له على انضمامه إلى مجمع الآباء بالدير، وبعد نهاية صلوات العشية ذهب إلى قصر الضيافة واستلم العمل من الأب المسئول.

كان مُكلفاً بعمل الطعام لرئيس الدير والآباء الأساقفة والكهنة الذين يقضون فترة خلوة بالدير وكذلك ضيوف الدير من العلمانيين، في عمله كان نشيطاً مُلتزماً، فكان بعد التسبحة وصلاة القداس الإلهي يذهب إلى قصر الضيافة يقوم بتجهيز الطعام بنفسه، كذلك كان يقوم بغسل الأطباق والحِلَل، كما كان يقوم بتجهيز الطعام للآباء المرضى وشيوخ الدير ويقوم بخدمتهم وتلبية كافة متطلباتهم عملاً بقول **الأنبا أنطونيوس: "إذا قمت باكراً في كل يوم فاسأل عن المرضى الذين عندك"**، وكما قال **مار إسحق السرياني: "مثلما يتعب الإنسان أو يشقى من أجل اللّه فإن عون إلهي يُحيط به ويُسهل عليه كل شيء ويصلح الطريق قدامه في كل موضع"**، كان يعمل النهار كله ويستريح قليلاً في الليل ويستيقظ لممارسة قانونه الروحى وحضور التسبحة، فكان طوال فترة الاختبار أميناً في عمله وفي حياته الروحية، وعاش في طاعة ومحبة كاملة للآباء مما جعل الآباء يحبونه ويقدرونه ويحترمونه.

✣ تلمذته لأب اعترافه:

"إِنِ اعتَرَفنَا بخَطايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وعَادِلٌ، حَتَّى يَغفِرَ لَنَا خَطايَانَا ويُطهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثمٍ" (١ يو ١ : ٩).

تتلمذ الأخ **برسي** على نيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم (الراهب أنطونيوس السرياني) منذ سنة ١٩٥٩م حتى سيامته بطريركاً سنة ١٩٧١م، وعند انضمام الأخ **برسي** لمجمع رهبان الدير أعطاه بعض الإرشادات الروحية سجلها له في نوتة روحية بخط يده، ولحسن الحظ ظل مُحتفظاً بهذه النوته حتى نياحته.

وهذه الإرشادات تنص على الآتي:

✝ فترة المجمع:

- حُسن المعاملة مع الناس والطاعة ومحبة الآخرين والبشاشة في معاملتهم.
- البُعد عن المشاكل.
- عدم التدخل في السياسات.

- البُعد عن الكلام الزائد.
- الاهتمام بعمل المجمع.
- الاهتمام بالصلوات العامة (صلوات المجمع).
- فكر في فضائل الناس وليس في مساوئهم.
- باستمرار إصرف أفكار الضيق ولا تخزنها.
- خذ الأمور ببساطة وعِش في حياة الفرح.

† شغل الوقت:

- الصلاة: قراءة الكتاب المقدس/ قراءة كتب روحية/ قراءة سير قديسين.
- التأمُّل: خاصة في الكتاب المقدس والمزامير.
- الحفظ: المزامير/ والألحان.
- التسبيح: الترتيل/ المدائح.
- العمل: لا تترك عقلك يتعب من الفراغ.

† الصلاة:

- المفروض أن تُصلِّي جميع صلوات الأجبية وهيَ تُسمَّى "القانون الروحي" بالإضافة إلى الميطانيات، أحسن تصرف أن تسبق مواعيد الساعات حتى لا تتأخر عليك وترتبك.
- يمكن أن تُصلِّي نصف الليل قبل أن تنام أو على الأقل تنتهي منها قبل جرس نصف الليل.
- صلاة باكر تنتهي منها قبل القداس.
- ممكن بعد القداس مباشرة وقبل عمل المجمع تُصلي الساعة الثالثة أو الثالثة والسادسة.
- قبل الغذاء (ظهراً) تُصلي الساعة السادسة والتاسعة قبل جرس الغروب تُصلِّي الغروب والنوم وبعده صلاة الستار.

† خشوع الجسد في الصلاة:

- وضع الجسد/ وقفة معتدلة ـ ركوع ـ سجود.
- حواس مضبوطة/ النظر ـ السمع .....

- رفع اليدين/ دائماً ـ غالباً.
- اختار وقت مناسب لا يكون وقت إنهاك أو تعب ـ استخدم صلوات غير مُتجمعة معاً ـ ثم قراءات ثم فترة راحة في جلوس أو قراءة.

† الصوم:

- ابدأ بالانقطاع إلى الساعة ١٢ ظهراً ما عدا السبت والأحد لا يجوز فيها الانقطاع.

† الميطانيات:

- لا تجوز في الأيام التي لا يجوز فيها الصيام الانقطاعي وهيَ: **(السبوت ـ الآحاد ـ والأعياد السيدية ـ الخمسين ـ بعد التناول).**

† القراءات:

- ابدأ بالدرجي وبستان الرهبان/ وما تشاء من سير قديسي الرهبنة/ اقرأ سيرة تادرس وباخوميوس/ وأيضاً كتابات الآباء الحاذقين في العبادة/ بالإضافة إلى ما تشاء من الكُتب الدينية.

† استلام الألحان:

- مردات الشماس.
- التسبحة.

† الحفظ:

- المزامير والقطع.
- أولاً المزامير شبه المحفوظة/ المزامير المكررة/ المزامير القصيرة.

† الزيارات التي يقبلها الآباء:

- المناسبات.
- إعطاء أشياء (إعطاء ـ تبادل).

† الصمت:

- لا أتكلم إلا للضرورة.
- ليس كل الكلام يحتاج إلى رد.
- لا تجعل غيرك يثيرك بالكلام.

✝ النوم:

• درب نفسك ألا تنام أكثر من ساعتين مُتصلتين (مرة نهاراً - مرة ليلاً).

هذا ما وجدناه مكتوباً في النوتة الخاصة بالتدبير الرهباني بحسب ما كتبه الأنبا شنوده أسقف التعليم.

لقد كان مواظباً على سر التوبة والاعتراف أميناً مُدققاً يستشير أب اعترافه في كل شيء ويكشف له أفكاره حتى أحلام الليل كان يحكيها له، خاضعاً ومُطيعاً له ينفذ كل إرشاداته، عندما كان يتأخر أنبا شنوده في الحضور للدير كان يعترف عند القمص شنوده السرياني (مثلث الرحمات نيافة الأنبا يؤانس أسقف الغربية) وفي عام ١٩٧١ تم سيامة الأنبا شنوده بطريركاً فذهب للاعتراف على يد الراهب القمص صرابامون السرياني (مثلث الرحمات نيافة الأنبا صرابامون أسقف ورئيس دير الأنبا بيشوى فيما بعد).

✣ رهبنته:

"وهُمْ لَمْ يَكُنِ العَالَمُ مُستَحِقّاً لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وجِبَالٍ ومَغَايرَ وشُقُوقِ الأَرْضِ" (عب ١١ : ٣٨).

حكى أبونا عن يوم رهبنته وقال أن الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير قال له: "هارهبنك يوم عيد نياحة أبويا"، لم يفهم معنى الكلام وظن في نفسه أنه يقصد نياحة أبيه بالجسد، وحدث قبل رهبنته بأيام أن سأله أحد الآباء الشيوخ بالدير عن مجال عمله في العالم، فأجابه باتضاع: "كنت شغال عامل"، فذهب للأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير من دافع غيرته على الدير وحذره من الأخ وقال له: "كيف ترهبن عامل (أي جاهل أو أمي)؟" فأجابه سيدنا: "ده أنا عارفه وعارف أسرته كلها وهما ساكنين بالقرب من العزباوية، والأخ ده حاصل على كلية علوم، وكان يعمل في شركة السكر قبل إلتحاقه بالدير"، ولما تقابل سيدنا مع الأخ قال له: "لو ماعرفكش كان فيها كلام تاني".

وبعد عدة أيام أرسل الأنبا ثاؤفيلس أحد الآباء لاستدعائه فحضر مُسرعاً وكان سيدنا جالس على كرسي تحت شجرة مار إفرام السرياني، سلم عليه وقَبّل

يديه وقال له: "أأمر يا سيدنا" ... فقال له: "أنا ناوي أغير اسمك، فاختار لك اسماً من أسماء القديسين" ... قال له: "حاللني يا سيدنا أنا مختارش اسم لكن نيافتك اللي تختار" ... فقال له: "بأقولك تسمع الكلام وتختار" ... وعرض عليه مجموعة من الأسماء ومن ضمنهم اسم **مكاريوس**، وانتهت المقابلة بدون الاستقرار على اسم، وفي نهاية المقابلة قال له: "ما تجيبش سيرة لحد".

مرت الأيام وبعد أن أمضى حوالي ثلاثة شهور وبضعة أيام كفترة اختبار في الدير أتى اليوم الذي كان ينتظره بشوق وحنين ولهفة ... يوم رهبنته المُباركة الذي هو أهم وأسعد يوم في حياة الراهب يظل مُتذكراً له ويحتفل به كل سنة حتى يوم نياحته.

ففي يوم الجمعة الموافق ١٩٧٠/١/٢م، ٢٤ كيهك سنة ١٦٨٦ للشهداء الذي تحتفل فيه الكنيسة بميلاد أنبا تكلا هيمانوت الحبشي وشهادة الأنبا أغناطيوس بطريرك أنطاكية دقت الأجراس احتفالاً بعشية عيد نياحة الأنبا يحنس كاما شفيع الدير، دخل الأخ الكنيسة مُبكراً كعادته لحضور العشية وسجد أمام الهيكل وأجساد الآباء القديسين وسلم على الآباء الموجودين بالكنيسة وقبَّل أياديهم وكانوا يُباركون له ثم وقف في مكانه مُنتظراً ومُترقباً دخول الآباء الأساقفة إلى الكنيسة ... وبعد فترة دخل الأنبا ثاؤفيلس ومعه الآباء الأساقفة وفي أثناء دخوله لاحظ وجود شاب علماني بالكنيسة وكان من عادته ألا يسمح بحضور العلمانيين لطقس الرهبنة ... قام بصلاة مزامير العشية ثم وقف أمام باب الهيكل وقال: "يا أبهات مفيش رهبنة لغيناها"، فذهب الآباء إليه يترجونه، فقال لهم: "**بطلناها خلاص مفيش رهبنة**"، لاحظ القمص شنوده السرياني وجود الأخ العلماني، فأخذه من يده وأخرجه خارج الكنيسة، وأعلم الأنبا ثاؤفيلس بذلك فوافق على بدء الطقس.

وقف الأخ أمامه فقال له: "هأُعطيك اسم إما تطلع على الأسقفية أو تطلع على الطافوس"، وبعدما فتح ستر الهيكل قام بإعطائه الرشومات الثلاثة بِاسم مكاريوس السرياني، فكان يقصد بالأسقفية القمص مكاريوس السرياني **(مثلث الرحمات نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف)**، والطافوس الراهب مكاريوس السرياني السابق له كان مهندس زراعي، وكان مسئول عن الدوار الخاص

بالمواشي بالدير، كذلك عمال الدير ومزرعة ٥٠ فدان يقوم بزراعتها في حديقة الدير وتنيح وهو شاب صغير ودفن في طافوس الدير **(مدفن الآباء الرهبان)**.

بعد نهاية صلوات العشية ظل مُلازما الكنيسة كما هيَ العادة وكان يستمع لنصائح وإرشادات الآباء الرهبان .

بعد التسبحة ورفع بخور باكر قام نيافة الأنبا ثاؤفيلس ومعه الآباء الأساقفة بصلاة طقس الرهبنة التي تبدأ بصلاة الشكر وتنتهي بالوصية التي تُتلى على الراهب ويتخللها صلوات الأواشي وبعض القراءات المناسبة للرهبنة ثم قام بإلباسه الملابس الرهبانية **(القلنسوة ـ المنطقة ـ الجلباب)** وكل جزء من الأجزاء الثلاثة له صلاة خاصة بها ثم بعد نهاية طقس الرهبنة اشترك في القداس الإلهي، وبعد نهاية القداس قام الآباء بعمل زفة له داخل الهيكل وفى صحن الكنيسة ودقت أجراس الدير لتعلن فرحة الدير بالرهبنة.

✤ الأيام الأولى:

"لا تتوان لئلا تندم أخيراً وتصبح رهبانيتك باطلة" (القديس اكليمادس).

كما ذكرنا سابقاً أن أبونا القمص مكاريوس قد عاش حياة الرهبنة بكل تفاصيلها وهو علماني قبل أن يلتحق بالدير، لذلك لم يغير له أب اعترافه قانون الصوم والميطانيات بعد رهبنته بل استمر على نفس القانون الذي كان يُمارسه في العالم، وكانت الرهبنة بالنسبة له هيَ الإطار القانوني الذي يُمارس من خلاله حياته الروحية بكل أمانة، يكثف فيها جهاده حتى يصل إلى الموت عن العالم وكل مشتهياته ومغرياته.

بدأ حياته الرهبانية بجدية وتدقيق وحرص شديد وباشتياقات روحية مُلتهبة ونشاط روحي مُنقطع النظير، ظهرت جديته في التزامه بصلوات المجامع الخاصة بمجمع رهبان الدير وخصوصاً مجمع الغروب وصلاة تسبحة نصف الليل التي كان يعشقها ويواظب عليها يومياً ولا يتأخر عنها مهما كانت الظروف، وكان دائماً ينصح الآباء ويقول لهم: **"التسبّيح له نصف الحياة الرهبانية والجهاد والنسك له النصف الآخر"**، كذلك كان يواظب على حضور القداسات بانتظام

خصوصاً قداس المجمع يوم الأحد، وكما قال **مار إسحق السرياني: "معرفة اللّـه لا تسكن في جسد مُحب للراحة، هكذا لا يمكن أن يشفق المجاهد على جسده وتنجو نفسه من الهلاك".**

كان أبونا يضع هذا القول أمام عينيه دائماً ليعمل به، وكما قال داود النبي في المزمور: **"إني لا أدخُل مَسكَن بَيتِي، ولا أصعَدُ على سَرير فِرَاشِي، ولا أُعطِي لعَينيَّ نَوماً، ولا لأجفاني نُعاسَاً، ولا راحَة لصُدغِي، إلى أن أجِدَ موضعاً للرَّب، ومَسكَناً لإلَهِ يَعقوبَ"** (مز ١٣٢ : ٣ ـ ٥) .... عمل أبونا بكلام المزمور فكان يظل الليل كله ساهراً في صلواته وميطانياته وقراءاته، وفي كثير من الأحيان كان ينام فجراً وهو مُمسكاً بالأجبية والصليب في يده، وكان أثناء النوم يرشم نفسه بعلامة الصليب تلقائياً لأنه تعود على رشم الصليب طوال يومه، وكان يستيقظ وهو يُردد آية من الإنجيل أو مزمور، كان فكره مشغول بالصلاة والتسبيح، وكان دائماً يقول للآباء: "لو الراهب يومه ٣٠ ساعة كلها جهاد مش هيروح ينام وهو راضي عن نفسه".

ملحوظة هامة:

كل ما ذُكِرَ وما سوف يُذكَر عن جهاد أبينا ليس للتقليد والمُحاكاة، فهذا المنهج خاص به ولا يُناسب الكل، لذلك رفض أبونا قبول اعترافات الآباء، ورفض حتى أن يكون مُرشداً لهم، بالرغم من إلحاحهم الشديد عليه. فأبونا كان طقسه عالي ومنهجه فريد. قصدنا بذكر منهجه وجهاده لكي يُعطينا دفعة في حياتنا الروحية، ويكون قدوة لنا لينهضنا من تكاسلنا وتوانينا.

✤ عمله في الدير:

"اتعب نفسك واضطرها على العمل وخوف اللّـه يحل عليك".

(الأنبا إشعياء الإسقيطي)

كما ذُكر ببستان الرهبان أن آبائنا الروحانيين قد جعلوا عمل اليدين مثل قانون مُحدد ليس من أجل المال بل حسبوه كأحد الفضائل للأسباب الآتية:

١ـ يخفف عن الأخ الثقل والملل.

٢ـ لكي يقوت الراهب نفسه ويتصدق بالباقي على الفقراء والمساكين.

٣ـ يمنع عن نفسه الشرور التي تتولد من البطالة وكما قال **أحد القديسين: "إن الآباء قد سلموا لنا هذه الطرق وهيَ أن نعمل بأيدينا وأن نلازم الصمت وأن نبكي على خطايانا".**

كان الآباء الرهبان في الأجيال السابقة يقومون بجمع الخوص والليف من النخيل ويقضون وقتاً طويلاً في صناعة المقاطف والسلال والحبال وأثناء عملهم كان فكرهم مشغول بالصلاة، وكان إذا زار راهب أخر يشترك معه في ضفر الخوص... وكان الراهب يبيع عمل يديه ويستبقي جزء من المال لكي يعول به نفسه والباقي يتصدق به على الفقراء والمساكين، أمَّا في هذا الجيل فإن الراهب يقوم بالعمل الذي يكلفه به الدير، والمال الذي يدره عمله يذهب إلى إدارة الدير ....

✠ عمل أبونا مكاريوس خلال حياته الرهبانية بالدير في ثلاثة أعمال مختلفة:

١ـ قصر الضيافة بالدير.

٢ـ معمل الألبان.

٣ـ الطابونة (مخبز الدير).

بعد التحاقه بالدير كلفه نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير بالعمل في قصر الضيافة مع المتنيح أبونا القمص مينا السرياني والمتنيح القمص أبادير السرياني والمتنيح القمص يوساب السرياني، وكانت مدة عمله بقصر الضيافة حوالي شهر.

بعد ذلك أسند إليه نيافة الأنبا ثاؤفيلس العمل بمعمل الألبان، فكان كل يوم يذهب إلى دوار المواشي بالدير لاحضار اللبن الذي كان يتم تجميعه في أوعية كبيرة، وكان يبذل مجهوداً في نقل اللبن من الدوار إلى معمل الألبان .... ثم يصفي اللبن للتخلص من الشوائب، وبعد ذلك يغليه على **موقد بدائي**، ثم يتم فرزه يدوياً ويأخذ الزبدة ليصنع منها السمن، ويأخذ اللبن بعد فرزه ليصنع منه الجبن، يذكر أنه في إحدى المرات عمل ٤,٥ صفيحة سمن في الصيام الكبير وهيَ كمية كبيرة لم يصل إليها أحد من الآباء قبله.

كان يذهب إلى عمله مُبكراً ويأخذ معه جلباب آخر لأن جلباب العمل دائماً يكون مُبلل بالعرق فكان يستبدله قبل جرس الغروب ويذهب مباشرة لحضور صلاة الغروب، عمل حوالي سبع سنوات ونصف في معمل اللبن.

ثم أُسند إليه العمل في الفرن الخاص (المخبز) بعمل الخبز للآباء الرهبان بجانب عمله في قصر الضيافة وخدمته للأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير، تعب كثيراً في عمله وخدمته لرئيس الدير، وكان دائماً الأنبا ثاؤفيلس يدعي له ويقول: "ربنا يُباركك يا ابني ربنا يديك اللي يخدمك زي ما خدمتني".

كان يوم السبت هو اليوم المُخصص للخبيز، فكان في هذه الليلة لا ينام بل كان يذهب إلى الطابونة ليقوم بنظافة المكان وغربلة الدقيق ثم يقوم بعمل العجين ويذهب إلى تسبحة نصف الليل، وبعد نهاية التسبحة يرن جرس مجمع الخبيز فيذهب الآباء الرهبان والإخوة طالبي الرهبنة إلى الطابونة ويجلسون على الأرض حول طشت من النحاس موضوع به العجين، يقوم الآباء بتقطيع العجين وبعد الانتهاء من تقطيع الخبز كان يتركه فترة لكي يختمر، ثم يقوم بخبزه في الفرن البلدي مُستخدماً الحطب والقش وفروع الأشجار كوقود للفرن، وبعد نهاية الخبز كان يقوم بنظافة طشت العجين وباقي الأدوات ويذهب إلى قلايته ووجهه وملابسه عليها أثار السواد من عملية الخبيز فيغير جلبابه ويذهب للعمل في قصر الضيافة، عمل تسعة سنوات بقصر الضيافة ثم تفرغ لحياة القلاية.

✤ نذوره الرهبانية:

"أُوفِي للرَّب نُذُوري في دِيَار بَيتِ الرَّب قُدَّام كلِّ شَعبِه، في وسَطِ أورُشلِيمَ"
(مز ١١٦ : ١٨)

النذور عند الآباء الرهبان علامة للالتزام، لأن الحياة الرهبانية التزام كُلي مُطلق، إذ ليست كلاماً باطلاً، بل يوقعونها بدمهم أي بذبيحتهم، فالمسيح اشترى الكنيسة بدمه أي بذبيحته، فالنذور إذاً هيَ الوسائل التي تربط الراهب باللَّه وتشده إليه إلى الدير، فهيَ تحتوي على باكورة التغيير في حياة الراهب الداخلية وتجليه

في اللَّه وسيره إليه، وبهذه الصفة تحمل النذور قوة جديدة هيَ قوة حياة جديدة، فلا يعود الراهب يحيا الحياة القديمة ولكنه يسير بموجب النذور في جدة الحياة.

اختار السيد المسيح في أثناء حياته على الأرض أن يعيش فقيراً وبتولاً ومُطيعاً، فهكذا يختار الراهب نمط حياة السيد المسيح ليحيا به، إذ أن الراهب لا يختار الفقر بل المسيح الفقير ... ولا البتولية بل المسيح البتول ... ولا الطاعة بل المسيح المُطيع.

فإنما اختيار الراهب هو شخص المسيح نفسه وبالتالي ما عاشه المسيح وكيفما عاشهَ والسبب الذي لأجله عاشه إقتداءً وتشبهاً به (فقيراً بتولاً مُطيعاً).

من أول يوم لأبينا مكاريوس في الرهبنة مارس النذور الرهبانية بدقة مُتناهية بكل تفاصيلها وفي جميع جوانب حياته وكان يسير بموجب الآية التي تقول:

"كُنْ أَمِيناً إِلَى المَوتِ فَسَأُعطِيكَ إِكلِيلَ الحيَاةِ" (رؤ٢ : ١٠).

عاش حياته الرهبانية من بدايتها حتى نهايتها محافظاً على نذوره بكل أمانة فاستحق أن ينال إكليل الحياة.

✤ الفقر الاختياري:

"كَفُقَرَاءَ ونَحْنُ نُغنِي كَثِيرِينَ. كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا ونَحْنُ نَملِكُ كُلَّ شَيءٍ"
(٢كو٦ : ١٠)

عاش أبونا مكاريوس مُتشبهاً بسيده فقيراً لا يملك من متاع الدنيا إلا القدر اليسير الذي يساعده على المعيشة، كان يحيا الفقر الاختياري بكل تفاصيله في جميع جوانب حياته من مسكن ومأكل ومشرب وملبس، وكانت قلايته بسيطة مُتجردة نظيفة مُنظمة لا يوجد فيها شيء زائد عن حاجته، بل كان يوزع كل ما يصل إليه على فقراء الدير، وفي بداية رهبنته كان ينام على الأرض على فروة خروف لسنين عديدة حتى حدثت له متاعب صحية، فلما علم أب اعترافه مثلث الرحمات نيافة الأنبا صرابامون أرسل له سرير من دير الأنبا بيشوى لينام عليه.

مكث حوالي ٣٠ سنة بدون مروحة حتى قام أحد الآباء بتركيب مروحة له، وأخذ فترة طويلة يملأ الماء من مبنى قلالي بعيد عن قلايته، كانت قلايته في

الدير الأثري مجاورة لقلاية القمص صرابامون السرياني **(مثلث الرحمات نيافة الأنبا صرابامون رئيس دير الأنبا بيشوى)**، ولا يسمح لأي راهب أن يدخل قلايته ولا يزور الرهبان الآخرين في قلاليهم، وعندما كان يريد شيئاً من أحد الآباء كان يذهب إليه في مكان عمله، وعندما لا يجده كان يترك له رسالة.

من عادته ألا يستقبل أحد في قلايته أيام السبت والأحد من كل أسبوع، وكذلك أيام الأعياد فكان يعتبرها أيام مُخصصة للّه فقط، ولا يترك باب قلايته أو شباكها مفتوحاً حتى لا يرى أحد تفاصيل القلاية.

في مأكله كان لا يأكل إلا في طبق واحد وصنف واحد ووجبة واحدة ولا يأكل مُطلقاً خارج قلايته، أول مرة يأكل فيها خارج قلايته كانت عندما ذهب إلى المستشفى عام ١٩٩٠ أي بعد حوالي ٢٠ سنة من رهبنته، وكان يكتفي بخبزة واحدة في الوجبة، وفي أحد الأيام عرض عليه أحد الآباء أن يجهز له وجبة الإفطار، فرد عليه مستنكراً: **"هيَ الرهبنة فيها فطار"**، كان دائماً ينصح الرهبان ويقول لهم: "الراهب الذي يأكل بين الوجبات علماني لا طقس له"، كان عندما يسقط طعام على الأرض يأخذه ويأكله بدون غسيل رغم اهتمامه الشديد بالنظافة، وعندما سُئل لماذا تفعل ذلك؟ أجاب: "رب المجد قال ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان" وفي مرة أخرى قال: "علشان أكسر نفسي".

قضى فترة لم يفصح عنها اعتاد فيها أن يستخدم جلباب واحد يغسله وينتظره حتى يجف، لا يستخدم الملابس اللينة الفاخرة بل الملابس الخشنة، كان قدوته في ذلك هو المتنيح القمص يوسف السرياني الذي كان يقول دائماً: **"أكل خفيف غسيل خفيف"**.

وعند التحاقه بالدير كان مُمتلئ الجسم فمارس نسك شديد في بداية رهبنته حتى أصبح نحيف الجسم، وكان لا يشرب الماء إلا بمقدار، قضى مرة ثلاثة أيام في شهر أغسطس بكوب ماء واحد كان يبل لسانه بالماء فقط، فحدثت له مشاكل بالكلى، فنصحه الأطباء بالتوقف عن النُسك الشديد حتى يكمل حياته بشكل طبيعي، لذلك كان ينصح الآباء بعدم مُمارسة النسك الشديد خصوصاً في شرب الماء، نظراً لطبيعة الماء المالحة حالياً، ولصعوبة الجو وكتب في مذكراته

الشخصية: "**لا تطحن جسمك لئلا تسقط في أمراض وأسقام... هذا رأي الشيطان في معركة الزهد**"، كان دائماً يقول للآباء: "**تدبير الفقر أسهل من تدبير الغنى**".

✤ العـفة:

"**لأنّي خَطَبْتُكُمْ لرَجُلٍ واحِدٍ، لأُقدِّمَ عَذرَاءَ عَفِيفةً للمَسِيحِ**" (٢ كو ١١ : ٢).

عاش أبونا حتى نهاية حياته رافضاً للتصوير أو أن يُسجل له حديث فيديو أو صوتي، وعند زيارة أي أحد له كان ينبه عليه أن لا يلتقط له صورة، وكان يركز جيداً مع الذي يزوره، وإذا لاحظ أن أي شخص التقط له صورة كان يأمره بأن يمسحها فوراً، وفي سنينه الأخيرة كان الآباء والمُقربين منه من الإخوة العلمانيين يلحون عليه أن يأخذوا صورة معه فكان يرفض، وعندما يُريدوا أن يضعوه في الأمر الواقع كان يقول "**ماتخلونيش** أقول الكلمة الصعبة" ويقصد بها "**لا حِل ولا بركة**"، فكل الصور التي أُخذت له خلسةً بدون موافقته، وكذلك الأحاديث كاملة التي كانت تُسجل بدون علمه في النهاية يجد الشخص ما سجله لم يُسجل منها كلمة واحدة وكذلك الصور لا تجدها.

مرة سألته: "هو قدسك ليه رافض التصوير؟ رد عليَّ قائلاً:

"**الراهب عذراء للمسيح لا يسمح لأحد بأن يلمس جسده كذلك لا يسمح هو لنفسه بالنظر إلى جسده أو يلمسه كذلك لا يسمح لأحد بأن يلتقط له صورة**".

أبونا كان يرفض أن أي أحد ـ حتى من الآباء ـ يُقَبِّل يديه، كنوع من التواضع والحرص الشديد.

✝ نصائح أبونا لاقتناء الطهارة:

- **ابعد عن مكان العثرات ومسبباتها قدر الإمكان.**
- **صلي من أجل من يعثرك أو من تعثر بسببه.**
- **كل فتاة هيَ أختك وأمك، وكل فتى هو أخوك.**
- **كل جمال الجسد زائل، تخيل منظره بعد الموت أو حتى مجرد خروج الروح عندما يبدأ في التحلل وتخرج منه الروائح الكريهة، أو تخيل ما تحت هذا الجلد من دم ودهون وخلافه.**

- لا تخلى صلاة يسوع من فمك (أي لا يخلو فمك منها) واشغل نفسك بالقراءة.
- كل يوم تنتصر فيه يحسب لك كأنه سنة، لأنه كلما زاد حجم وقوة المنتصر عليه يصبح الانتصار غالي.
- استعن باللّه دائماً لكي ينصرك على أعدائك.
- إياك والغضب والإدانة والكبرياء.
- الصدقة والرحمة تزيدان النعمة.
- خدمة المرضى خاصة أثناء الصيام لها مفعول قوي.
- فليرن صوت المعمدان دائماً في أُذنيك: "لا يحل لك" أن تنظر ... أن تفكر ...
- طبيعي أن يغلبك الشيطان بدون اللّه فهو يجعل جسدك يثور عليك.
- مهما كانت عدد انتصارات عدو الخير عليك فيمكنك أن تفرح وتتباهى بمجرد إنك انتصرت عليه حتى ولو مرة واحدة فقط، تشجع ولا تخف.
- انتهر شيطان الزنا كما تنتهر الكلب وحاربه بقلب شجاع قوى ولا تخف أبداً منه، قاومه فيهرب منك، أمَّا إذا حاربته بضعف وخوف فإنه يقوى عليك.
- إذا سقطت لا تغالي في جلد الذات وعذاب الضمير، مجرد ندمك واعترافك وشكرك يمحو كل ما سبق.
- تذكر آلامات سيدك وإحساناته إليك ... فلا تزيد جروحه وآلامه.
- اعتبر كل يوم كأنه آخر يوم لك في العمر وحرب الشيطان لك في هذا اليوم هيَ الأخيرة في الحياة.
- اطلب من أجل طهارتك وطهارة غيرك دائماً.
- الشكر والفرح الدائم حتى في السقوط غالباً ما يساعد على التخلص السريع من الخطايا.
- أكثر فترات نشاط للشيطان هيَ التي تلي السقوط ليوقعك ثانياً أو يجعلك تيأس.

- **اعرف الحد الأدنى لمقدار النوم والطعام الذي يحتاجة جسدك ولا تزد عنه قدر الإمكان.**
- **ثق أنك ستخلص ولو في الساعة الحادية عشرة وجهادك هو لتقديم ساعة خلاصك ... فلا تُحزن الرب يوماً آخر.**

❖ الطاعـــة:

"أَطَاعَ حَتَّى المَوتَ مَوتَ الصَّلِيبِ" (في ٢ : ٨).

نحن الرهبان تعلمنا الطاعة من ربنا يسوع المسيح الذي "**مَعَ كَونِهِ ابناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَألَّمَ بِهِ**" (عب ٥ : ٨)، وهذا ليس بغريب على من جاء ليمحو بطاعته معصية آدم الأول، وكما كان عصيان آدم الأول سبب هلاك لجميع بنيه هكذا كانت طاعة المسيح سبب خلاص وحياة أبدية للجميع، فالطاعة أصلاً هيَ لمشيئة اللَّه ولتنفيذ وصاياه.

والراهب يدخل في هذه الطاعة ويجاهد في تصويره للمسيح الطائع في حياته، الراهب يطيع عن قناعة وبدافع من الروح القدس لأبيه الروحي ولرئيس الدير كي يدرك ويُتمم إرادة اللَّه في حياته.

كتب أبونا في نوتة خاصة به "**الراهب لا يدخل الدير لكي يُصلّي، لكنه يصبح راهباً لكي يكون طائعاً، فالطاعة تقود إلى الصلاة الدائمة**". كان مُطيعاً لأب اعترافه **الأنبا شنوده**، ففي مرة قال لأولاده في الاعتراف: "خلوا بالكم من قعدات المصاطب، لأنه دائماً يكون فيها إدانة ونميمة"، فأخذ منه أبونا مكاريوس هذا التدبير ونفذه تنفيذاً حرفياً وقال: "أنا مش ها أقعد على مصاطب ولا أقف في طرقات الدير"، وكان بعد قداس الأحد يذهب مُسرعاً إلى قلايته ولا يُقابل أحد في هذا اليوم.

في فترة تعب أبونا الأخيرة كان يذهب إلى الكنيسة ومعه كرسي محمول، وفي يوم أحد كان راجع من الكنيسة ومش قادر يأخذ نفسه، فأبلغوا أحد الآباء الأطباء فذهب إليه مُسرعاً ووجده ماشياً في هذه الحالة، فقال له: "اقعد استريح شوية"، قال له: "لا" .... واستراح من المشي وهو واقف، فسأله: "لماذا ترفض الجلوس"، فرد

أبونا وقال: "**أنا مبحبش أجلس في الطريق من الكنيسة إلى القلاية**" تنفيذاً لكلام أب اعترافه.

ذُكر أنه في بداية رهبنته لم يكن يستحم إلا في الضرورة القصوى كنوع من النُسك، وفي جلسة مع قداسة البابا شنوده سأله أحد الآباء عن كيفية الاستعداد للتناول فقال قداسته: "يُفضل الاستحمام في اليوم السابق للتناول"، ومن يومها أبونا غير طقسه وأطاع كلام البابا، وكان يستحم قبل كل قداس، حتى في ظروفه المرضية الصعبة، وفي مرة وقع أبونا من على المرقد حوالي الساعة ٣ فجراً وأُصيب بجروح وكدمات وبالرغم من ذلك ذهب ليستحم ليحضر القداس.

كان أبونا يضيق على نفسه في كل شيء، فكان يستخدم علب الأدوية الفارغة للكتابة، ويستخدم أي ورق كمناديل، كذلك كان يستخدم صابون غسيل ردئ جداً في غسيل يديه والاستحمام، وكثيراً ما كان يستخدم بقايا الصابون ويوزع الصابون الجيد على عمال الدير، وعندما سأله أحد الآباء: "لماذا تفعل ذلك؟" قال: "الصابون الغالي للعمال الغلابة، وعلشان نعرف إن فيه ناس غلابة مش لاقية صابون حتى درجة الصفر".

كذلك تميز أبونا بأنه كان مُطيعاً وخاضعاً لرئيس الدير وناموس الدير ولربيتة الدير، لدرجة إن الربيتة مرة قال: "لو كل الرهبان في الدير زي أبونا مكاريوس، الدير مش ها يحتاج لربيتة".

✤ سيامته قساً:

"**كَهَنَتُكَ يَلبِسُونَ البِرَّ وأتقِيَاؤُكَ يَهتِفُونَ**" (مز ١٣٢ : ٩).

عن الكهنوت تكلم القديس مار يعقوب السروجي وقال: "شرعت أن أتكلم عن الكهنوت إن استطعت فأنر ذهني لأنحت تمثال مجدك ... من يقدر أن يكون كاهناً في أسرار الابن ويخدم الأمور المجيدة مثل اللَّه؟".

من هو طاهر وبدون زيف قدام اللَّه حتى يلبس النار ويقوم ويخدم اللهيب؟

أي ترابي التهب بلاهوتك حتى يقدر أن يمسك ذلك اللهيب الذي لا يُدرك؟

بعد رهبنة أبونا مكاريوس ظل سنتين وشهرين وخمسة أيام يخدم كراهب شماس في القداسات مع الآباء الرهبان الكهنة، وكان مواظباً على حضور القداسات خصوصاً المُكلف بها، كان يذهب مُبكراً للكنيسة قبل ذهاب الأب الكاهن ويقوم بتجهيز الكنيسة للصلاة من شورية ومياه وإيقاد الشموع، وكان مُلماً بألحان الكنيسة وألحان المناسبات، كذلك كان على دراية واسعة بطقوس الكنيسة، فكان يخدم في المذبح كشماس وأحياناً يقوم بأداء مردات الشعب، فخدم بكل أمانة لذلك استحق أن ينال درجة الكهنوت الجليلة. وفي يوم الأحد الموافق ٨/٥/ ١٩٧٢ الموافق ٣٠ برموده ١٦٨٨ للشهداء تذكار استشهاد مار مرقس الرسول أول باباوات الإسكندرية، في ذلك اليوم ذهب أبونا مكاريوس إلى الكنيسة ليحضر التسبحة، وبعد نهاية التسبحة دق جرس باكر ثم بعد نهاية صلاة باكر دخل نيافة الأنبا ثاؤفيلس إلى الكنيسة وقال:

"هانعطي كهنوت بس مش عارفين اللي ها يترسموا ها ينفعوا ولا لأ".

فساد الهدوء والصمت التام في الكنيسة ولم يجرؤ أحد أن يسأله من الذين سيتم سيامتهم وكم عددهم ... كان الأنبا ثاؤفيلس في كل سيامة رهبان أو كهنة يجهز مفاجأة لا يتوقعها الجميع، صلى القداس وبعد نهاية صلاة الصلح وقبل أن يقول الشماس: "قبلوا بعضكم بعضاً" وقف الأنبا ثاؤفيلس أمام باب الهيكل وقال:

"مين عايز يترسم كاهن؟ مين متقاتل بالكهنوت؟".

لم يُجبه أحد بكلمة ... ظل فترة صامتاً مُنتظراً أي رد من الآباء، ثم قال:

"أبونا مكاريوس يتقدم وأبونا باسيليوس يتقدم وأبونا تواضروس".

وقف الآباء أمام الهيكل حسب أقدمية الرهبنة وكل واحد منهم حاملاً تونية الخدمة على يديه ثم سجد أبونا مكاريوس أمام باب الهيكل وقام الأنبا ثاؤفيلس بالرشم ثلاث رشومات فوق رأسه، وبعد الرشومات أمسكه سيدنا بيده وأدخله إلى الهيكل وهو يقول: "**ادخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ**" (مت ٢٥ : ٢١)، وأكمل القداس وبعد انتهاء القداس دقت أجراس الدير تعلن فرحة الآباء بهذه السيامة المُباركة.

منذ سيامته كاهناً لم يُمارس أي عمل كهنوتي **سوى صلاة القداس الإلهي فقط**، فكان يرفض أن يدهن أحد بالزيت، مرة حضرت أسرته لزيارته بالدير فحاولوا

معه أن يرشمهم بالزيت فرفض، وطلب من أحد الآباء الموجودين بالمكان أن يرشمهم بالزيت، كان لا يمسك صليب خارج قلايته أو يضع يده على رأس أحد ويُصلِّي له، بل كان يأخذ ورق الطلبات ويهتم به جداً ويعمل منه نسخ ويضعها في عدة أماكن في القلاية، وعند تواجده في هذا المكان كان يذكر الأسماء التي في الورقة في كل صلاة، وكان دائماً يسأل عن صاحب المشكلة أو الطلبة، ويظل يذكره حتى بعد حل المشكلة واستجابة الطلبة، من اتضاعه لم يكن يعتبر نفسه كاهناً إلا في وقت صلاته لقداسه فقط، حتى في حضوره للقداسات لم يُشارك في الصلاة بل يكتفي بتناوله من الأسرار المقدسة، وفي أواخر سنينه شعر بتبكيت الضمير نتيجة لإلحاح الناس في طلب الصلاة فوافق أن يدهنهم بالزيت ويضع يده عليهم ويُصلِّي لهم.

✤ استلام الذبيحة:

"لأنَّ جَسَدِي مَأكَلٌ حَقٌّ ودَمِي مَشرَبٌ حَقٌّ" (يو ٦ : ٥٥).

في الوصية التي تُقرأ على الكاهن عند نهاية تكريسه وفي الجزء الخاص بالاحتراز على توزيع سرائر الرب تقول الوصية:

"ويكون ذلك منك بجد ونشاط واجتهاد وتحقق أن الشاروبيم والسارافيم وقوف بالمخافة والارتعاد، وكن عارفاً بمقدار ما بين يديك أنه المسيح عمانوئيل الذي أسلم ذاته عنك، واعلم أنك تقسم أعضاءه الناسوتية لا محالة وتحمل على يديك الذي حمله سمعان الكاهن بالكرامة والجلالة، وأن هذه الكأس هيَ دمه المُهرق عن الخطايا الذي به أنقذ من الجحيم جميع السبايا، النابع لنا من الكرمة الحقانية الذي هو جنبه الإلهي الذكي، فيا لهذا السر الخفي.

هذا هو الجسد المقدس والدم الكريم اللذان صار بهما خلاص الخليقة فكن مُنتبهاً لنفسك أيها الأب المبارك غاية الانتباه واحرس هذه الذخيرة كحراسة الشاروبيم لشجرة الحياة، واحترز على هذه السرائر احترازاً يخلصك من الجرائر ولا تناوله إلا لحسن السيرة، ورد كل من كانت طريقته شريرة لئلا يقتل نفسه وتكون أنت السبب في الجريمة، والحذر من الإهمال لئلا تحصل المضرة، فإن العالم كله

لا يُساوي منه مثقالاً من ذرة، ويكون توزيعك بترتيب ونظام وهدوء وسكون وحرص".

بعد سيامة الآباء الكهنة قام المتنيح القمص فيلوكسينوس السرياني بتسليمهم طقس القداس بداية من رفع بخور عشية ورفع بخور باكر حتى نهاية القداس، وكان يُدربهم على الحركات الطقسية ودورة البخور ويكلفهم بحفظ التحاليل وبعض الأجزاء من صلوات القداس، وعندما كان الآباء مُستعدون لاستلام الذبيحة استلم القمص باسيليوس الذبيحة أولاً ومن بعده القمص تواضروس، أما أبونا مكاريوس فرفض استلام الذبيحة إلا بعد أن يحفظ **القداس الغريغوري والباسيلي كاملين**، فاستأذن من نيافة الأنبا ثاؤفيلس أن يقوم المتنيح القمص يوسف السرياني بتحفيظه القداس كاملاً، واستغرق حفظه للقداسات حوالي **سنة كاملة** وبعدما تأكد من أنه حفظ القداسات بألحانها وطقوسها وصلواتها وافق على استلام الذبيحة.

فمن أرهب وأقدس وأهم الليالي في حياة الكاهن هيَ ليلة استلامه للذبيحة، يشعر فيها بعدم الاستحقاق، ويستحيل أن يأتي له نوم في هذه الليلة، يظل الليل كله مُنسكباً أمام اللَّه في تضرع وصلاة بدموع وخشوع يشكره على محبته التي سمحت له أن يكون أهلاً أن يلمس جسده المقدس ودمه الكريم.

عاش أبونا مكاريوس بهذه المشاعر وظل الليل كله ساهراً في قلايته حتى دق جرس تسبحة نصف الليل، ذهب إلى التسبحة واشترك مع الآباء في التسبحة وعند ختامها دخل المذبح ليُصلي الصلوات السرية، ثم قام بفرش المذبح ثم خرج وفتح ستر الهيكل وبدء في صلاة رفع بخور باكر، وبعد نهايتها قام برشم التواني للآباء والشمامسة وصلاة مزامير القداس، ثم بدأ في صلاة القداس الغريغوري وكان يُصلي الصلوات الخاصة بالكاهن الخديم في القداس وفي صلوات التقديس كان حريصاً كل الحرص في تقسيمه للجسد وتوزيعه للأسرار الإلهية، وقد ظل حريصاً حتى آخر قداس له، انتهى القداس حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحاً وبعد القداس دقت الأجراس لتعلن فرحة الآباء باستلام الذبيحة، وذهب الآباء إلى المضيفة وقام أقدم الآباء كهنوتاً بتلاوة الوصية الخاصة بالكاهن فكان أبونا يستمع

بانصات شديد وبعد نهاية الوصية بارك له الآباء وذهب إلى قلايته ولم يخرج منها وقضى اليوم في صلاة وشكر للّه.

✤ ترقيته قمصاً:

"أَمَّا الشُّيُوخُ المُدَبِّرُونَ حَسَناً فَلْيُحسَبُوا أهلاً لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ" (١ تي ٥ : ١٧)

عن نظرته للكهنوت: قال القديس يوحنا الذهبي الفم: **"عظمة الكهنوت وكرامته يرتفعان فوق كل ما هو أرضي، إنه خدمة الملائكة، ولذلك وُجب على الكهنة أن يكونوا أطهاراً كالملائكة، الكهنوت في التدبير في العهد القديم كان نبيلاً ومُهاباً، لكنه يحسب تافهاً بلا معنى إن قورن بتدبير العهد الجديد، هنا الرب الإله نفسه يُقدّم ذبيحة، يالعجب محبة اللّه .... ذاك الذي هو متوج مع الآب في السماء يسمح لنفسه في الإفخارستيا أن تلمسه أيدي الجميع وتراه أعينهم، فعند صلاة الكاهن ينزل الروح القدس نفسه ليشعل النفوس بالذبيحة".**

بعد سيامة أبونا مكاريوس ظل حوالي ثلاث سنوات وشهرين كان خلال هذه الفترة مُواظباً على الصلاة وحضور القداسات، كما كان أميناً في عمله وقانونه الروحي وجاهد بكل ما أوتي من قوة، حارب الحروب الروحية بكل شجاعة وانتصر فيها بمعونة ربنا التي كانت تسنده وتؤازره، لذلك كان مؤهلاً لنوال درجة القمصية، في ذلك الوقت قام مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث بترشيح القمص أبادير السرياني للخدمة في كنيسة الأنبا أنطونيوس ببني غازي بليبيا، فلما علم بترشيحه للخدمة ذهب للأنبا ثاؤفيلس في قلايته وكلمه بدالة البنين قائلاً: "ماينفعش أروح الخدمة إلا وأنا قمص" ... فوافق الأنبا ثاؤفيلس على طلبه ووجدها فرصة ليقوم بترقية أبونا مكاريوس وبعض الآباء لرتبة القمصية.

وفي يوم الأحد الموافق ٢٠ يوليو ١٩٧٥م - ١٣ أبيب ١٦٩١ش، تذكار نياحة القديس أنبا بسنتاؤس أسقف قفط، ذهب الآباء كعادتهم للكنيسة لحضور القداس الإلهي وهم لا يعلمون شيئاً عن موضوع السيامة صلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس القداس وبعد صلاة الصلح أوقف سيدنا الصلاة ووقف أمام باب الهيكل ونادى بصوته الجهوري: **"أبونا فيلوكسينوس أبونا يوساب أبونا سلوانس أبونا أبادير**

أبونا مكاريوس أبونا باسيليوس أبونا تواضروس"، تقدم الآباء ووقفوا في صف أمام الهيكل وهم يُرتدون ملابس الخدمة فبدأ بإعطائهم الرشومات الثلاثة وقبل كل رشم كان يقول ندعوك يا فلان (....) قمصاً على مذابح دير السيدة العذراء السريان ببرية شيهيت، وبعد نهاية القداس دقت أجراس الدير تعلن فرحة الآباء بالسيامة وتجمع الآباء لكي يُباركوا ويهنئوا الآباء بنعمة القمصية.

✤ تزكيته للأسقفية:

"وأمَّا يَسُوعُ فَإِذ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزمِعُونَ أنْ يَأتُوا ويَختَطِفُوهُ لِيَجعَلُوهُ مَلِكاً انصَرَفَ أيضاً إِلَى الجَبَلِ وحدَهُ" (يو٦ : ١٥).

تميز أبونا مكاريوس بعلمه الغزير وثقافته الموسوعية في مجالات عديدة دينية وعلمية وثقافية، بالإضافة إلى ذلك كان ذو هيبة ووقار، وكان له محبة وغيرة شديدة على الكنيسة وإيمانها وطقوسها.

كان أب اعترافه مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث يعرف كل تفاصيل حياته ويعرف قدره وقيمته جيداً، فلذلك بعد نوال أبونا مكاريوس رتبة القمصية عرض عليه الخدمة في العالم في بلاد المهجر خصوصاً في أمريكا ولكنه رفض، ثم عرض عليه الأسقفية حوالي تسع مرات، في المرة الأولى أرسل له أحد الآباء الأساقفة لاستدعائه لمقابلته في المقر البابوي بدير الأنبا بيشوى ... جلس معه فترة طويلة يحاول إقناعه بقبول الأسقفية لكنه رفض بشهامة واتضاع، وتوالت المرات فكان في كل مرة يرسل له أحد الآباء الأساقفة ليحاول إقناعه، وكان من ضمن هذه المرات تذكيته على كرسي نجع حمادي وفرشوط ولكنه رفض، وفي المرة الأخيرة أرسل قداسة البابا شنوده للأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير للضغط عليه حتى يقبل السيامة فأرسل له الأنبا ثاؤفيلس القمص صموئيل تواضروس السرياني، كان القمص صموئيل ذو شخصية قوية وذكياً ومحاوراً بارعاً، كثيراً ما اعتمد عليه الأنبا ثاؤفيلس في قضاء المهام الصعبة وفي حل المشاكل المستعصية، كان مؤرخاً كنسياً قام بكتابة تاريخ البطاركة، جلس مع أبونا مكاريوس فترة طويلة تمتد

إلى عدة ساعات في حوار ساخن يحاول بكل الطرق والسبل أن يقنعه بالقبول، ولكن كان رد أبونا الوحيد الذي لم يعرف غيره كلمة **(لا)** كررها مرات عديدة.

كان بين أبونا وموضوع الأسقفية أو الخروج للخدمة باباً من حديد مُحكم الغلق يصعب اختراقه، فرغم الإلحاح والضغط الشديد من القمص صموئيل لكنه رفض بجدية وعزيمة وبعدما فشل في إقناعه ذهب إلى الأنبا ثاؤفيلس ليعلمه بالرفض وانتشر الخبر في الدير وفي اليوم التالي تقابل معه أحد الآباء وقال له: "أنا مستغرب لرفضك الأسقفية بهذه الشدة هو قدسك متعرفش تقول غير كلمة **(لا)**، تعلمنا من الآباء أنه عندما تعرض عليهم الخدمة يقولون أخذ فرصة أفكر ثم أرد، أو لما أصلي وأشوف إرادة ربنا، وأنت قافل الموضوع كده بدون تفاوض"، فرد عليه أبونا مكاريوس باتضاع: "أصلي أنا قفل مصدي"، ثم قال له: "يا أبونا أنا قلت لنفسي أنت مريض لازم تلازم المستشفى ازاي تخرجوني من المستشفى، ثم أن معنى كلمة راهب يعني موناخوس ومونو يعني متوحد، فكيف تخرجوني من قلايتي ومن وحدتي؟"، كان أبونا صادقاً مع نفسه ومع اللَّه ومع الناس، وعاش حياته كلها راهب قلاية يُضرب به المثل في ثباته بالدير والتزامه بقلايته وطقسه الرهباني، كان يرفض رفضاً باتاً الحديث عن تذكيته للخدمة والأسقفية وكان يُصلي من أجل البابا والأساقفة والكهنة والخدام.

✣ فترة التحفظ:

"فِي كُلِّ ضِيقِهِم تَضَايَقَ ومَلاَكُ حَضرَتِهِ خَلَّصَهُم. بمَحبَّتِه ورَأفَتِهِ هُو فَكَّهُمْ ورفَعَهُمْ وحَملَهُمْ كُلَّ الأيَّامِ القَدِيمَةِ" (إش ٦٣ : ٩).

من أصعب الفترات التي مرت على الكنيسة في العصر الحديث هيَ فترة التحفظ، بدأت عقب خطاب الرئيس السادات في مجلس الشعب في شهر سبتمبر ١٩٨١م حيث قام بإلغاء القرار الجمهوري بتعيين البابا شنوده الثالث، وقام بتشكيل لجنة من خمسة مطارنة وأساقفة للقيام بمهام قداسة البابا، وقد سبق ذلك القبض على ١٥٣٦ شخصاً منهم سبعة من الآباء الأساقفة وخوري ايبسكوبوس و ٢٤ كاهناً بخلاف العلمانيين من الأقباط والمسلمين، وتم تحديد إقامة البابا شنوده

بالدير وتوجهت العربات المُصفحة والمدرعات وقوات الأمن المركزي إلى دير الأنبا بيشوى، وتم التحفظ على قداسته بالمقر البابوي بدير الأنبا بيشوى، وأقام الأمن عليه حراسة مشددة، وتم منع الدخول أو الخروج من وإلى الدير، في هذه الفترة العصيبة كان أبونا القمص مكاريوس مُلازماً لقلايته لا يخرج منها إلا للذهاب إلى الكنيسة، وكان يُصلي من أجل سلام الكنيسة والدولة، خلال فترة الحصار لم يذهب لدير الأنبا بيشوى مُطلقاً.

وفي أحد الأيام أرسل إليه الأنبا صرابامون يطلب مقابلته ليطمئن عليه، فعندما ذهب إليه كان موجوداً مع قداسة البابا شنوده، بعد نهاية المقابلة مع البابا خرج هو والأنبا صرابامون وجلسا معاً في حديقة الدير لكي يعترف وفجأةً تركه الأنبا صرابامون وقام مُسرعاً لمقابلة بعض الأشخاص، وعند رجوعه سأل الأنبا صرابامون أبونا مكاريوس: "قدسك تعرف الناس دي" فأخبره أنه لا يعرفهم، فاستغرب الأنبا صرابامون لعدم معرفته لهم، قال له: "ده عبد الرحيم مدير الحصار"، وكان حينها معروفاً لجميع الآباء الرهبان، ولكن أبونا كان عايش في الدير في قلايته في حياة وحدة وصلاة ولم يتابع الأحداث، بعد أن قضى قداسة البابا مدة ٤٠ شهراً كاملة خرج يوم ٥ يناير سنة ١٩٨٥م، فذهب أبونا مكاريوس ليُبارِك له ويودعه، فتقابل مع عبد الرحيم مدير الحصار فقال له: **"أنا أول مرة أشوفك أنت مين؟" قال له: "مكاريوس (أبونا دايماً عندما كان يذكر اسمه يذكره بدون ألقاب)"، سأله: "من دير ايه؟"** قال له: "من دير السريان"، قال له: "كيف أقضي هذه المدة ولم أراك أنت كنت قاعد فين إحنا مخلناش شبر في الدير لم نفتشه"، أثناء الحوار أتى أحد الجنود يطلب منه أجازة بسبب ولادة زوجته فتدخل أبونا مكاريوس في الحديث وقاله: "ده عسكري غلبان تعبان معاك لازم تعطيه أجازة" رد عليه عبد الرحيم: "أنا عارف مش هاخد منك معلومة وعلشان خاطرك هأعطيه أجازة".

هكذا عاش أبونا مكاريوس في العالم، والعالم لم يعش فيه. لم يهتم بأخباره بل عاش يُصلِّي من أجل العالم.

✤ بناء قلاية منفردة:

"اجلس يا أخي في قلايتك وهيَ تعلمك كل شيء". (أنبا موسى الأسود)

بدأت فكرة بناء قلالي منفردة من داخل دير السريان العامر إذ كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير لا يميل إلى سُكنى الرهبان في مغائر خارج أسوار الدير وذلك من فرط حُبه لهم وخوفه عليهم من المخاطر وحروب الشياطين التي قد يتعرضوا لها، بدأت الفكرة في التنفيذ العملي عام ١٩٦٠م، حينما قام المتنيح نيافة الأنبا ثاؤفيلس بهدم مبنى القلالي القديم الذي كان مُلاصقاً للسور الأثري من الجهة القبلية، وذلك لكي يبني مكانه مبني القلالي الجديد الموجود حالياً، وكان المشرف على أعمال البناء في الدير في ذلك الوقت الراهب القس أنطونيوس السرياني (مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث) الذي قام بتخزين الحجارة والأخشاب لاستخدامها في بناء أسقف القلالي المنفردة، وكانت أولى القلالي التي بناها أبونا أنطونيوس من نصيب المتنيح أبينا **القمص متاؤس السرياني** في شهر أغسطس عام ١٩٦٠، تلاها بناء قلاية أخرى تبعد عنها قليلاً لأبينا المتنيح **القمص فلتاؤس السرياني** ثم توالى بعد ذلك بناء قلالي مُنفردة أخرى.

بعدما تدرب أبونا القمص مكاريوس على حياة الوحدة في قلايته بالدير الأثري من حبس الأيام والأسابيع وحياة الوحدة والسكون، وكذلك عمل بإخلاص وتفاني في كل الأعمال التي كلفه بها الدير، واجتاز فترة الحياة بالمجمع بنجاح، فقد كان محل تقدير وإعجاب الآباء الرهبان وكذلك كان رئيس الدير يقدره ويحترمه ويحبه لاستقامته.

اشتاق أن يحيا حياة الوحدة الكاملة بكل طقوسها وقوانينها وتدابيرها وتداريبها، كان يقرأ كثيراً في ميامر مار إسحق السرياني فاشتاقت نفسه والتهب قلبه بحب الوحدة والسكون، وكان ينتظر الوقت المناسب لكي يحيا وينطلق في هذه الحياة الملائكية بغير مانع ولا عائق، بعد نهاية فترة التحفظ أصبح الوقت مناسباً لبناء القلاية حيث زالت كل العوائق والمعطلات، لم يفكر أبونا في حياة المغارة لأنه لم يرغب في الخروج والعيشة خارج أسوار الدير، فعندما سأله أحد الآباء: "قدسك فكرت في حياة المغارة؟" رد عليه: "ممكن للراهب أن يعيش حياة المغارة في قلايته"،

ذهب إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف ورئيس الدير ليخبره في رغبته في بناء قلاية منفردة فوافق على الفور، ابتدأ يبحث في حديقة الدير على مكان مناسب لبناء القلاية **فاختار له مثلث الرحمات نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري** مكاناً قريباً من ماكينة البيدس (ماكينة تستخدم في سحب المياه).

كانت الإمكانيات ضعيفة في ذلك الوقت والعمالة غير متوفرة وكان يوم الأحد أجازة لعمال الدير، فحاول معه الآباء أن يشتغل يوم الأحد لوجود وفرة من العمال لكي يسرع من أعمال البناء ولكنه رفض رفضاً باتاً، اقترح عليه الآباء أن يعمل يوم الأحد في فترة البناء فقط وبعد ذلك لا يعمل يوم الأحد، لكنه قال لهم: "كيف أعمل في يوم الرب؟"، ظل أبونا يعمل في بناء وتشطيب القلاية أكثر من سنة وبعد الانتهاء من أعمال البناء ذهب الأنبا ثاؤفيلس ليُبارك له القلاية وسكن فيها في نفس اليوم حتى نهاية عمره في حياة وحدة كاملة.

❖ حديقة القلاية:

"لأن الراهب العمال لا يقبل البطالة لئلا يسقط" (القديس مرقس).

في بداية سكنى أبونا في القلاية المنفردة كان قد أنهى فترة عمله بالدير وتفرغ لحياة القلاية ففكر في نفسه أن يقوم بعمل يعبر به عن محبته للّه وللدير ولإخوته الرهبان، وكذلك حتى لا يشعر بالبطالة وأنه ليس له دور ويعيش على خبز الصدقة، قام بزراعة أشجار فاكهة متنوعة في كل أنحاء القلاية، زرع أشجار برتقال وأشجار يوسفي وأشجار ليمون وجوافة ومانجو وفي الأطراف زرع قصب وتين شوكي، كما قام بزراعة أصناف نادرة مثل الخروب والباباظ والقشطة، كان يقوم بفلاحة الحديقة بنفسه حيث يستخدم الفأس في شق الأرض وتقليبها وإزالة الحشائش، أجمع الآباء على أن حديقة أبونا مكاريوس لا يوجد بها حشيشة واحدة، كذلك كان يقوم بعملية الري بالغمر بنفسه، ويصنع الأسمدة بخلط الأحماض، كان يقوم بهذا العمل يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع يبدأ باكراً وينتهي وقت الظهيرة، وباقي الأسبوع لا يخرج من قلايته وفي السنوات الأخيرة عندما تراجعت صحته كان يساعده عامل في أعمال الري.

بالرغم من تعبه الشديد في فلاحة الأرض إلا أنه لم يأكل شيئاً من ثمار هذه الأشجار ولم يتذوقها، فلكي يعرف هل هذه الفاكهة نضجت أم لا كان يستدعى أحد العمال لكي يأكل منها ويتذوقها وعند نضجها يقوم بتوزيعها على قلالي الآباء وعندما سأله أحد الآباء: "لماذا لا تأكل من الثمار؟" كان يُجيب: "**دع البنون يشبعون أولاً**"، ومرة أخرى قال له: "دي بتاعة أصحابها".

كان لضيق اليد يأخذ فارغ شكائر الأسمنت ويلف بها أمراس الفاكهة ويقوم بتوزيع الأمراس * على القلالي بنفسه ولا يقبل أي مساعدة من أحد، في فترة تعبه كان يستخدم براويطة يحركها بنفسه وعندما حاول أحد الآباء مساعدته كان يرفض ويقول لهم: "**أنا بمشي وخطاياي تمشي ورايا**" كان يختار أوقات الظهيرة للتوزيع حتى لا يراه أحد وإذا رآه أحد كان لا يضع له مرس، وإذا شكره أحد الآباء كان يتضايق ويهرب من المديح، في مرة شاهده أحد الآباء يحمل كرتونة بها فاكهة على كتفه الساعة الواحدة ظهراً ومتجه إلى الجبل سيراً على الأقدام مسافة حوالي ٢ كيلومتر فعرض عليه توصيله بالعربة بعد إلحاح شديد وافق، ذهب ووضع الكرتونة أمام قلاية هذا الراهب ورجع سيراً على الأقدام، كان أحياناً لا يكفي محصول الحديقة، فكان يقوم بشراء الفاكهة وتوزيعها على الآباء، وكان في عيد الغطاس يحمل القصب على كتفه رغم كبر سنه ويقوم بتوزيعه على القلالي ويصعد به إلى الأدوار العليا، وفي موسم التين الشوكي يقوم بتقشيره وتوزيعه على قلالي الآباء.

† زراعة أشجار الخروب:

"**وَقَالَ اللَّهُ: لتُنبِتِ الأَرْضُ عُشباً وبَقلاً يُبزِرُ بزراً وشَجَراً ذَا ثمَرٍ يَعمَلُ ثمَراً كَجِنسِهِ بزرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ**" (تك ١ : ١١).

قرأ أبونا عن فوائد ثمار الخروب للصحة فأراد زراعته وسأل الآباء عن طريقة زراعته فلم يجبه أحد، سأل آباء من أديرة مجاورة قالوا له: "**متحاولش حاولنا وفشلنا**" وعندما لم يفده أحد قال في نفسه الكتاب المقدس يقول: "**إن كل ثمر يبذر بذراً كجنسه**"، قام بشراء ثمار الخروب واستخرج منها البذور وقام بزراعتها فنبتت

---

* الأمراس: تعني نصيب يوزع على الكُل بالتساوي.

ونمت وصارت شجرة كبيرة، استغرب الآباء من نجاح زراعتها لدرجة أنه بدأ يوزع شتلات لباقي الأديرة التي كانت ترغب في زراعتها، كذلك صبر أبونا على الشجرة حتى تُعطي ثمر جيد صالح للأكل لمدة ٢٢ سنة، وهناك شجرة أخرى صبر عليها ٣٠ سنة لم يقطعها حتى أثمرت.

✤ ذكريات يوم السيول:

"فَقَامَ وانْتَهَرَ الرِّيحَ وقَالَ لِلبَحْرِ: اسْكُتْ. ابكَمْ. فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ" (مر ٤ : ٣٩).

في ليلة الخميس الموافق ٢٠١٥/١١/٥ هطلت أمطار غزيرة على منطقة وادي النطرون سرعان ما تحولت إلى سيول ولم يكن الآباء يتخيلون أنها ستصل إلى هذا الحد، حاول أحد الآباء مساعدة أبونا مكاريوس فوجد الماء يدخل إليه من كل جانب من الباب والسقف والشبابيك، فاستخدم الأواني لنزح المياه لكن بدون فائدة ولما لم يمكنه السيطرة على الموقف اتصل بأحد الآباء في منتصف الليل يستنجد به قال له: **"إلحقني علشان القلاية غرقت"** ... فخرج أبونا من قلايته فوجد أمطاراً غزيرة، دخل مرة أخرى إلى القلاية ووضع طشت غسيل على رأسه ووصل إلى قلاية أبونا بصعوبة بالرغم من قربها من قلايته، كانت قلاية أبونا في مكان منخفض لذلك تراكمت بها المياه، وكانت المياه قد غطت سلالم القلاية فدخل بصعوبة واتجه نحو محبسة أبونا فوجد الماء دخل المحبسة، ولكنه توقف على بُعد نصف متر من سرير أبونا فأخذوا يخرجون الماء خارج القلاية وأبونا في حالة صلاة وتضرع للّه يتشفع بالآباء القديسين، فعندما اقتربت المياه من سرير أبونا فجأة لاحظ الآباء أن الماء أخذ في الانحدار والانحصار فاستطاع الآباء أن ينظفوا القلاية، وفي الصباح وجدوا أن قلالي كثيرة تأثرت بالماء لدرجة أن الآباء في مساحة معينة من الدير كانوا ينتقلون من قلاليهم إلى الكنيسة بواسطة مركب، كان انحصار الماء بسبب إنهيار السور الفاصل بين دير الأنبا بيشوى ودير السريان، وبسبب السيول ماتت أشجار كثيرة في حديقة أبونا وأصبح بعدها أبونا غير قادر على العمل في حديقة القلاية.

بالرغم من تعبه الشديد في فلاحة الأرض إلا أنه لم يأكل شيئاً من ثمار هذه الأشجار ولم يتذوقها، فلكي يعرف هل هذه الفاكهة نضجت أم لا كان يستدعى أحد العمال لكي يأكل منها ويتذوقها وعند نضجها يقوم بتوزيعها على قلالي الآباء وعندما سأله أحد الآباء: "لماذا لا تأكل من الثمار؟" كان يُجيب: "**دع البنون يشبعون أولاً**"، ومرة أخرى قال له: "دي بتاعة أصحابها".

كان لضيق اليد يأخذ فارغ شكائر الأسمنت ويلف بها أمراس الفاكهة ويقوم بتوزيع الأمراس* على القلالي بنفسه ولا يقبل أي مساعدة من أحد، في فترة تعبه كان يستخدم براويطة يحركها بنفسه وعندما حاول أحد الآباء مساعدته كان يرفض ويقول لهم: "**أنا بمشي وخطاياي تمشي ورايا**" كان يختار أوقات الظهيرة للتوزيع حتى لا يراه أحد وإذا رآه أحد كان لا يضع له مرس، وإذا شكره أحد الآباء كان يتضايق ويهرب من المديح، في مرة شاهده أحد الآباء يحمل كرتونة بها فاكهة على كتفه الساعة الواحدة ظهراً ومتجه إلى الجبل سيراً على الأقدام مسافة حوالي ٢ كيلومتر فعرض عليه توصيله بالعربة بعد إلحاح شديد وافق، ذهب ووضع الكرتونة أمام قلاية هذا الراهب ورجع سيراً على الأقدام، كان أحياناً لا يكفي محصول الحديقة، فكان يقوم بشراء الفاكهة وتوزيعها على الآباء، وكان في عيد الغطاس يحمل القصب على كتفه رغم كبر سنه ويقوم بتوزيعه على القلالي ويصعد به إلى الأدوار العليا، وفي موسم التين الشوكي يقوم بتقشيره وتوزيعه على قلالي الآباء.

† زراعة أشجار الخروب:

"**وَقَالَ اللَّهُ: لتُنبِتِ الأَرْضُ عُشباً وبَقلاً يُبزِرُ بزراً وشَجَراً ذَا ثمَرٍ يَعمَلُ ثمَراً كَجِنسِهِ بزرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ**" (تك ١ : ١١).

قرأ أبونا عن فوائد ثمار الخروب للصحة فأراد زراعته وسأل الآباء عن طريقة زراعته فلم يجبه أحد، سأل آباء من أديرة مجاورة قالوا له: "**متحاولش حاولنا وفشلنا**" وعندما لم يفده أحد قال في نفسه الكتاب المقدس يقول: "**إن كل ثمر يبذر بذراً كجنسه**"، قام بشراء ثمار الخروب واستخرج منها البذور وقام بزراعتها فنبتت

---

* الأمراس: تعني نصيب يوزع على الكُل بالتساوي.

ونمت وصارت شجرة كبيرة، استغرب الآباء من نجاح زراعتها لدرجة أنه بدأ يوزع شتلات لباقي الأديرة التي كانت ترغب في زراعتها، كذلك صبر أبونا على الشجرة حتى تُعطي ثمر جيد صالح للأكل لمدة ٢٢ سنة، وهناك شجرة أخرى صبر عليها ٣٠ سنة لم يقطعها حتى أثمرت.

✤ ذكريات يوم السيول:

"فَقَامَ وانتَهَرَ الرِّيحَ وقَالَ لِلبَحْرِ: اسْكُتْ. ابكَمْ. فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ" (مر ٤ : ٣٩).

في ليلة الخميس الموافق ٢٠١٥/١١/٥ هطلت أمطار غزيرة على منطقة وادي النطرون سرعان ما تحولت إلى سيول ولم يكن الآباء يتخيلون أنها ستصل إلى هذا الحد، حاول أحد الآباء مساعدة أبونا مكاريوس فوجد الماء يدخل إليه من كل جانب من الباب والسقف والشبابيك، فاستخدم الأواني لنزح المياه لكن بدون فائدة ولما لم يمكنه السيطرة على الموقف اتصل بأحد الآباء في منتصف الليل يستنجد به قال له: **"إلحقني علشان القلاية غرقت"** ... فخرج أبونا من قلايته فوجد أمطاراً غزيرة، دخل مرة أخرى إلى القلاية ووضع طشت غسيل على رأسه ووصل إلى قلاية أبونا بصعوبة بالرغم من قربها من قلايته، كانت قلاية أبونا في مكان منخفض لذلك تراكمت بها المياه، وكانت المياه قد غطت سلالم القلاية فدخل بصعوبة واتجه نحو محبسة أبونا فوجد الماء دخل المحبسة، ولكنه توقف على بُعد نصف متر من سرير أبونا فأخذوا يخرجون الماء خارج القلاية وأبونا في حالة صلاة وتضرع للّه يتشفع بالآباء القديسين، فعندما اقتربت المياه من سرير أبونا فجأة لاحظ الآباء أن الماء أخذ في الانحدار والانحصار فاستطاع الآباء أن ينظفوا القلاية، وفي الصباح وجدوا أن قلالي كثيرة تأثرت بالماء لدرجة أن الآباء في مساحة معينة من الدير كانوا ينتقلون من قلاليهم إلى الكنيسة بواسطة مركب، كان انحصار الماء بسبب إنهيار السور الفاصل بين دير الأنبا بيشوى ودير السريان، وبسبب السيول ماتت أشجار كثيرة في حديقة أبونا وأصبح بعدها أبونا غير قادر على العمل في حديقة القلاية.

فضائله

"فيَكُونُ كشَجَرَةٍ مَغرُوسَةٍ عِندَ مَجَارِي المِيَاهِ الَّتِي تُعطِي ثمَرَهَا فِي أوَانِهِ وورَقُهَا لاَ يَذبُلُ. وكُلُّ مَا يَصنَعُه يَنجَحُ" (مز ١ : ٣).

الفضائل بالنسبة للراهب أو لأي إنسان مسيحي هيَ الثمار التي يجنيها نتيجة تعبه في جهاده الروحي، ويشرح لنا الإنجيل المقدس في عدة آيات كيف يأتي جهاد الإنسان بثمار حلوة المذاق.

(١) **أن تكون الشجرة مغروسة عند جداول المياه:** ويصف السيد المسيح في أحاديثه مع السامرية الماء بالماء الحي "لَطلَبْتِ أنْتِ مِنهُ فَأعطَاكِ مَاءً حَيّاً" (يو ٤ : ١٠). والماء الحي هو الماء المتحرك مثل الماء الناتج من جداول المياه، وليس الماء الراكد الموجود في البرك والمستنقعات حيث تكون رائحته كريهة كذلك "المَاءُ الَّذِي أُعطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنبُوعَ مَاءٍ يَنبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يو ٤ : ١٤).

الشجرة المغروسة على مجاري المياه تُعطي ثمرها في حينه، بالتالي يكون مُكتمل النضج حلو المذاق، فمن المعروف أن جذور الشجرة تنمو وتنتشر في اتجاه الماء وكلما كان المجموع الجذري قوى كان المجموع الخضري قوى وبالتالي كانت الثمار وفيرة وكثيرة وكبيرة الحجم حلوة المذاق.

(٢) "يُثمِرُونَ بالصَّبرِ" (لو ٨ : ١٥) فلكي يثمر الإنسان لا بد من الصبر فكيف يطلبون ثمر شجرة لم يكتمل نموها ولم تخرج أوراق وزهور.

(٣) "يُثمِرُونَ فِي الشَّيبَةِ. يَكُونُونَ دِسَاماً وخُضراً لِيُخبِرُوا بأنَّ الرَّبَّ مُستَقِيمٌ. صَخرَتِي هُوَ ولاَ ظُلمَ فِيهِ" (مز ٩٢ : ١٤ ـ ١٥).

غالباً ما يكون الثمر في الشيخوخة حتى يصل الإنسان إلى مرحلة الطفولة الروحية "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرجِعُوا وتَصِيرُوا مِثلَ الأوْلاَدِ فَلَنْ تَدخُلُوا مَلكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت ١٨ : ٣)، تكون طفولته في بساطة ووداعة وطهارة.

(٤) **لا بد أن يثبت الغصن في الكرمة:** "أنَا الكَرمَةُ وأنتُمُ الأغصَانُ. الَّذِي يَثبُتُ فِيَّ وأنَا فِيهِ هَذَا يَأتِي بثَمَرٍ كَثِيرٍ" (يو ١٥ : ٥)، لكي يأتي الغصن بثمر كثير

لا بد أن يثبت في الكرمة (شجرة العنب) ... "**مَنْ يَأكُلْ جَسَدِي ويَشرَب دَمِي يَثبُتْ فِيَّ وأنَا فِيهِ**" (يو٦ : ٥٦). فلكي يثبت الإنسان في المسيح لا بد من تناول جسد المسيح ودمه، فجسد المسيح ودمه بمثابة الغذاء للغصن. فنقول في صلاة القسمة: "ثبتني فيك غصناً حياً أيها الكرمة الحقيقة" ..... "**إنْ كَانَ أحَدٌ لاَ يَثبُتُ فِيَّ يُطرَحُ خَارِجاً كَالغُصنِ فَيَجِفُّ ويَجمَعُونَهُ ويَطرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحتَرِقُ**" (يو١٥ : ٦)، هدد السيد المسيح الغصن غير الثابت فيه بأنه مُهدد بالجفاف وبالتالي بعدما يجف يطرحونه في النار.

(٥) "**مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعرِفُونَهُمْ**" (مت ٧ : ١٦) كل إنسان له ثمار تميزه عن الآخر فكان الأنبا إبرآم أسقف الفيوم يتميز بفضيلة العطاء، وكان الأنبا موسى الأسود يتميز بالمحبة، وكان الأنبا أرسانيوس مُعلِّم أولاد الملوك يتميز بالدموع، لقد تميز أبونا القمص مكاريوس بفضائل عديدة، وكما نقول على السيدة العذراء في التسبحة الكيهكية "**كل الفضائل التي تفرقت في القديسين تجمعت فيكي**".

أبونا مكاريوس تشبه بالسيدة العذراء أمه في اقتناء الفضائل المتعددة عن طريق الثبات في الدير وحياة القلاية، فكان مثالاً يُحتذى به في الثبات، كذلك الثبات في المسيح عن طريق التناول فكان مواظباً على التناول، وحتى ساعة انتقاله إلى السماء كانت بعد تناوله للجسد والدم الأقدسين بعدة دقائق.

سوف نقتصر في الكلام عن الفضائل التي اقتناها أبونا من خلال مصدرين استقى منهما فضائله وهيَ: فضائل إنجيلية، وفضائل رهبانية.

❖ أولاً: الفضائل الإنجيلية:

"**فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإنجِيلِ المَسِيحِ**" (في ١ : ٢٧).

يعتبر الكتاب المقدس ركن هام وركيزة أساسية في حياة الراهب وقانون روحي يومي، عاش أبينا الحبيب مُحباً للكتاب المقدس شغوفاً بقراءته، ففي بداية حياته الرهبانية طلب من أب اعترافه أن يسمح له بقراءة سفر كامل من الكتاب المقدس

يومياً، لكن أب اعترافه رفض ونهاه عن ذلك، كان يقرأ الكتاب المقدس فترات طويلة خصوصاً أثناء الليل وأحياناً صباحاً، وقد تمتد فترة القراءة إلى عدة ساعات، كان يقرأه باتضاع وخشوع وتركيز شديد وبروح الصلاة متأملاً في كلماته وأحداثه وقصصه، وكتب كثيراً من التأمُّلات والدراسات، كان يدون الوعود الإلهية ويستخدمها مع بعض الآيات كمادة للصلاة.

عاش كما يحق لإنجيل المسيح فكان يطبق الإنجيل عملياً في حياته فصار إنجيلاً معاشاً، والأسفار المقروءة صارت كتاباً مفتوحاً في حياته، فكنا نرى الكتاب المقدس مقروءاً ومشروحاً ومُفَسَراً في تعاملنا معه.

من كثرة مداومته ومواظبته على قراءة الكتاب المقدس حفظ أجزاء كاملة منه عن ظهر قلب بشواهدها خصوصاً رسائل مُعلِّمنا بولس الرسول التي كان يحبها جداً ويحب كاتبها ويقول عنه فيلسوف المسيحية، لم يكتفي أبينا الحبيب بالقراءة فقط، بل كان دارساً وباحثاً في الكتاب المقدس، فدرس تفاسير الآباء للكتاب المقدس، وكان عندما يعسر على أحد الآباء فهم بعض الآيات كان يذهب إليه فيشرحها ويوضحها له بأسلوب بسيط، وعندما كان هذا الأب يقرأ في تفاسير الآباء كان يجد أن كلام أبينا الحبيب الذي سمعه منه مطابقاً لتفاسير الآباء، كان في حديثه مع الآباء دائماً ما يستعين بآيات وقصص من الكتاب المقدس.

واظب أبونا على قراءة الكتاب المقدس حتى الأيام الأخيرة من حياته، ولكن عندما أصبح طريح فراش كان الآباء يذهبون إليه ليقوموا بالقراءة له فترة طويلة في اليوم.

﴿١﴾ **"وأَمَّا أَنَا فَحَاشَا لِي أَنْ أُخطِئَ إِلَى الرَّبِّ فَأَكُفَّ عَنِ الصَّلاَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ، بَلْ أُعلِّمكُمُ الطَّرِيقَ الصَّالِحَ المُستَقِيمَ"** (١ صم ١٢ : ٢٣).

كان أبونا القمص مكاريوس السرياني حنوناً مُحباً للكل، وحين يأتي إليه أحد الآباء ويطلب الصلاة من أجله أو من أجل أحد أحبائه كان يهتم كثيراً ويُصلي بعمق واخلاص ولجاجة وإحساس وتركيز عالي، فكان يعتبر التقصير في الصلاة من أجل الآخرين خطية، كان يُطبق الآية التي تقول: **"صَلُّوا بَعضُكُمْ لأجْلِ بَعضٍ**

لِكَيْ تُشفَوا" (يع ٥ : ١٦). فكان لا يكتفي بالصلاة بمفرده بل كان يشارك الآباء في الصلاة من أجل من طلب منه الصلاة، كنت ألاحظ الاهتمام الشديد لأبينا الحبيب بمشاكل وهموم الناس، فكان دائماً يقول لي: "الناس تعبانة ... الناس عندها مشاكل وهموم صعبة ..." كان يقولها بأسى وحزن.

وكما نُصلي في أوشية الإنجيل ونقول: "**اذكر يا رب الذين أوصونا وأمرونا أن نذكرهم في صلواتنا وطلباتنا**"، فكان يعتبر طلب الصلاة بمثابة أمر، فكان يظل يُصلي من أجل طالب الصلاة حتى بعد حل مشكلته، فعندما كنت أذهب لزيارته ومعي مجموعة من الأشخاص وفي نهاية الزيارة كان يُصلي لهم ويستمع لمشاكلهم ... وبعد فترة طويلة أزوره مع نفس الأشخاص كنت أسأله: "قدسك فاكر الناس دي؟"، كان يقول لي: "طبعًا كيف أنساهم"، وكان يذكر أسمائهم وأحياناً اسم الشخص واسم والده، فكان يصيبني الاستغراب والدهشة، كيف في شيخوخته وأمراضه وآلامه يحفظ أسماء الذين يزورنه وما قالوه له في زيارتهم السابقة، بعد فترة طويلة تحققت من الأمر فعرفت أن أبينا الحبيب بعد مقابلته مع الآخرين يظل يُصلي يومياً من أجل كل من يتقابل معه، ولذلك يحفظ أسمائهم وطلباتهم، ونذكر بعض المواقف منها:

١ـ **أحد شباب المهجر من المقربين** لأبينا الحبيب كان تزوج من مصر وقبل زواجه زار أبونا وطلب منه الصلاة لأنه متخوف من سفر زوجته معه للمرة الأولي لئلا يمنعوها من دخول البلد وذكر له ميعاد سفره ... ظل أبونا يُصلي من أجله، وفي يوم سفره قال لأبونا الموجود معه صلي من أجل الأستاذ (فلان) باقي له ٨ ساعات ويركب الطائرة .. أخذ يُصلي من أجله بلجاجة طوال اليوم وفي منتصف الليل اتصل بأحد الآباء وقال له طمني على (فلان) هل وصل هو وزوجته بالسلامة؟ ولم يهدأ له بال حتى إطمأن على وصولهم.

٢ـ **قابلته سيدة في دير الأنبا بيشوى وطلبت منه الصلاة** لأن لها ٢٢ سنة بدون نسل وبعد ما رجع إلى قلايته وأثناء تناول الطعام توقف عن الأكل وسأل أبونا الموجود معه: "هيَ الست اللي قابلتنا اسمها ايه؟" وظل فترة طويلة يُصلي من أجلها.

٣ـ **في الكنيسة أعطى له أحد الأشخاص** ورقة بها طلب صلاة وعندما رجع إلى قلايته خلع الجلابية الخاصة بالكنيسة ليستبدلها بجلابية القلاية فأخذ أبونا الموجود معه الجلابية لكي يطبقها فقال له: "انتظر فيه ورقة صلاة في الجلابية" فأعطاها له ثم طبق الجلابية، كان من عادته أن يعمل عدة نسخ من ورقة الصلاة ويضعها في أماكن متفرقة من قلايته وعند توجهه لهذا المكان يأخذ الورقة ويُصلي بلجاجة من أجل الأسماء المذكورة فيها.

٤ـ **أعطى له أحد الآباء** ورقة بها اسم ليذكره في الصلاة فرفض وقال له: "الورقة دى لقدسك" ووضعها جانباً ... وعند خروج أبونا وعودته بشكل مُفاجئ وجد أبونا يمسك الورقة ويُصلي بأنات ... وعندما أحس به قال: "مخدتش الورقة ليه علشان تصلي لصاحبها يا حبيبى؟".

﴿٢﴾ **"لأَنَّ مَحَبَّةَ المَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابتَغَاهُ قَومٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وطَعَنُوا أَنفُسَهُمْ بأَوجَاعٍ كَثِيرَةٍ"** (١ تي ٦ : ١٠).

كان هناك عداوة شديدة بين أبينا الحبيب والمال، فكان لا يحبه ولا يهتم به إطلاقاً ولا يسعى لاقتنائه ولا الاحتفاظ به، بل كان سريعاً ما يتخلص منه.

ففي أثناء عمله في العالم كان يضع مرتبه الشهري في شباك في المنزل، وكان إخوته يأخذون منه، فقالت له والدته: "الفلوس دي أنت تعبان وشقيان فيها ما ينفعش تسيبها كده"، فكان يقول لها: "اللي عايز فلوس يأخذ".

بعد رهبنته كان يحتفظ بالنقود في مظروف وإذا عرف أن أحد الآباء أو عمال الدير يعاني من ظروف مادية صعبة أو احتياج مادي كان يرسل له مبلغ من المال مع أحد الآباء ويتركه في دولابه وينصرف مُسرعاً حتى لا يعرف مصدره.

لبُعده عن العالم كان لا يعرف القيمة الشرائية للنقود أو الفئات النقدية التي ظهرت بعد دخوله الدير، فأحياناً كان يُعطي لأحد الآباء مبلغ ٢٠٠ جنيه على أنه ٢٠ جنيهاً أو العكس، وأحياناً يُعطى أحداً ليشتري له شيء ويُعطى له قيمة غير متناسبة مع ثمنها، وكان لا يعرف مقدار ما يملك من النقود، فكان مثلاً يقول لأحد الآباء: "أعطِ أبونا فلان ٥٠٠ جنيه" وهو لا يملكها، وعندما كان يذهب إلى

كانتين الدير ليشتري علبة بسكويت ليُجامل بها أحد الآباء كان يُعطي المظروف وبداخله النقود للأب المسئول ويقول له: "خذ اللي عايزه من الفلوس".

كان لا يذهب إلى الكنيسة بمال مُطلقاً، لأنه كان يعتبر المال إله آخر بجوار اللَّه، كان دائماً ينصح الآباء **"لا تقتني مالاً ولا أشياء زائدة عن حاجتك الضرورية، اجعل اتكالك على المسيح"**، أثناء تمشية أبونا في الدير قابله أحد الآباء فأحب أن يعلمه درساً فقال له: "معك فلوس؟" فأخرج له مبلغ كبير من المال وأعطاه له .. فقال له: "خليها معك لما أكون مُستعد إني أشيل فلوس أبقى أخذها منك"، وقال: "تعالى شوف يا أبو مقار ولادك الرهبان بيشيلوا فلوس".

وحين يشتكي له أحد الآباء باحتياجه للمال كان يقول له: **"اطلب من ربنا بإيمان وهو يُعطيك ... اللي عند ربنا أقرب من اللي في جيبك"**.

﴿٣﴾ "بَلْ لِيَكُنْ كَلامكُمْ: نَعمْ نَعمْ لاَ لاَ. ومَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُو مِنَ الشِّرِّيرِ" (مت ٥ : ٣٧).

أبونا كان في كلامه و**مواقفه واضح وصريح ... كتاب مفتوح لا يعرف اللف ولا الدوران والمراوغة والمجادلة بل كان يحيا بالاستقامة قوي الشخصية** يعرف متى يقول نعم ومتى يقول لا، كان يقول نعم باتضاع وانسحاق وخضوع شديد لكل ما يتناسب مع منهجه الروحي وطقسه الرهباني، ويقول "لا" لكل ما يعوقه ويخرجه عن وحدته وطقسه الرهباني، بصرف النظر عن مكانة ورتبة الشخص ومحبته وتقديره له، وكان لا يُبالي بالمشاكل والضيقات التي قد يتعرض لها من قوله كلمة "لا" ... وعندما كان يقول "لا" كان يقولها باقتناع واصرار شديد، ولا يستطيع أحد أن يثنيه عنها، وهناك أمثلة عديدة نذكر منها:

+ رأينا سابقاً في عمله في مصنع السكر عندما حاول المدير أن يضغط عليه ويجبره على كتابة تقارير مخالفة للواقع رفض وتعرض لضيقات عديدة ومشاكل كثيرة بسبب رفضه وقوله كلمة "لا".
+ كذلك عندما عرضت عليه الأسقفية رفض وقال "لا" ... لم يرفض كرامة الأسقفية بل رفض أن يترك حياة الوحدة والتأمُّل وينزل إلى العالم، لأنه كان يؤمن أن الراهب هو راهب قلاية وطريقه يختلف عن طريق الخدمة.

+ عقب سيامة مثلث الرحمات البابا شنوده بطريركاً وفي أول زيارة له لدير السريان في نهاية الزيارة طلب البابا شنوده من مثلث الرحمات الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير راهباً من الدير ليرافقه في زيارته لدير البراموس، فرشح له القمص مكاريوس السرياني، عرض قداسة البابا الأمر على القمص مكاريوس فرفض .... حاول الأنبا ثاؤفيلس الضغط عليه بشتى الطرق ولكنه كان يقول له: "حاللني يا سيدنا أنا مش هطلع من الدير". حكي لي أبونا هذه القصة عدة مرات وفي نهايتها كان يقول: "يعلم اللَّه الأنبا ثاؤفيلس قعد فترة طويلة كسر دماغي كان يقول لي: **حد يقول لبابا الكنيسة لا!!**".

٤ "اِسهَرُوا. اثبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالاً. تَقوَّوا" (١ كو ١٦ : ١٣).

عاش أبونا حياة السهر الروحي في انتظار العريس السمائي، فعندما أعطاه أب اعترافه الأنبا شنوده تدريب روحي ألا ينام أكثر من ساعتين مُتصلتين، نفذ أبونا هذا التدريب بدقة متناهية، فكان يظل طوال الليل في حالة يقظة يُقاوم النوم كمن يُقاوم عدو لدود يُريد أن يسرق منه عمره، فكان ينام ساعتين فقط في اليوم كان يضبط المنبه على ميعاد الاستيقاظ وكان يستيقظ في ميعاده حتى ولو نام قبل ميعاد المنبه بدقائق قليله وهذا كان يحدث كثيراً.

عود جسده ودربه على السهر حتى وصل أنه ظل ثلاثة أيام ونصف بدون نوم، كان قد وضع لنفسه تدريب عند الاستيقاظ من النوم يقوم فوراً ويترك الفراش مُسرعاً بدون إبطاء أو استرخاء.

وبالإضافة لحياة السهر الروحي كان يحيا الإيمان الأرثوذكسي بكل معانيه مُتمسكاً به حتى آخر أيام حياته، سمعته مرات عديدة يردد هذه الطلبة **"احفظنا في الإيمان الأرثوذكسي للنفس الأخير" (طلبة القداس الكيرلسى).**

وكان عندما يسمع أن أحد الأشخاص انحرف عن الإيمان والعقيدة وعلم تعليم مُخالف لتعاليم الآباء كان يُصلي من أجله ويشرح ويوضح للآباء الإيمان المُستقيم ويدافع عنه، وإذا سمع أحد من الآباء يغير في ألفاظ القداس أو ينطق كلمة خطأ فكان في أدب شديد يشرح له المعنى ويُطالبه بالالتزام بالألفاظ، وحدث هذا معي كثيراً.

كذلك عاش الرجولة الروحية في كل جوانب حياته، مرة سألته: "كيف أتخلص من السرحان في الصلاة؟" فأجاب: "تقف في الصلاة برجولة".

عاش برجولة في قلايته فكان بمثابة الأسد الذي يدافع عن عرينه فكان إذا دخل إلى قلايته وأغلق بابها لا يستطيع أحد أن يقترب إلى قلايته أو يخترق خلوته ووحدته مع اللَّه، كذلك كان مثالاً للرجولة في وقفته في الكنيسة، في جديته في الكلام، في استقامته، وكان يستمد قوته من اللَّه الذي عاش معه بأمانة وجدية، فكان له هيبه ووقار واحترام من الجميع.

﴿٥﴾ "لأعرِفَهُ، وقُوَّة قِيَامَتِهِ، وشَرِكَة آلاَمِهِ، مُتشَبِّهاً بمَوتِهِ" (في ٣ : ١٠).

كان أبونا يعيش واضعاً آلام المسيح وصليبه أمام عينيه دائماً في كل يوم من أيام حياته، مرة سأله أحد الآباء: "كيف أعيش حياتي الرهبانية بجدية كما عشتها؟" فأجابه: **"تعيش كل يوم لك في الدير كأنه يوم الجمعة العظيمة تخرج من ساعة إلى ساعة وتعيش أحداث الصلب".**

كان أبونا في أسبوع الآلام يصوم من خميس العهد حتى العيد صوماً إنقطاعياً، وكان يصوم أسبوع الآلام على الخبز والملح فقط، ويأكل وجبة واحدة في اليوم، وكان يذهب إلى صلوات البصخة لابساً شالاً أسود يُغطي مُعظم وجهه حتى لا يرى أحد دموعه وهيَ تسيل بغزارة أثناء الصلاة ... كان يعيش أسبوع الآلام كمن هو في جنازة.

واعتاد دائماً أن يتذكر أحداث الآلام في الأيام العادية طوال الأسبوع، كان يوم الأربعاء يتذكر خيانة يهوذا ويبكت نفسه على تقصيره وتوانيه، وكان يوم الجمعة يتذكر أحداث الصلب ويقول لنفسه: "أنت ميت ولازم تصلب نفسك"، ويوم الأحد يتذكر أحداث القيامة، كان يضع ستر عن يمينه وعليه صورة الصليب وآخر عن يساره، وكان يُقدس فراشه قبل النوم بصلاة المزامير، وكان يردد كلمات الصالبين: "**إن كنت ابن اللَّه فخلص نفسك وخلصنا"... ويحاسب نفسه ويقول بصوت مسموع: "المسيح اتصلب بجواره لصين واحد عن يمينه والآخر عن يساره ... أنت مين فيهم؟!" ... وكان يذكر أب اعترافه وحاجته للاعتراف**

ويُصلي من أجل الكنيسة والبابا والأساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين إلى أن يستغرق في النوم.

﴿٦﴾ **"فَقَالَ: أَنَا اللَّهُ إِلَهُ أَبِيكَ. لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُولِ إِلَى مِصرَ"** (تك ٤٦ : ٣).

عندما ذهب أبونا إلى الرهبنة قرر مع نفسه ألا يعود إلى العالم مرة أخرى مهما كانت الأسباب أو الظروف أو الملابسات، فبمجرد وصوله إلى الدير قام بتمزيق بطاقته الشخصية ووضعها في سلة المهملات، وامتنع عن أي شيء يربطه بالعالم ولكنه في مراحل حياته الرهبانية تعرض لأمراض كان ينتج عنها آلام تستدعي نزوله إلى العالم، ولكنه كان يتحمل الآلام ويرفض النزول إلى العالم.

عندما علم أب اعترافه مثلث الرحمات الأنبا صرابامون رئيس دير الأنبا بيشوى بمرضه ورفضه التام للنزول إلى العالم للعلاج، عرض عليه أن يجهز له عربة خاصة بستائر ينزل فيها إلى مصر فلا يرى أي شيء في ذهابه وعودته، وأعطاه الحِل كأب اعتراف له ولكنه رفض.

عاش أبونا حوالي حوالي ٣٠ سنة في الدير لم ينزل إلى العالم ولا حتى رأى أسوار وبوابة الدير، ولكنه في عام ١٩٩٩م، أُصيبت عيناه بالمياه البيضاء مما أعاقه عن القراءة والصلاة، فاحتاج للنزول إلى القاهرة لإجراء عملية جراحية بالعينين، وعندما قرر الأطباء أنه لا بد من إجراء العملية وافق مرغماً على النزول، ولكنه بعد إجراء العملية في العين الأولى أصر أن تجرى العملية في العين الأخرى بعد أسبوع واحد، وبعدها عاد إلى الدير ورفض النزول للاستشارة والمتابعة.

المرة الثانية في عام ٢٠١٢م احتاج لإجراء عملية فتاق الذي كان يعوقه في عمله في حديقة القلاية، فنزل إلى القاهرة، وبعد إجراء العملية عاد إلى الدير مباشرة ورفض البقاء في المستشفى، ثم بعد ذلك توالت الأمراض فاحتاج النزول إلى المستشفى بمعدل مرة كل عام، في البداية كان يرفض نزول أحد الآباء معه كمرافق، فعندما سألوه لماذا ترفض ... قال: "هيعطلني وأعطله عن القانون الروحي".

في مرات عديدة كان يجمع الأطباء على الضرورة الشديدة لنزوله للعلاج، ولكنه كان يرفض بشده ويبكي بحرقة ويتشفع بالقديسين حتى لا ينزل إلى العالم،

وعندما يصر بشدة على عدم النزول، يلجأ الآباء الرهبان الأطباء إلى سيدنا نيافة الأنبا متاؤس رئيس الدير لكي يُعطيه حِل بالنزول، فيوافق أبونا مكاريوس على النزول طاعةً لرئيس الدير.

﴿٧﴾ "أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ وَشَرِيكُكُمْ فِي الضِّيقَةِ وَفِي مَلَكُوتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَصَبْرِهِ" (رؤ ١ : ٩)

كان أبونا يشعر أن جميع رهبان الدير إخوة له، يحبهم من كل قلبه ويُشاركهم في أفراحهم وأحزانهم وضيقاتهم وآلامهم ومشاكلهم وتجاربهم بأسلوب مباشر أو غير مباشر، فعند زياره أسرة أحد الآباء له كان يذهب إلى قلاية هذا الأب ويضع أمام باب القلاية كرتونه بها ثمار فاكهة من حديقة قلايته، وأيضاً عند رهبنة الآباء أو سيامتهم كهنة يهدي لهم علب البسكويت وعصائر في دولاب قلاية الأب الراهب صاحب المناسبة وينصرف مسرعاً دون أن يراه أحد.

وعندما يتوفر لديه مبلغ من المال يقوم بشراء بعض الضروريات ويوزعها على قلالي الآباء، وإذا تعرض أي راهب لضيقة فإنه يلتجئ للصلاة إلى اللّه من أجله، كأنه هو صاحب هذه الضيقة ويشعر بمرارتها.

وليس غريباً على أبونا مكاريوس بسبب صلواته الكثيرة المتواترة والتزامه بطقسه الرهباني الأصيل ووحدته داخل قلايته فترات طويلة ممتدة مما ساعده للوصول إلى قامة روحية عالية جداً فإنه تلقائياً كان يشعر بالآباء وما يمرون به من أتعاب أو حروب داخل قلاليهم، فيسندهم ويؤازرهم بصلاته، وذلك دون أن يعلمه أحد بأية تفاصيل ضيقات أو حروب تخص هؤلاء الآباء ... ومن ذلك نذكر على سبيل المثال القصص التالية التي حدثت فعلياً مع بعض آباء الدير:

١ـ حكى أحد الآباء أنه بعد التحاقه بالدير وفي إحدى الليالي حدثت له مضايقات من عدو الخير، فظل الليل ساهراً يُصارع في قلايته بدون معرفة وفهم ودراية وخبرة بهذه الأمور، لكن بمعونه اللّه مرت هذه الليلة

بسلام، بعد عدة أيام ذهب لزيارة أبينا الحبيب في قلايته وجلس معه فترة طويلة في حديث روحي في مواضيع رهبانية متعددة، وفجأة ابتدأ أبونا يحكي له تفاصيل الليلة السابقة وكأنه قضى الليل بجواره، أُصيب الراهب بالاستغراب والدهشة والذهول لأنه لم يحكي لأحد حتى أب اعترافه، ولكنه أحس بالفرح والطمأنينة لأن اللّه أرسل له أبونا مكاريوس ليسنده ويعضده في جهاده في هذه الليلة الصعبة، جلس معه فترة طويلة وفي نهاية الجلسة أعطاه الإرشاد الروحي الذي يُقاوم به هذه الحروب والمضايقات في المرات القادمة.

٢- أحد الآباء أثناء فترة الاختبار كان يعمل بقصر الضيافة بالدير وفي أحد الأيام خرج من العمل مُتضايقاً ومُتذمراً من كثره العمل الذي لم يُمارسه في حياته في العالم من قبل، فجأةً وجد أبونا مكاريوس أمامه وقال له بدون مقدمات: "لما تروح القصر وتلاقي الأطباق والحلل مرمية في الحوض والشغل كتير متزعلش ومتتذمرش، خد بركة وما تقولش أنا تعبان" ... سأله أبونا: "هو قدسك عرفت إني تعبان من مين؟"، رد عليه: "حسيت بكده" ...، قال له أبونا: "ربنا بعتلي كلام تعزيه على لسان قدسك" ... فأجابه أبونا مكاريوس باتضاع: "حمارة بلعام تكلمت" ... في نهاية الحديث أوصاه أن يُصلي كثيراً، ثم قال له: "لما يطلعوك من التسبحة، أو من القداس علشان الشغل ربنا مش ها يزعل منك إنك طلعت من الكنيسة لأن دي أمانة في العمل".

٣- أحد الآباء بعد التحاقه بالدير حديثاً وكان طبيباً في أثناء وجوده في بيت الخلوة تقابل معه أحد الآباء في حديقة بيت الخلوة وقال له: "لماذا تركت عملك بالعالم وأتيت إلى الدير؟ كنت انتظرت فترة في العالم"، وأثناء الحديث فوجئ بأبينا الحبيب يأتي مُسرعاً من خلفه وأمسك بيده وتمشى معه رغم أنه لا يعرفه من قبل ... وقال له: "أوعى تندم إنك أتيت إلى الرهبنة ... أنت تقول كما تقول القطعة الرابعة في المزمور الكبير "**إني اخترت طريق الحق**".

﴿٨﴾ "اسلُكُوا بالتَّدقِيقِ، لاَ كجُهَلاَءَ بَلْ كحُكَمَاءَ، مُفتَدِينَ الوَقتَ لأنَّ الأيام شِرِّيرَة" (أف ٥ : ١٦)

كان أبونا يفعل كل شيء بالتزام وتدقيق حتى الأمور البسيطة، فهو مُلتزم بكل دقة بقانونه الرهباني اليومي، كذلك كان مُدققاً جداً في كلامه وكان يصحح الخطأ في كلام الآخرين، فعندما كان يقول له شخص: "صلي لي" فكان يرد عليه: "أنت مش إله عشان أصلي لكَ ... اسمها اذكرني في صلاتك أو صلي من أجلي ...". وفي نياحة أحد الآباء عندما كان يقول له أحد: "البقية في حياتك أو طولة العمر ليك"، كان يرفضها ويقول له: "تقول ربنا يعزيك".

كان يفعل كل شيء بإتقان حتى غسيل الأطباق ولف الفاكهة في ورق وتقطيعه للقصب كل قطعة ثلاث عقل متساوية ثم يربطهم برباط ليسهل على الراهب استخدامهم.

يحافظ على وقته عملاً بقول الأنبا أنطونيوس: "**لا تدعوا هذا الزمان اليسير يسرق منكم الحياة الأبدية**"، أبونا قضى فترة طويله في رهبنته لا يخرج من قلايته وكان دائماً يقول للآباء: "اللي يعرف إنه وراه جبل من القوانين والالتزامات الروحية لا يخرج من قلايته"، **كان دائماً يقول: "اللب والتسالي لا تليق بالراهب وهيَ مضيعة لوقته، والراهب ليس لديه وقت لها"، كان لا يملك موبايل ولا كمبيوتر، وكان دائماً يقول: "عن طريق الموبايل يغزو العالم قلاية الراهب"**، كان ينصح الآباء ويقول لهم: "نظم يومك كمن وراءه إمتحان صعب بعد أيام قليلة ولديه الكثير ليفعله" ... كان يعنف نفسه بشدة عند ضياع الوقت وكان يقول لنفسه: "أديك ضيعت الوقت مش بتبكي ليه".

﴿٩﴾ "لأنَّ عَلَى كُلِّ مَجْدٍ غِطَاءً" (إش ٤ : ٥).

عاش أبونا حياته كلها في الظل بعيداً عن الأضواء والشهرة وحب الظهور، فمنذ شبابه المُبكر كان يميل إلى حياة الهدوء والعزلة والبُعد عن الناس بقدر الإمكان، عملاً بقول القديس باسيليوس الكبير "**إذا أردت أن تكون معروفاً عند اللَّه فاحرص ألا تكون معروفاً عند الناس**".

كان يخدم في هدوء ويُقدِّم صدقة للفقراء في الخفاء، وقبل ذهابه للرهبنة أخفى الأوراق الشخصية الخاصة به مثل الشهادات الدراسية وشهادة الخدمة العسكرية في مكان معين في منزله، وبعد ذهابه للرهبنة عثرت الأسرة على هذه الأوراق عن طريق الصدفة وأعلموه بذلك ... فقال لهم: "أنا مش عايز حد يشوفها، قطعوها وأشعلوا فيها النار"، ولكن اللّه كان له رأي آخر فترك بعض أفراد الأسرة الصعيد وانتقلوا للسكن في القاهرة وظلت الأوراق محفوظة في منزل العائلة بالصعيد، في ذكرى الأربعين لأبينا الحبيب تقابلت مع أفراد أسرته وسألتهم عن أي صور أو أوراق خاصه به فقالوا لي بصراحة: "هيَ موجودة لكن نخاف نعطيها لقدسك أبونا يزعل منا، لأنه أوصانا ألا يراها أحد"، قلت لهم: "أبونا في السماء ومش هيزعل منكم"، وبعد محاولات عديدة وصلت إلى أوراقه الشخصية واستعنت بها في إعداد الكتاب. أبونا في حياته الرهبانية عاش فضيلة الموت عن العالم بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

عندما حضر موظفي السجل المدني بكامل الأجهزة لاستخراج بطاقة رقم قومي للآباء، ذهب إليه موظفي السجل المدني بالكاميرا والمعدات في قلايته ولكنه رفض استخراج بطاقة شخصية حتى نياحته، وفي آخر سنة قبل نياحته وافق تحت ضغط على استخراج شهادة ميلاد له حتى تاريخ الميلاد الذي كتب فيها كان خطأ، لم نكن نعرف أي معلومات شخصية عنه.

عندما كنت أذكر في وجود الآباء أن أبونا حاصل على بكالوريوس كلية العلوم كان يتضايق جداً ويقول لي: "سيبك من الموضوع ده" وكان يغير الكلام، عندما قام الدير بتوزيع استمارات خاصة بالبيانات الشخصية بالآباء الرهبان كتب اسمه فقط في الاستمارة ورفض أن يكتب أي بيانات، وعندما كان يسأله أحد الآباء أسئلة شخصية كان يرفض الإجابة عنها.

كذلك كما قال أبونا عبد المسيح المناهري: "**إن الفضيلة إذا ظهرت سُرقت ونهبت من المجد الباطل**" عاش أبونا منفذاً لهذا القول، فكان يشعر من كل قلبه أنه إنسان خاطئ ومحتاج للتوبة، وعندما كنت أتقابل معه كان يسألني: "كيف أتوب؟" كنت أقول له: "المفروض أسأل قدسك"، وفي نهاية اللقاء كنت أسأله:

"قدسك تأمرني بحاجة"، كان يقول: "عايز صلوات قدسك الطاهرة النقية علشان ربنا يرحمنا من الخطية"، كان دائماً يقول: "أفنيت عمري في اللذات والشهوات"، وعاش مُعظم حياته الرهبانية حبيس قلايته حتى لا يعرف أحد طقسه وتدبيره، وبالحقيقة كان ماهراً في إخفاء فضائله، فلم يكن يذهب إلى مضيفة الدير إلا نادراً، ولا يسعى للتعرف على العلمانيين أو عمل علاقة أو دالة معهم، ولا يسمح لأحد مهما كانت محبته له أو قربه منه أن يخترق حياته الشخصية، ففي سنين حياته الأخيرة عندما احتاج للخدمة الشخصية عرض عليه أحد الآباء أن يقوم بخدمته فوافق بشروط صارمة ووضع خطوط حمراء في التعامل لا يمكن أن يتجاوزها.

١٠ **"فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا"** (١ تي ٦ : ٨).

عاش أبينا الحبيب حياة الكفاف كما تعلم من السيد المسيح في الصلاة الربانية **"خُبْزَنَا كَفَافَنَا"** (مت ٦ : ٩ ـ ١٢)، فكان يوزع كل ما يصل إليه من مأكل ومشرب وملبس ويكتفي بالقليل الذي يقتات به، يوزع الأصناف الجيدة ويترك لنفسه الأصناف الرديئة، فطوال رهبنته لم يرتدي فراجية غالية الثمن بل كان دائماً يُقابل الآباء والضيوف بجلباب عفا عليه الزمن.

كذلك كان زاهداً في المأكل يأكل صنفاً واحداً ولا يطلب شيئاً ولا يشتهي شيئاً عاملاً بالآية التي تقول: **"اَلنَّفْسُ الشَّبْعَانَةُ تَدُوسُ الْعَسَلَ"** (أم ٢٧ : ٧)، كنت أعرف سابقاً أن الجوع والشبع من خصائص الجسد فدائماً الجسد يجوع عندما يكون في احتياج للطعام ويشبع بعد الأكل، ولكن في تعاملي مع أبينا الحبيب أيقنت وفهمت المعنى الحقيقي للآية، فالجوع هو جوع النفس والشبع هو شبع النفس، فالنفس الجوعانة لا تعرف الشبع مهما حصلت على شهوات وملذات ومقتنيات، لأن اللَّه هو مصدر الشبع الحقيقي للنفس.

كان أبونا القمص مكاريوس شبعان روحياً من خلال صلواته وأصوامه وجهاده في قلايته وتناوله من جسد الرب ودمه، وكما قال القديس الأنبا بولس: **"الراهب الذي يعيش في قلايته تكون احتياجاته قليلة، أمَّا الذي يخرج يبحث عن زاده تسخر منه الشياطين"**، أبونا عاش رهبنته في قلايته في حياة وحدة حقيقية مع

اللَّه، فبالتالي كانت احتياجاته قليلة، وبالرغم من حياة الفقر والتجرد والنُسك الشديد التي كان يعيشها لكنه كان سعيداً فرحاً راضياً قانعاً شاكراً لأنه كان شبعان بربنا.

عندما كنت أزوره مع أفراد الأسرة كانوا يلاحظوا بساطة قلايته وبساطة وسائل المعيشة، وفي نهاية الزيارة كانو يقولوا لي: "اسأل أبونا لو محتاج حاجة نشتريها ونرسلها له" ... فكنت أسأله: "قدسك أفراد الأسرة عايزين يأخذوا بركة قدسك محتاج حاجة يحضروها لك"، فكنت أسمع منه هذا الرد المتكرر: "**قدسك شايفني محتاج حاجة؟**" فكنت أصمت، عندما كنا نتواجد عنده كنا نشفق عليه ونسأله دائماً: "قدسك النهارده لم تأكل شيء من الصباح حتى المساء نجيبلك تأكل؟"، كان يرد: "أنا شبعان" .. فكنا نتحايل حتى نجعله يأكل خصوصاً في السنين الأخيرة، عند حضور الآباء عنده كان يسألهم على نوع المشروب وأحياناً كثيرة يرفض هو أن يشرب معهم، عندما كان يعرض عليه أحد الأحباء مبلغ من المال كان يرفض بشدة ويقول: "يعلم اللَّه أنا مش محتاج".

﴿١١﴾ "اُذكُرُوا المُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ مَعَهُم، والمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنتُمْ أَيضاً فِي الجَسَدِ" (عب ١٣ : ٣).

أبونا بالرغم من شدته مع نفسه وحياة الوحدة التي يعيشها بعيداً عن الناس إلا أنه كان عنده إحساس بالناس وهمومهم عالي جداً، فكان مُرهف الحس رقيق المشاعر، في فترة من حياته الرهبانية كان لا يخرج من قلايته بصليب في جيبه، وإذا قابله أحد وطلب منه الصلاة أو أن يرشمه بالزيت أو يُعطيه الحِل كان يرفض ويتهرب من ذلك، بعد سنين عديدة خفف من تشدده وكان يقبل أن يُصلي للناس ويدهنهم بالزيت، وعن سر تحوله من هذا التشدد صرح لأحد الآباء قائلاً: "عندما كان يلح عليَّ أحد في طلب الصلاة وكنت أرفض أن أضع يدي فوق رأسه للصلاة كان الشعور بالتقصير يتعبني جداً في قلايتي ويرمي عليَّ ثقلاً كبيراً".

أبونا كان كل يوم له صلاة خاصة يُصليها كان يذكر فيها الفقراء والمتضايقين والمرضى وذويهم ويذكر المُرتدين والذين على وشك الارتداد وأسرهم، والذين في الخطية والذين على وشك السقوط، كان يُصلي لهم بتأثر شديد وإن كان

أحد متعثر مالياً كان يتأثر به ويحاول مساعدته. حكى لي أحد الشباب أنه كان متعسر مادياً وتراكمت عليه الديون فكان أبونا يحتضنه ويُعطيه كل ما يملك من المال حتى نصيبه من المأكولات كان يُعطيه له.

كذلك كان يقف بجوار المُتألمين والمُقيدين، ذات مرة حضر إليه أحد الشباب وكان هذا الشاب على علاقة بسيدة غير مؤمنة، استغلت هذه السيدة العلاقة وسيطرت على مكان عمله وأرهقته مادياً وكانت أسرته تعاني بشدة، وظلت هذه العلاقة لمدة سنين وكان لا يستطيع الإفلات منها ... في أحد الأيام زار أبينا الحبيب في قلايته وجلس معه على انفراد فترة طويلة، وكانت هذه أول مرة يجلس فيها مع راهب ... استمع إليه أبونا وتأثر بكلامه وسالت دموعه معه تأثراً، ثم قال له بدون أن يحكي له عن مجال عمله: "عندك تعابين في مكان عملك وبنعمة ربنا هيطلعوا قريب ببركة ربنا وشفاعة السيدة العذراء"، خرج هذا الشخص من عند أبونا مذهولاً هو لم يحكي له عن عمله ... كيف عرف أبونا هذه التفاصيل وكذلك حكى له عن أمور سوف تحدث له في المستقبل، بعد شهور قليلة تخلص من علاقته بهذه السيدة وتركوا له مكان عمله ورحلوا بدون عودة وأتى لزيارة أبونا في الدير وحكى له أن كل ما قاله تحقق، أبونا كان يقول له: "أنا ماعملتش حاجة **دي الست العدرا سلام الرب عليها عملت كل حاجة**".

﴿١٢﴾ **"مَا أَرْهَبَ هذَا المَكَانَ! مَا هذَا إِلاَّ بَيتُ اللَّهِ، وهذَا بَاب السَّمَاءِ"** (تك ٢٨ : ١٧).

تميز أبينا الحبيب بحبه الشديد للكنيسة وصلواتها منذ صغره فكان مواظباً على حضور القداسات والتناول من الأسرار الإلهية، وكان يذهب إلى الكنيسة مُبكراً عملاً بقول سليمان الحكيم في سفر الأمثال: **"أَنَا أُحِبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَنِي والَّذِينَ يُبكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي"** (أم ١٧ : ٨)، في الطريق من قلايته إلى الكنيسة كان يمشي مُسرعاً لا يتحدث مع أحد بل كان يُصلي هذه المزامير **"فَرِحتُ بالقَائِلِينَ لِي: إِلَى بَيتِ الرَّبِّ نَذهَبُ"** (مز ١٢٢)، **"مساكنُك محْبوبَة أيها الرب إله القوَّات. تَشتاقُ وتتَوق نَفسي للدُّخول إلى ديار الرَّب"** (مز ٨٣)، **"يا ربُّ من يَسكنُ في مسكنِكَ؟ أو مَنْ يحلُّ في جَبَل قُدسِكَ"** (مز ١٤)، **وعند ذهابه للكنيسة** كان يُقبِّل باب

الكنيسة ويعمل ميطانية عند الباب ثم يدخل ويسجد ثلاثة مرات أمام باب الهيكل وهو يردد "**أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحمَتِكَ أَدْخُلُ بَيتَكَ. أَسجُدُ فِي هَيكَلِ قُدسِكَ بِخَوفِكَ**" (مز٥: ٧). ثم يسجد أمام أجساد القديسين ويذهب إلى مكانه المُخصص في الكنيسة يقف فيه بخشوع ووقار مُركزاً في الصلوات والقراءات ومهما كان يحدث في الكنيسة لا يتحرك من مكانه ولا يلتفت يميناً أو يساراً، لا يتكلم في الكنيسة إلا للضرورة، وأحياناً كان يُجيب السائل بالإشارة والإيماء فقط دون كلام عملاً بقول القديس إكليمنضدس: "**إياك أن تُجيب أو تُحدث أحد حتى ولو كان بكلام جيد ما دمت في الكنيسة**".

دائماً كان يحضر الصلوات من بدايتها حتى نهايتها ولا ينصرف من الكنيسة إلا عند نهاية الصلاة، يقف في الكنيسة مُنتصباً من بداية القداس حتى نهايته، قبل نياحته بحوالي سبع سنين حضر معي قداس في كنيسة الملاك بالحصن كان يصعد السلالم متوكئاً على عصا، ومن المعروف أن الصعود إلى الحصن مُرهق فعند دخوله إلى الكنيسة أحضرت له كرسي ليرتاح، فنظر إليَّ ثم سألني بدهشة واستغراب: "**هو ينفع الواحد يقعد في الكنيسة؟**"، وظل واقفاً القداس كله.

حين تجاوز عمره الـ ٧٥ سنة ولظروفه المرضية المُلحة اضطر للجلوس على كرسي في الكنيسة، كان يجلس على طرف الكرسي ولا يسند ظهره احتراماً لهيبة ووقار الكنيسة، قبل صلاة الإنجيل عندما يقول الشماس: "**قفوا بخوف أمام اللَّه وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس**"، كان يقف بخوف وينصت لسماع الإنجيل وكان يطلب من الشماس أن يُصلِّي الإنجيل بتأني شديد. وعند حلول الروح القدس عندما يقول الشماس: "**اسجدوا للَّه بخوفٍ ورعدةٍ**" كان يسجد بمخافة ويقف مُسرعاً، كان ينبه الآباء أن للوقوف وقت وللسجود وقت في القداس، وكان يقول: "لا ينبغي أن يسجد الراهب القداس كله لأن هذا نوع من الكسل وممكن أن ينام أثناء السجود لفترة طويلة"، كان يواظب على حضور القداس الرئيسي يوم الأحد عاملاً بقول مُعلِّمنا بولس الرسول: "**مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ**" (رو١٢: ١٢) مع مجمع الآباء ورئيس الدير، وفي سنين حياته الأخيرة ألح عليه الآباء أن يحضر قداس جانبي يخرج مُبكراً لظروفه الصحية ولكنه رفض، ظل ٤٥ سنة في حياته

الرهبانية لا يحضر سوى القداس الرئيسي، وكان يحضر القداسات ولا يرتدي ملابس الخدمة ولا يشارك في الصلاة على المذبح، وكان يتناول بعد آخر كاهن كنوع من الاتضاع والخضوع لنظام الدير، كان يواظب على حضور أسبوع الآلام حتى سنين حياته الأخيرة، وفي يوم الجمعة العظيمة وليلة أبو غلامسيس كان يصر أن يحضرها كاملة جالساً في ركن من الكنيسة خلف الباب حتى لا يراه أحد ويركز في صلاة البصخة في هدوء وخشوع وصمت عجيب.

✤ ثانياً: بستان الرهبان وأقوال الآباء في حياة أبونا:

كلمة اللَّه هيَ ينبوع الحياة الذي يحمل لنا الروح، فإذا شربنا من هذا الينبوع يقودنا إلى اللَّه لأنه ينطلق من اللَّه ليقودنا إلى اللَّه، هكذا أقوال الآباء أو بستان الرهبان ... فلقد كان الآباء الرهبان القديسون الأوائل ينابيع روحية ماؤها العذب لا ينضب أبداً فإذا طالعناها على نفس المنوال نبلغ إلى اللَّه بسهولة لأن آبائنا كانوا أناساً مثلنا وقد عاشوا حياتهم في كلمة اللَّه، لذلك فإن قراءة أقوالهم تعتبر طعاماً روحياً ليس مُضافاً إلى كلمة اللَّه بل هو نفسه كلمة اللَّه أو شخص المسيح نفسه مقروءاً ومرئياً في أولئك الذين تكرست قلوبهم بالحق للَّه.

إن التاريخ القبطي يحوي بين طياته ما يجمع بين آباء البرية بسيرتهم العطرة وأقوالهم التي جسدت أقوال مُعلِّمهم الأول السيد المسيح نفسه فصارت حياتهم وسيرتهم ناراً تلهب قلوب الكثيرين فيسارعوا بالانطلاق نحو البرية لكي يتمثلوا بهم، عاش أبونا القمص مكاريوس السرياني مُحباً للرهبنة وآبائها وقديسيها حافظاً وعاملاً بأقوالهم سائراً في طريقهم مُتشبهاً بهم، فقد كان راهب بستاني رأينا بستان الرهبان مُنفذاً عملياً في حياته، حتى الأقوال والقصص التي كنا نقرأها ونعتقد في أنفسنا صعوبة بل استحالة تنفيذها عملياً في هذا الجيل، كان أبونا ينفذها حرفياً في حياته من خلال معاملته.

وعندما بحثت في بستان الرهبان لكي أجد أقوال وقصص مُطابقة لحياة ومنهج أبونا وجدت الكثير فاخترت عشوائياً القليل منها لأذكره وذلك لضيق المساحة المتاحة للكتابة، ومن ذلك ما يلي:

١٤ سأل الأب مكاريوس أنبا أرسانيوس مرة قائلاً: "لماذا تهرب منا يا أبتاه؟" فأجابه الشيخ قائلاً: "اللَّه يعلم إني أحبكم، ولكني لا أستطيع أن أكون مع اللَّه ومع الناس".

وكما نُصلِّي في ذكصولوجية الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا ونقول: "**اطلبوا عنا يا سيدي الأبوين مُحبي أولادهما أنبا أنطونيوس وأنبا بولا ليغفر لنا خطايانا**"، كان أبونا مُحباً لأبنائه وإخوته الرهبان محبة حقيقية عملية، فبالرغم من بعده عنهم لكنه كان يحس بضيقاتهم وآلامهم، وكان اللَّه يكشف له الكثير عنهم، كان يُصارع مع اللَّه في الصلاة من أجلهم، كان يذكر دائماً أن هناك طقس قديم بالدير يكاد أن يندثر أن الراهب يذكر إخوته الرهبان بالاسم في كل صلاة، وأن أي راهب ينزل من الدير للعالم قبل نزوله يذهب إلى قلالي الآباء الرهبان يطلب الحل والصلاة من أجله حتى تؤازره صلواتهم.

دائماً كان ينصحنا بقول المزمور: "**هُوذا ما أحسَنَ وما أجمل أن يَسكُن الإخوة معاً**" أبونا دائماً كان يقول لي: "لما تعمل عمل لا تذكره ولا تشتكي من أخيك وتقول أنا عملت الشغل لوحدي وهو ماعملش حاجة، كما قالت مرثا للسيد المسيح "**يَا رَبُّ أمَا تُبَالِي بأنَّ أُختِي قَدْ تَركَتنِي أخدِمُ وَحدِي؟**" (لوقا ١٠ : ٤٠).

أبونا كان لا يعترف بزيارات الآباء لبعضهم وعندما كان يسأله الآباء عن الزيارات كان يرد باستغراب: "هو الرهبنة فيها زيارات؟"... فعندما كان يُريد شخص كان يتصل به، وفي حالة عدم الرد كان يذهب له في كل مكان عمله، ولا يذهب إلى قلايته لأنه كان يقول: "ربما يُصلي أو مشغول في قلايته"، طوال فترة رهبنته لم يزور أي قلاية إلا في حالات نادرة جداً. فعندما كان يذهب لتوزيع الفاكهة على القلالي كان يختار وقتاً لا يراه فيه أحد حتى لا يمدحه الآباء ويأخذ أجره على الأرض، تصادف أني شعرت به عدة مرات وهو يضع الثمار في دولاب قلايتي فكنت أخرج من القلاية مُسرعاً وأتحدث معه وأحاول معه أن يدخل إلى قلايتي لكي أتبارك به، فكان يقول لي: "أنا قابلتك وتحدثت معك وأخذت بركتك هأدخل أزور حيطان القلاية؟".

لكن عندما يكون الراهب في احتياج شديد لإرشاده كان يتنازل عن طقسه ويدخل قلايته، **حكى لي أحد الآباء** أنه مرة شعر به وهو يضع الفاكهة في دولاب قلايته فخرج مُسرعاً من قلايته وقال له: "أنا محتاج إرشاد من قدسك"، فقال له: "أنا أول مرة أدخل قلاية" فدخل وأرشده وخرج مُسرعاً. كذلك راهب آخر كان أخذ قلاية جديدة فذهب ليُبارك له ووقف معه فترة خارج القلاية وعندما طلب منه الدخول اعتذر فتضايق الراهب لأن أبونا حرمه من بركة زيارته لقلايته، رجع أبونا مكاريوس إلى قلايته وشعر بتأنيب ضميره فخرج وذهب إلى الراهب ودخل قلايته لدقائق ثم خرج.

كان طقس أبونا في الصيام الكبير لا يسمح لأحد بزيارته في قلايته، لكن أحد الآباء تعرض لحرب من عدو الخير سببت له ضيق شديد في عمله، فكان عندما يدخل إلى مكان عمله لا يقدر على العمل، وكان يصرخ من كل قلبه ويقول: "يا إله أبونا مكاريوس" مرات عديدة، ففي أحد الأيام تقابل مع أخ كان يساعد أبونا مكاريوس وطلب الزيارة فقال له: "بالرغم أن أبونا لا يُقابل أحد في الصيام لكنه دائم السؤال عنك وبالأمس كان في انتظارك"، فدخل إليه وصلي له وأعطاه إرشادات كيف يتخلص من هذه الحرب وكشف له عن أمور مستقبلية ستحدث له في حياته كأنه يقرأ في كتاب مفتوح أمامه.

في سنين حياة أبونا الأخيرة سمح للآباء بزيارته وكذلك أسرهم ومُحبيهم كان يجلس معهم فترة طويله يسمع لهم ويُرشدهم على حساب صحته وراحته، كان الضيف بالنسبة له هو المسيح فكان يُجاهد أن يجلس أطول فترة معه وله قصص ومعجزات كثيرة مع الآباء وأسرهم ومُحبيهم.

٢٢ أتى رجل إلى الأنبا أرسانيوس بوصية من رجل شريف من جنسه مات وأوصى له بمال كثيراً جداً، فقال له القديس: "أنا قد مت منذ زمان وذاك مات أيضاً، وبذلك صرفه ولم يأخذ منه ولا فلساً واحداً".

أ ـ بعد استقالته من شركة "كيما" بأسوان أخبروه بأن له مكافأة نهاية الخدمة لا بد أن ينتظر أسبوع حتى يستلمها فرفض وسافر إلى الدير

مباشرة، كذلك بعد رهبنته عرض عليه أحد إخوته أن يقوم بتقديم طلب للحصول على معاش شهري له فرفض وقال: "**لَيسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى المِحْرَاثِ وَيَنظُرُ إِلَى الوَرَاءِ يَصلُحُ لمَلَكُوتِ اللَّهِ**" (لو ٩ : ٦٢)، عندما عرض عليه أن يعمل له توكيل لصرف مستحقاته قال له: "الميت ميعملش توكيل".

ب ـ في بداية التحاقه بالدير كان الدير يصرف بركة لكل راهب وطالب رهبنة بضعة جنيهات لشراء ما يلزمه في القلاية، فعندما قدموا له البركة في الشهر الأول رفض بشدة استلامها وقال: "**أنا أتيت إلى الرهبنة لكي أُعطي، لا لأخذ**" "**مَغبُوطٌ هُوَ العَطَاءُ أَكثَرُ مِنَ الأَخذِ**" (أع ٢٠ : ٣٥)، وكان دائماً يقول: "الراهب ليس له حقوق لكن عليه واجبات والتزامات"، وكان يود الاعتذار عن خدمة الشموسية والكهنوت لشعوره بعدم الاستحقاق، لكن القمص شنوده السرياني (مثلث الرحمات أنبا يؤانس أسقف الغربية) أقنعه بأسلوبه العذب ألا يرفض البركة الشهرية أو خدمته الشماسية والكهنوتية.

٣ قيل عن القديس مكاريوس: أنه كان قد جعل لنفسه قانوناً وهو أنه إذا قُدِّم له نبيذاً كان لا يمتنع عن شربه، ولكنه عوض كل قدح نبيذ يشربه كان يصوم عن شرب الماء يوماً.

كان أبينا الحبيب لا يذهب إلى مضيفة الدير إلا عند حضور أسرته كل عدة سنوات، وكان لا يذهب إلى منطقة الزيارات إلا نادراً، فحدث قبل نياحته بحوالي ١٠ سنوات أن طلبت أسرة أحد الآباء المُنتقلين مقابلته في كل زيارة سنوية لهم للدير فوافق اكراماً لروح هذا الراهب المتنيح، وكان يجلس معهم عدة ساعات في كل زيارة وعندما يرجع إلى قلايته كان لا ينام هذا اليوم بل يظل مُستيقظاً لمدة ٢٤ ساعة تعويضاً عن الساعات التي قضاها مع الأسرة، وكذلك كان يلوم ويؤنب نفسه عند ضياع الوقت أو تأخره في قانونه روحي.

﴿٤﴾ "لأن المتوحد ليس له عيد على الأرض، عيد المتوحد هو حزنه ونوحه".

(أنبا بيمن)

عاش أبونا حياة الوحدة المقدسة بكل قوانينها وطقوسها بجدية وحرص وأمانة وتدقيق والتزام بأقوال الآباء عن الوحدة ولم يحد عنها، فكان دائماً يقول للآباء كلمة راهب باليونانية "**موناخوس**"، و"**مونو**" تعني واحد، فالراهب يحيا وحيداً مع اللَّه ويأخذ تعذيته من اللَّه مباشرة، فهو الذي يهتم به ويعوله ويسدد احتياجاته ويرشده للطريق المستقيم.

وكذلك كان يقول: "الراهب إن مخدش باله من نفسه يتلطش من عدو الخير"، عاش أبونا قول أنبا بيمن فكان بعد حضوره قداس العيد يذهب إلى قلايته ولا يقابل أحد يوم العيد، فحدث قبل نياحة أبونا بحوالي خمس سنين أنني تقابلت مع المتنيح القمص أرشليدس السرياني (ابن عم أبونا بالجسد)، وقال لي: "نروح نعيد على أبونا مكاريوس بمناسبة عيد قيامة السيد المسيح"، فذهبت معه وأنا متأكد أن أبونا لا يُقابل أحد في يوم العيد، قرعت على باب قلاية أبونا فترة طويلة بدون استجابه وأخيراً رد علينا أبونا من داخل القلاية "من الطارق؟" فرد عليه أبونا أرشليدس.. فقال له: "عايز إيه يا أبونا أرشليدس"... قاله: "أنا جاي أعيد عليك".. فقال له: "قدسك عارف إن يوم العيد مش بقابل حد وأنا بعتذر عن المقابلة".

كان أبونا بالرغم من شدته رقيق المشاعر مُرهف الحس، فكان كثير البكاء سريع التأثر يبكي أثناء الصلاة وخصوصاً في أسبوع الآلام يبكي تأثراً بهموم ومشاكل الناس حتى أثناء تناوله الطعام كانت تغلبه دموعه وكان يقول: "**اذكر يا رب الذين أكلنا وشربنا من كدهم وتعبهم وأعطونا من يديهم، عوضهم يا رب عوض الفانيات بالباقيات ... اذكر يا رب الذين أحسنوا إلينا وإلى إخوتنا المساكين بجميع وجوه الحسنات محبة فيك وإكراماً لاسمك القدوس باركهم**" **(صلاة تحليل الكهنة)**. وكان دائماً ينصح الآباء ويقول البكاء في القلاية ضروري للراهب، يتذكر مراحم الرب واحساناته وحبه له وعمله معه ثم يذكر خطاياه وزلاته وهفواته ويطلب من اللَّه الصفح والمغفرة بدموع.

٥ "اظلم نفسك في أخذك وعطائك، واحذر من أن تعد نفسك شيئاً ولا أحد يعدك" (القديس نيلس).

يتميز أبونا الحبيب بفضيلة العطاء دون انتظار مقابل، كان يُعطي من أعوازه عملاً بقول الإنجيل "**بيعُوا مَا لَكُمْ وأعطُوا صَدَقَةً**" (لوقا ١٢ : ٣٣)، وكان لا يطلب من أحد شيئاً ولا ينتظر أن يحضر له أحد شيئاً، كان يكتفي بما يوزعه عليه الدير ويرفض أن يأخذ شيئاً من العلمانيين حتى من أسرته عملاً بقول الأب زينون: "الراهب الذي يأخذ صدقة سوف يُعطي عنها حساباً".

عاش حياة الفقر الاختياري بكل فرح مُتمسكاً بها حتى نهاية حياته مُطبقاً أقوال مار إسحق السرياني "**مجرد التمسك بالفقر يُميت من الطبع والقلب الأفكار العالمية**". كان يتعب في فلاحة ورعاية حديقة قلايته وكان يوزع ثمارها على قلالي الآباء الرهبان بنفسه دون أن يأكل منها وفي وقت لا يراه فيه أحد حتى لا يأخذ أجره من الناس، بالرغم من ذلك كان عندما يتمشى في حديقة الدير ويمر على أحد المزارع كان الأب المسئول عن المزرعة يحاول أن يُعطيه من ثمار المزرعة ولكنه كان يرفض، وأحياناً كان يزوره الآباء في قلايته ويقدمون له من ثمار مزارعهم على سبيل البركة ولكنه كان يرفض قبولها بشدة ويرجع الأب بها مرة أخرى، عندما سأله أحد الآباء: "لماذا ترفض محبة الآباء ولا تقبل منهم الثمار؟" فرد عليه قائلاً: "أولاً المزرعة ليست ملك الراهب بل ملك للدير وهو مؤتمن عليها فليس من حقه أن يوزع من ثمارها، ثانياً هل هو أعطى جميع آباء الدير قبل أن يُعطيني؟ بالطبع لا .. فكيف أُميز نفسي عن إخوتي؟، ثالثاً الدير يوزع الفاكهة على جميع الآباء، والمفروض أن الراهب يكتفي بنصيبه الذي يأخذه من الدير ولا يطلب المزيد".

٦ "مثال الصدأ الذي يأكل الحديد كذلك مديح الناس الذي يُفسد القلب إذا مال إليه" (الأنبا موسى الأسود).

من أهم الفضائل التي تميز بها أبونا الحبيب هروبه من الكرامة وعدم محبته لكلام المديح عملاً بقول القديسة **سفرنيكي**: "**كما ينحل الشمع أمام النار هكذا**

نفس الإنسان أمام المديح تنحل قوتها"، فكان عندما يمدحه أحد يرد عليه باتضاع ويقنعه أنه إنسان خاطئ وينفي الصفات التي مدحه عليها، وفي مرات كثيرة كان يغير مجرى الحديث أو يحول كلمات المديح إلى شخص آخر من الموجودين لكي يبعدها عنه، وكان له من الفطنة والذكاء والمهارة في ذلك دون أن يشعر من حوله بأنه يتهرب من كلمات المديح.

في بداية حياته الرهبانية كان يكتب مذكرات يومية عن عمل اللَّه معه كذلك كتب كثيراً من التأمُّلات الروحية والتفاسير، وعندما سألته ذات مرة: "هو قدسك كاتب مذكرات شخصية؟"، قال لي: "أيوه كنت كاتب لكن قطعتها وأحرقتها بالنار"، وعندما سألت عرفت أنها ظلت موجودة عنده حتى بداية خدمة الآباء له، فخاف أن يأخذها أحدهم ويقوم بنشرها فيأخذ مديح عنها، فلذلك أحرقها كنوع من الحرص على إخفاء ذاته حتى النهاية.

كان دائماً ينصح الآباء: "اعمل واتعب في عملك وفي نهاية العمل اترك جزء بسيط لأخيك ليعمله، وعندما تُسأل انسب العمل لأخيك حتى تهرب من المديح"، عندما كان يطلب منه أحد الضيوف الصلاة من أجله في وجود أحد الآباء كان يقول له: "أبونا فلان يذكرك ويذكرني أنا في الآخر"، وكان يحول طلب الصلاة على أحد الآباء الموجودين، وعندما يتمجد اللَّه بصلاته كان الشخص يأتي إليه ويمدحه، كان يقول له: "دي صلاة أبونا فلان"، وإذا كان أبونا مع الشخص بمفرده كان يقول له: "شوف صلواتك عملت إيه"، وكان ينسب لنفسه التقصير والتواني في الصلاة، وهناك قصص ومواقف كثيرة نذكر منها الآتي:

١ـ **في السنين الأخيرة من حياة أبونا** على الأرض ذهب للكشف الطبي في عيادة دير الأنبا بيشوى فأجلسوه الآباء على كرسي مُتحرك في انتظار حضور الطبيب المُعالج، وكان على مقربة منه أحد الآباء يقف مع مجموعة من الضيوف كان يتحدث معهم ثم تطرق في الحديث إلى فضائل أبونا القمص مكاريوس وأخذ يمدح فيه، فما إن سمع كلمات المديح تضايق بشدة وقال للراهب المرافق له: "حركني بالكرسي لماذا تتركني ها هنا في وسط الطريق والمارة لا يستطيعون عبور الطريق؟"،

مع العلم أن الطريق كان متسعاً يسمح بمرور المارة، فقام الراهب بتحريك الكرسي يميناً ويساراً، ولكن في كل مرة كان يقول له: "حركني مرة أخرى"، حتى استقر أمام دولاب خشبي، فقال له أبونا: "خلينا هنا أحسن عشان أشوف نوع الخشب الذي صنع منه هذا الدولاب"، وفي كل ذلك لم يوجه كلمة للأب الذي تكلم عنه حتى لا يحرجه أمام الضيوف.

٢ـ **في مرة مدحه الآباء كثيراً على التزامه بقلايته** وعدم خروجه لمضيفة الدير وأنه لا يتقابل مع ضيوف الدير وأنه انقطع عن العالم تماماً حتى أسرته، فحدث في نفس الأسبوع إن أسرة أبينا الحبيب أخبرت أحد الآباء أن أرملة أخيه وبناتها يُريدون مقابلته، فذهب إليه أحد الآباء وأخبره بذلك فوافق مرحباً على غير العادة، وفي يوم زيارتهم له استيقظ مُبكراً وذهب إلى مضيفة الدير قبل أن تفتح أبوابها، بالرغم من أن أحد الآباء حاول اقناعه بأن يذهب إلى المضيفة عند حضور أسرته ولكنه رفض، وظل واقفاً في بلكونة المضيفة ورفض أن يدخل إلى أحد الحجرات حتى تحضر أسرته، انتظر عدة ساعات حتى يراه الجميع في المضيفة وينفي عن نفسه سبب المديح، ومن هذه المرة وافق أن يذهب إلى المضيفة كل عام لمقابلة أسرته.

﴿٧﴾ **"الذي لا يُداوم على القراءة فهو في التيه سائراً، لأنه إذا أخطأ لا يشعر".**

تعتبر القراءة جزء من القانون الروحي للراهب، فبعد أداء صلواته وميطانياته وعمله المُكلف به يقضي وقتاً طويلاً في القراءة يبدأ بالكتاب المقدس ثم بستان الرهبان وأقوال آباء الرهبنة التي يرشده إليها أب اعترافه، فالراهب المبتدئ قد لا يناسبه القراءة في ميامر مارإسحق السرياني وأقوال الشيخ الروحاني، كذلك فالراهب القارىء الباحث والمتأمل لا يُصاب بالضجر والملل في قلايته، كما أن القراءة تساعده على التخلص من حروب عدو الخير عملاً بقول أحد الآباء الشيوخ: **"تخاف الشياطين الاقتراب من الإنسان عندما يقرأ في الكتب المقدسة".**

تميز أبينا الحبيب بعلمه الغزير وثقافته العالية كما أنه كان قارئ من طراز فريد قرأ في مجالات متعددة، قرأ في الأديان المختلفة حتى غير المعروف منها،

درس علم مقارنة الأديان، قرأ عن الإلحاد وإنكار وجود اللّه، قرأ في علم اللاهوت في التجسد والفداء، ودرس الهرطقات والرد عليها والمجامع المسكونية، حتى الهرطقات والبدع الحديثة كان على دراية بها، درس في أنساب السيد المسيح، كان يدرس في تاريخ الكنيسة وتاريخ البطاركة، قرأ كثيراً في مجالات عديدة عاملاً بقول الإنجيل: "**فتِّشُوا الكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وهِيَ الَّتِي تَشهَدُ لِي**" (يو ٥ : ٣٩).

كان أبونا مرجعية للآباء في الكتاب المقدس وفي الأمور الطقسية والروحية والرهبانية والعقائدية، وبالرغم من علمه ومعرفته الغزيرة وقراءاته المُتسعة وثقافته العالية إلا أنه كان بعيداً عن الذاتية والتعقيد، بل كان يتعامل ببساطة في الأمور ويسعى نحو الهدف الأسمى هو خلاص النفس، كذلك كان بارعاً في إخفاء فضائله وعلمه ومعرفته فكان الآباء عند حضوره إلى الطابونة ليأخذ خبزاً كانوا يسألونه عن بعض معاني الآيات في الكتاب المقدس أو يسألونه في مواضيع روحية وطقسيه فكان يتهرب من الإجابة باتضاع فكانوا يستدرجونه في الكلام فكان يُجيب عن أسئلتهم كمن لا يعرف أو كأنه غير متأكد من الإجابة أو يذكر الإجابة على لسان شخص آخر ولا ينسب المعرفة لنفسه إطلاقاً.

﴿٨﴾ "لأنه من الواجب على الراهب الذي ترك العالم ألا يتوقف بتاتاً عن الصلاة" (القديس أبيفانيوس)

كان أبونا الحبيب رجل صلاة عاش حياة الصلاة الدائمة بعمق وحب شديد عاملاً بقول المزمور "**محبُوبٌ هو اسمُكَ يا ربُّ، فهو طول النَّهار تلاوتي**" (مز ١١٩ : ٩٧)، كانت صلوات الأجبية تأخذ منه وقتاً طويلاً يُصلي المزامير بهدوء شديد وتُؤَدَةٍ، وتلذذ بكلمات الصلاة ويرتلها بلحن شجي، والأجزاء التي تُقال بلحن مثل: "**أجيوس ـ حل واغفر واصفح ـ كرحمتك يا رب وليس كخطايانا ـ ... إلخ**" كان يقولها باللحن الذي يُناسب الفترة والمناسبة، يظل الليل كله ساهراً في الصلاة عاملاً بقول الإنجيل "**الَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي**" (أم ٨ : ١٧). كذلك كان يُصلي كل ساعة في وقتها وأحياناً كثيرة كان يُصليها قبل ميعادها حسب وقته،

عاملاً بقول مارإسحق السرياني: "**كن مُتقدماً على الدوام في صلواتك قبل وقتها لكي تكون خفيفة عليك**".

كان يُصلي بجدية وحرص لا يؤجل مواعيد الصلوات ولا يتركها تتراكم عليه، يعيش أحداث الساعات، ففي صلاة باكر يتذكر قيامة السيد المسيح ويشكره على اليوم الجديد الذي وهبه إياه، وفي الساعة الثالثة يتذكر حكم بيلاطس البنطي على السيد المسيح وحلول الروح القدس على التلاميذ، وفي الساعة السادسة يتذكر صلب السيد المسيح والمسامير التي دُقت في يديه ورجليه وتذوقه للخل والمرارة، وفي صلاة الساعة التاسعة يقول مع اللص اليمين: "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك"، وظلام الشمس وانشقاق حجاب الهيكل وموت السيد المسيح على الصليب، وفي الساعة الحادية عشر يتذكر إنزال جسد المسيح من على الصليب وتحنيطه بحنوط من مر ولفه بلفائف الكتان مع الأطياب، وفي الثانية عشرة يتذكر وضع السيد المسيح في القبر وهيَ تذكرنا بالدينونة الأخيرة لأنها آخر ساعة من ساعات الإنسان.

في نهاره كان دائماً يقول للآباء الرهبان: "اللي عايز يتقدم روحياً يزود مزاميره ويوزعهم على الساعات"، وكان ينصح للاستفادة من الأصوام بفضل زيادة الصلوات القصيرة والقراءات والالتزام بالصلاة الدائمة، كان يُصلِّي المئة والواحد والخمسين مزموراً يومياً في السبع ساعات (بالإضافة لصلاة الستار وهيَ خاصة بالرهبان)، وعندما سأله الآباء عن صلاة نصف الليل كيف كان يُصليها وكم من الوقت تستغرق، فقال: "كنت أصليها بهدوء شديد وشعور إني واقف أمام الديان العادل وكان لا يكفيها ساعة ونصف من الوقت".

كان ينصح الآباء أن يقفوا أمام اللَّه أثناء الصلاة بانحناء رأس وبقلب متضع وإحساس بأنك أمام إله عادل ورحيم يستمع إلى صلواتك، وأن يتأملوا في معاني الكلمات، ويمكن تكرار أجزاء منها وأن تردد الصلاة بصوت مسموع للمُصلي واستخدام صلوات سهمية بين كل مزمور والآخر، والسجود أثناء الصلاة وبعد كل صلاة ورفع اليدين والعينين وقرع الصدر مع ذرف الدموع حزناً على خطايانا وطلب التوبة والرحمة، وكان يشجع الآباء قائلاً: "إن اللَّه يُعطي مواهب للذين يصلون إليه صلاة نقية منها موهبة الدموع وغيرها من المواهب".

ومن نصائحه لعلاج السرحان والتشتت أثناء الصلاة يفضل أن تسبق الصلاة فترة قراءة في الكتاب المقدس، كذلك يمكن أن تُقال ترنيمة قبل الصلاة بروح الصلاة وعند تشتت الفكر أثناء الصلاة تصلي صلاة إرتجالية قصيرة تطلب فيها معونة ربنا لضبط الفكر، ويمكن إعادة الجزء الذي تشتت فيه الفكر، وكان يقول الموضوع عايز جهاد، ممكن قبل الصلاة تضع في فكرك أنك سوف تستخرج من المزامير الآيات التى تناسب حالتك (حزن - شكر - فرح - تعب - ضيق - إلخ ...) وتستخدمها وتكررها في الصلاة، ويمكن أن تحول لغة المزمور من اللغة الفصحى للعامية، كذلك صيغة الجمع إلى المفرد أو صيغة الغائب والعكس، ممكن تُصلِّي إلى الابن بإضافة كلمة يا ربي يسوع المسيح.

كان فكر أبونا وقلبه مشغول دائماً بالصلاة ونظره مُتجهاً دائماً إلى السماء، فكان دائماً يتحدث عن الصلاة النقية، ودائماً ما كان ينصح به الآباء كان يعيش أضعاف ما يعلمه لهم عاملاً بقول الإنجيل "**وأَمَّا مَنْ عَمِلَ وعَلَّمَ فَهَذَا يُدعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ**" (مت ٥ : ١٩).

عمل أبونا كثيراً على قدر طاقته وأحياناً كثيرة فوق طاقته، وعلم بقدوته والتزامه وصمته وثباته في الدير أكثر مما علم بأقواله وكلماته، كان دائماً يردد المزامير في قلايته وأجزاء من القداس وبعض الصلوات المحفوظة، وكان عندما يزوره ضيف ويدخل إلى المطبخ ليجهز له مشروباً كان تلقائياً يبدأ في الصلاة أو الترتيل بصوت مسموع، كذلك عنده زيارة الآباء له وانشغالهم عنه بحديث جانبي كان يستغرق في الصلاة ولا يتكلم معهم إلا عندما يسألونه، لم يكف لسانه عن الصلاة حتى أيامه الأخيرة على الأرض، وعندما كنا نزوره وهو طريح فراش كنا نسمعه يُصلي ويقول: "يا رب يا ست عذرا يا أم الرحمه يا أم الخلاص" ويكررها بإحساس وخشوع.

٩ "من يتهاون بهذا السر فإن قوات الظُلمة تقوى عليه فيبتعد عن الحياة، فلنتقدم إلى الإفخارستيا بخوف وشوق" (القديس مكاريوس).

كان أبونا يتعامل مع سر الإفخارستيا باحترام ووقار شديد وكان له طقس خاص في الاستعداد للتناول كمن هو ذاهب إلى عُرس لملاقاة عريسه السماوي،

فيوم السبت السابق للتناول لا يتقابل مع أحد في قلايته بل يظل طوال اليوم يستعد بالصلاة ويفحص نفسه هل هو مُستعد للتناول أم لا، وإذا كان ضميره يلومه في أي شيء كان يذهب لأب اعترافه ويعترف به.

كذلك كان يحرص ألا يعمل في هذا اليوم لأنه مُخصص للرب ولا يتكلم مع أحد حتى لا يتعرض لأخطاء الكلام التي قد تعوقه عن التناول، بالإضافة إلى اهتمامه بالنظافة الجسدية، فكان يستحم في هذا اليوم ويعتني بنظافة الجسد بدقة حتى أنه كان ينظف أصابع القدم ويقوم بغسل أسنانه بدقة شديدة جداً مرة واثنين حتى لا توجد بقايا طعام في فمه، ويصوم قبل القداس ١٢ ساعة كاملة، مقضياً ليلة الأحد ساهراً في الصلاة لا ينام، وفي الصباح يذهب إلى الكنيسة مُبكراً لكي يحضر القداس من بدايته، وكان له مكان مُخصص في الكنيسة يقف فيه بخشوع ووقار مُركزاً في الصلوات والقراءات ضابطاً لحواسه وأفكاره مُنفذاً قول الأنبا إشعياء الإسقيطي "**إن كنت واقفاً في القداس فراقب أفكارك لكي توقف جسدك وحواسك بخوف اللّه لتستحق أن تتناول من القربان الذي هو جسد المسيح ودمه الأقدسين فيشفيك الرب**" وبالحقيقة كان أبونا يظل طوال القداس (في فترة صحته) واقفاً في مكانه لا يتحرك منه ولا يثني ركبتيه أو يجلس أثناء القداس وفي نهاية القداس يتقدم إلى التناول بخوف وشوق وإيمان، وبعد تناوله من جسد الرب كان يضع اللفافة على فمه ولا يتركها إلا عند تناول الدم، وبعد نهاية القداس كان يذهب مُسرعاً إلى قلايته ويغلق بابه ولا يقابل أحد في هذا اليوم لكي يتكلم مع المسيح الذي أخذه في التناول، كذلك كان في يوم التناول لا يستخدم ملعقة في الأكل ولا يخرج شيئاً من فمه مُطلقاً ولا تلمس رجله الأرض بدون حذاء حتى لا يحدث بها جروح.

كان حريصاً جداً على جسد الرب ودمه الذي تناوله وبالرغم من ذلك كان دائماً يقول للآباء هذه الطقوس ليست أساسية ولازمة لكل أحد ولكنها تساعد على الحفاظ على مهابة ووقار السر لدي الشخص مما يجعله يفكر كثيراً قبل ارتكابه لأي خطية في هذا اليوم، كان يرفض أن يذهب الآباء لمناولته في قلايته حتى أثناء مرضه فكان يتحامل على نفسه ويذهب للكنيسة للتناول، فكان يقول:

"أنا أروح للسيد المسيح لأني غير مستحق أن يأتي إليَّ"، ولكن في أيامه الأخيرة عندما اشتد عليه المرض وأصبح غير قادر على الذهاب للكنيسة سمح للآباء بمناولته في قلايته وكانت آخر مرة قبل نياحته بدقائق معدودة.

صلاة أبونا للقداس الإلهى كخديم "إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس نحسب كالقيام في السماء" (صلاة أيها الملك السمائي من قطع صلاة الساعة الثالثة من الأجبية).

كان أبونا يُصلي القداس الخاص به كخديم يوم الإثنين أسبوع بعد الآخر (في الصيف فقط لأنه كان يعتكف شتاءً)، وكان قداسه عباره عن مدرسة لتعليم الطقس والألحان والدقة في الأداء، فقد كان يُصلِّي القداس بمنتهى الجدية والأمانة الفائقه للطقس ويُصلِّي بمنتهى الهدوء وبدون أي استعجال بأية صورة مهما كلفه الأمر من وقت ومجهود شاعراً برهبة الوجود في الحضره الإلهية، كان يُصلِّي القداس الغريغوري كاملاً بكل ألحانه فكان يحفظه عن ظهر قلب.

بعد التسبحة يبدأ صلاة رفع بخور باكر، ثم القداس الإلهي وكان قداسه يستغرق حوالي ٤ ـ ٥ ساعات، فكان ينتهي من صلاة القداس الساعة التاسعة والنصف صباحاً، نظامه في القداس استلمه من أب اعترافه القمص عازر والقمص جرجس، فكان لا يسمح بوجود أي شيء على المذبح سوى أدوات المذبح، لا يسمح بوجود خولاجي على المذبح، ولا يسمح للشماس أن يتكئ أو يستند على المذبح، وينبه على الشماس الذي يُصلِّي معه ألا يتحرك أو يخرج من المذبح إلا للضرورة ولا يُغادره إلا بعد نهاية القداس، ويصر على صلاة قطعة "أيها الملك السمائي" داخل المذبح، وأثناء قراءة الإنجيل كان يرفض أن يذهب بالبشارة للآباء الكهنة والشمامسة لتقبيلها بل كان يقف في مكانه ويذهب الآباء والشمامسة لتقبيل البشارة وكان دائماً يقول: "بشارة الإنجيل تذهب إلى غير المؤمنين أمَّا المؤمنون فيذهبوا بأنفسهم لأخذ بركة البشارة".

بعد نهاية القداس يصر ألا تخرج قربانة الحمل أو لقمة البركة خارج الكنيسة بل يتم تناولها داخل الكنيسة، وأثناء تعميد الحمل يذكر جميع الأسماء الموجودة

في الأوراق الموضوعة على المذبح ويذكر كل من طلب منه الصلاة، يذكر الحاضرين والغائبين، ودائماً يقول الراهب مُطالب بكل ما يُطالب به الشماس والكاهن والأسقف. فقد كان حافظاً لمردات الشماس والشعب وألحان القداس كاملة، وكان يطلب أن تُصلى ألحان القداس كاملة بدون اختصار وأن تُصلى القراءات بهدوء شديد، يُصلي كل الصلوات جهراً، فقد كان أول من صلى الأواشي الكبيرة بعد الإنجيل جهراً عكس ما كان مُتبعاً في ذلك الوقت.

امتاز بوقفته أمام المذبح برهبة وخشوع ووقار، ودائماً يقول لازم الكاهن يعمل صداقة مع ملاك المذبح قبل القداس يتكلم معه، وذكر أن آباء كهنه كانت تشعر بملاك المذبح يكلمهم، وكما تعلم من أب اعترافه القمص ميخائيل إبراهيم أن كل شيء في الكنيسة حي فقد كان أبينا القمص مكاريوس السرياني يتعامل مع المذبح كأنه كائن حي، وكما نُصلي ونقول في أوشية القرابين في رفع بخور باكر يوم الأحد وكذلك في أوشية الآباء الكبيرة "**اقبلها إليك على مذبحك المقدس الناطق السمائى**" ... وهذا الوصف الدقيق للمذبح بأنه "**الناطق السمائي**" تقريباً هو الوصف الوحيد للمذبح، فعندما توضع على المذبح الأوراق التي تحمل طلبات واحتياجات الشعب يقوم الأب الكاهن بقراءتها أثناء تعميد الحمل وينتظر الرد والاستجابة، فيرد وينطق ويتكلم المذبح برد سمائي، فكم وكم من طلبات إسْتُجيبت واحتياجات سُددت عن طريق ذكرها على المذبح.

كان أبونا يتكلم مع ملاك المذبح وملاك الذبيحة كمن هو شاعر بوجودهم ويحس ويشعر بهيبة ووقار المذبح الواقف أمامه، وكان بعد القداس لا يُريد أن يُفارق الكنيسة، وعندما سأله أحد الآباء: "لماذا لا تغادر الكنيسة بعد نهاية القداس؟" فأجابه: "أي واحد منكم عندما يجلس مع شخص يحبه يبقى مش عايز القعدة تخلص".

وبعد الانتهاء من مناولة الشعب، يستغرق وقتاً طويلاً جداً في تنظيف وتصويم الأواني ويحافظ على الجواهر في الصينية ويتعامل معها بدقة شديدة على أساس أنها جزء من جسد المسيح، في أحد القداسات كان يُصلِّي معه كاهن من الجيزة ولاحظ دقته المتناهية في فحص الصينية، فبعد نهاية القداس قال له: "يا أبونا

على فكرة الوقت اللي قدسك أخذته في تنظيف الأواني وفحصها كان مثلث الرحمات الأنبا دوماديوس مطران الجيزة بدأ فيه قداس وانتهى منه".

١٠ "هكذا بقدر ما يكون الراهب مُنفرداً في وحشة بقدر ما يُخدم من العناية الإلهية" (مار إسحق السرياني).

عاش أبونا في قلايته وحيداً مع اللَّه سنين عديدة، وفي أوقات مرضه وآلامه وضيقه كان لا يلجأ لأحد إلا اللَّه وحده ويأخذ تعزيته وسلامه وفرحه من اللَّه مباشرةً، مرة سأله أحد الآباء: "كيف عشت سنين عديدة في قلايتك وحيداً بدون خدمة أو تعزية أو وسائل ترفيه بالرغم من ظروفك الصحية الصعبة التي تستلزم وجود أب مرافق لك؟"، فرد عليه قائلاً: "عندما لا توجد تعزيات بشرية فإن اللَّه يسكب على النفس تعزياته الإلهية بفيض وغنى"، فسأله: "هل عندما كان يساعدك أحدهم في سنينك الأخيرة حُجبت عنك التعزيات الإلهية؟"، أجابه: "لا ربنا رحيم ثم قال له ياما ليالي قضيتها في الآلام وحيداً، كنت في مرات عديدة أقع من على السلم أثناء عملي في حديقة القلاية، فكنت أنام في مكاني وحيداً وأدهن جسدي بالزيت وأطلب شفاعة السيدة العذراء الملكة أم الملك فكانت تستجيب لي سريعاً، كنت أنام متألماً وأستيقظ بحالة جيدة".

في أحد المرات أُصيب أحد الآباء الذين كانوا يُساعدونه بدور إنفلونزا وخوفاً على صحة أبونا حتى لا تنتقل له العدوى اعتذر عن خدمته وفضل البقاء في قلايته حتى ينتهي دور الإنفلونزا، وعرض عليه أن يأخذ بركة خدمته أب آخر فرفض وظل أبونا يقوم بخدمة نفسه، وعند شفاء هذا الأب ذهب إليه ودخل قلايه أبينا وعندما أحس أبونا بحضوره ظل يُردد بصوت خافت: "قدسك عامل إيه دلوقتي صحتك كويسة؟" أجابه: "نشكر ربنا كويس بصلواتك"، دخل أبونا إلى المحبسة فلم يجده وتوجه في اتجاه الصوت إلى المطبخ وأخذ يبحث عنه فوجده واقع على وجهه على الأرض تحت ترابيزة المطبخ، وكان له على هذا الوضع عدة ساعات لم يستنجد أو ينادي على أحد لكي يُقيمه من الأرض، بل كان كل الذي يشغله الاطمئنان على صحة أبونا الذي يخدمه.

طوال مدة حياة أبونا على الأرض لم يقتني موبايل ولا كمبيوتر ولم يخرج إلى مضيفة الدير لمقابلة الإخوة العلمانين إلا مرات معدودة.

﴿١١﴾ "الاتضاع هو أن يعتقد الإنسان في نفسه أنه خاطئ وأنه ما عمل شيئاً من الخير أمام اللَّه" (أنبا إشعياء الإسقيطي).

التواضع هو الفضيلة التي تُظهر أولاد اللَّه وتميزهم عن أولاد العالم، عاش أبونا القمص مكاريوس السرياني حياة التواضع الحقيقي النابع من أعماق قلبه الداخلية ويفيض عليه من الخارج، فكان كل شخص يتعامل معه يرى فيه صورة السيد المسيح الوديع والمتواضع القلب، فقد كان يقطع مشيئته لأي أحد، فقد كان يستأذن من الأب المرافق له قبل الأكل أو العلاج أو ذهابه إلى الحمام، وكان يأخذ رأي الآباء في أموره الخاصة وينفذه حتى لو ضد إرادته ورغبته أو قد يسبب له تعب، وعندما كان يخاطبه أحد من مسافة بعيدة كان يأتي إليه ولا يرد عليه من مكانه، وعندما ينسى أو يتأخر الأب المرافق له في إحضار شيء كان يقوم بإحضاره بنفسه، وإذا تأخر الدواء كان لا يتكلم وكذلك إذا كانت جرعة الدواء ناقصة أو زائدة كان لا يسأل، وحتى لو أخذ دواء منتهي الصلاحية كان لا يعترض.

في أغلب الأحيان كان يخدم نفسه بنفسه، فكان يقوم بنشر الغسيل في الوقت الذي يكون فيه المرافق له غير موجود، وأحياناً كان يُخبئه لكي يقوم بنشره بنفسه، كان مُطيعاً دائماً يقول "حاضر"، فلو دعاه أبونا للأكل وفي يديه عمل كان يتركه ويقوم ويقول "حاضر"، كان يجتهد ليريح الآباء ويفضلهم عن نفسه في كل شيء.

دائماً يصفح عن أخطاء الآخرين في حقه، فذات مرة أخطأ أحد الآباء المرافقين له ثم رجع إلى نفسه وندم عن خطئه، ثم قام بغسل أرجل أبونا فقال له: "مقدرش ألومك لأنك تشبهت بسيدك يجرح ويعصب"، كان دائماً يقول للآباء: "احسب نفسك أنك غير مستحق للزي الرهباني ولا أن تُحسب راهباً وقبل أن تسلم على أي راهب قل في نفسك هذا أفضل مني واسأل اللَّه أن يرحمك بصلواته".

عندما كنت أذهب لزيارته كنت أسأله "إيه أخبار قداستك"، كان يرد ويقول: "قداستي صفر"، فكنت أقول له: "إحنا عايشين بصلواتك"، فيرد ويقول: "فين صلواتي وريهاني" ... كنت أقول له: "صلواتك تُحس ولا تُرى" كان يقول لي: "دي فلسفة أنا مليش فيها".

مرة قلت له: "قدسك جاهدت وتعبت كثيراً في رهبنتك"، فرد عليَّ وقال: "صدقني أنا حاسس إني طول عمري معملتش حاجه ترضي ربنا، أنا مش عارف هقف قدام ربنا أقوله إيه"، كان دائماً يشعر أنه مقصر في حق اللَّه، في نهاية لقائي به كنت أسأله دائماً: "قدسك تأمرني بأي حاجة؟" كان يرد عليَّ: "عايز صلوات قدسك الطاهرة النقيه علشان ربنا يرحمني من الخطية"، كنت أقول له: "أنا محتاج صلواتك"، فكان يرد ويقول: "قدسك مش سألتني عايز حاجه يبقى تنفذ الكلام وتذكرني في صلواتك".

كان أبونا يحس في أعماق قلبه أن كل الناس أفضل منه، فعندما كان يذهب الآباء لزيارته كان يسأل كل منهم أن يقول له كلمة منفعة، كذلك في زيارة الإخوة العلمانين له كان يقول: "فلان يقول لنا حاجة ننتفع بها" وأحياناً كثيرة كان يسأل الأطفال ويطلب منهم كلمة منفعة، كان يطلب الحل والسماح من أصغر راهب أو ممكن يطلبه من أخ في فترة الاختبار، عندما كان يتحدث في التليفون مع أي راهب أو علماني كان الشخص في بداية الحديث يقول له: "تقبل الأيادي" فكان يرد عليه: "نقبل الأيادي والأقدام وما تحت الأقدام"، وأحياناً يكون المتحدث معه شاب في مُقتبل العمر في منزلة ابن ابنه، لهذه الدرجة كان يتضع ويخضع للجميع.

﴿١٢﴾ "لا يوجد ههنا طعام أو شراب، بل جوع وعطش دائم".

(القديس اكليمادوس)

الصوم هو أول وصية أُعطِيَت للإنسان وذلك عندما أوصى اللَّه آدم بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تكوين ٣)، وقديماً صام الأنبياء في العهد القديم، وفي العهد الجديد الرب يسوع نفسه صام أربعين يوماً وأربعين ليلة، كذلك صام الآباء الرسل حين ارتفع العريس عنهم (مت ٩ : ١٥).

مارس أبونا القمص مكاريوس السرياني الصوم لفترات طويله من بداية رهبنته حتى نهايتها، وكما قال القديس مار إسحق السريانى: "**خذ لنفسك شفاء لحياتك، من على مائدة الصوامين أولئك العاملين في الرب وانهض نفسك من موتها**"، عمل أبونا بهذا القول، ففي فترة من حياة أبونا الرهبانية كان يصوم يومين يومين ثم تدرج في الصيام، فكان يصوم أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء ثم يفطر يوم الخميس ويصوم يوم الجمعة ويفطر يوم السبت والأحد، كان قاسياً جداً على نفسه لا يعطى لجسده راحة، وفي أسبوع الآلام كان يصوم من يوم خميس العهد حتى العيد صوما انقطاعياً.

حدث في سنين حياته الأخيرة وفي يوم الأربعاء من أسبوع الآلام ارتفعت درجة حرارة أبونا جداً فاستدعوا الراهب الطبيب فقام بالكشف عليه فلم يجد سبب عضوي لارتفاع درجة الحرارة، فسأله: "هو قدسك آخر مرة أكلت فيها إمتى؟" فانفجر أبونا في البكاء وقال له: "عايز تعريني وتكشفني في آخر أيامي" ... فبعد محاولات لفترة طويلة عرف منه أنه من بداية أسبوع الآلام وهو صائم صوم انقطاعي ليُشارك المسيح في آلامه، وطلب منه ألا يذكر هذا الموضوع لأحد في حياته، لظروف مرضه الشديد اضطر أن يخفف من طريقة صومه، ولكي يذل جسده كان يقوم بسلق الخضروات بدون وضع توابل ولا ملح وكان طعم الأكل غير مستساغ، ولكي يعوض احتياجه لأكثر من وجبة، كان يصوم صيام السيدة العذراء على الملوخية الجافة ويُبللها بالماء، وأحياناً يأكل الفول أو النابت بدون تسخين، كان دائماً ينفذ المبدأ الرهبانى "**إفسده قليلاً**" فلم يأكل أكلاً شهياً، كان يشرب الماء بمقدار كوب صغير في أيام الإفطار واستمر على هذا النظام مدة سنتين ثم تعب صحياً فخففه قليلاً.

كان يأخذ الدواء بدون ماء وفي فترة من حياته كان لا يشرب الماء لعدة أيام، في مرة وضع أمامه كوب ماء لمدة ثلاثة أيام لم يستهلك منه شيئاً، وعندما يشعر بالعطش الشديد كان يُبلل لسانه بالماء.

كان دائماً يقرن الصلاة بالصوم فكان عندما يطلب منه أحد الآباء الصلاة من أجل موضوع يخصه أو يخص أحد أحبائه كان أبونا يُصلي ويصوم حتى يستجيب اللّه لصلاته، حدث أن أحد الشباب وهو قريب لراهب من رهبان الدير ويتردد على أبونا كثيراً ومن أولاده المُقربين أنه طلب صلوات أبونا لكي ينجح بتفوق في الثانوية العامة كي يلتحق بكلية الطب، ظهرت النتيجة وحصل على مجموع لا يؤهله للالتحاق بكلية الطب البشري، كانت الأسرة تتوقع له التحاقه بكلية صيدلة أو علاج طبيعي خاص، وقبل إعلان نتيجة التنسيق ذهب مع أسرته لقضاء بعض الأيام بالدير وذهب لزيارة أبونا القمص مكاريوس في قلايته وأخبره بمجموعه في الثانوية العامه ورغبته في الالتحاق بكلية الطب، كان أبونا يُصلِّي بحرارة من أجله وفي يوم إعلان نتيجة التنسيق اتصل به أحد أصدقاؤه وأعلمه أن كلية الطب قبلت نفس مجموعه بالضبط، فكان فرح عظيم وسط الأسرة ونسوا أن يبلغوا أبونا القمص مكاريوس، وفي الساعة الخامسة عصراً اتصل أحد الآباء بأحد أفراد الأسرة وأعلمهم أن أبونا صائم ولا يُريد أن يفطر حتى يطمئن على نتيجة التنسيق، فأخبروه بالنتيجة فشكر اللّه على استجابة صلواته.

علاقته بالسماء والسمائيين

"لذَلِكَ نَحنُ أيضاً إِذْ لَنَا سَحابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقدَارُ هَذِهِ مُحِيطَة بنَا، لنَطرَحْ كُلَّ ثِقلٍ والخَطِيَّةَ المُحِيطَة بنَا بسُهُولَةٍ، ولنُحَاضِرْ بالصَّبرِ فِي الجِهَادِ المَوضُوعِ أمَامَنَا"

(عب ١٢ : ١)

تؤمن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية بالعلاقة الوطيدة بين السمائيين والأرضيين، أي بين الكنيسة المجاهدة على الأرض والكنيسة المنتصرة في السماء، بين أورشليم السمائية وأورشليم الأرضية، وسوف تبقى وتظل وتستمر وتمتد هذه العلاقة إلى أن يأتي السيد المسيح على السحاب في مجيئة الثاني الآتي من السماوات المخوف والمملوء مجداً.

عاش أبونا القمص مكاريوس السرياني حياته الرهبانية من بدايتها في عِشرة روحية يومية مُتصلة ومُستمرة مع الآباء القديسين القُدامى والمعاصرين، عاشها بكل حب وأمانة وعمق وتدقيق وإيمان، وتمتع ببركتهم وشفاعتهم ومعونتهم وهيبتهم، ولكن بالرغم من علاقته القوية بالسماء والسمائيين إلا أنه نجح نجاحاً باهراً في إخفاء هذه العلاقة عن أعين الجميع، فكل ما نعرفه عن هذه العلاقة هو أقل القليل الذي سقط منه سهواً بدون رغبته.

كان دائماً ينصح الآباء قائلاً لهم: "اقتني لك شفاعة وصداقة مع الآباء القديسين على الدوام"، كذلك كان عندما يدخل إلى الكنيسة أو أي مكان به صور أو أيقونات للآباء القديسين كان يرشم ذاته بعلامة الصليب ويقف فترة أمام صورة القديس يلقي عليه السلام ثم يتحدث معه بدالة قوية، وكذلك كان يفعل ذلك عند خروجه، ويشدد على نطق اللقب كاملاً للقديس أو القديسة فكان يقول: "الشهيدة العفيفة القديسة دميانه".

كذلك ذكر أن قلاية الراهب تكون مثل الكنيسة في تعليق الصور بها خصوصاً في المحبسة، فيتم أولاً تعليق صورة السيد المسيح ثم صورة السيدة العذراء عن يمينه ثم صورة الملاك غبريال ثم صورة الملاك ميخائيل حسب ترتيب دورة الصليب والشعانين، وبالرغم من كثرة الصور الصغيرة في محبسته إلا أنه

كان يعرف مكان كل صورة، وإذا سألته عن أحد القديسين كان يشير بإصبعه إلى صورته حتى ولو كانت مُعلقة في منطقة غير ظاهرة أو منها أكثر من نسخة، وأحياناً كان يتم تحريك الصور من مكانها، فكان يطلب تعديل وضعها أو إزالة أي عائق يحجب رؤيته لها، وكان أبونا يحب أن يسلم على كل قديس في دخوله وخروجه.

١ـ السيدة العذراء مريم والدة الإله :

"أنتِ مُستحقة أكثر من جميع القديسين أن تطلبي عنَا أيتها المُمتلئة نعمة" (ثيؤطوكية يوم الأحد)

كان أبونا الحبيب مُحباً للسيدة العذراء منذ طفولته وكان دائماً يقدس صومها ويصومه بدرجة نسكية عالية، وعندما فكر في الرهبنة ذهب لديرها، وكان دائماً يطلب شفاعتها في كل كبيرة وصغيرة وفي المواقف الصعبة، وهو كان يشعر بحنانها وأمومتها وأنها تستجيب له بسرعة عجيبة ولم ترد له طلب، وفي أيامه الأخيرة كان لسانه لا يفتر ولا يمل في طلب شفاعتها فكان يُناديها قائلاً: "يا أم الرحمة والخلاص يا أم النور يا ست يا عذراء" ... فكانت دائماً تسبل سترها وبركتها ومعونتها عليه، فهيَ الأم والشفيعة الخصوصية لطغمة الرهبان.

كثيراً ما سأله الآباء الرهبان عن ظهور السيدة العذراء له، ولكنه كان يتهرب من الحديث بذكاء شديد، في سنينه الأخيرة وفي أحد الأيام كان أبونا يتألم بشدة بالإضافة إلى آلام الصداع الشديدة بالرأس ومتاعب بالكبد، وكان من شدة الألم لا يأكل ولا ينام وكان يرافقه حينئذٍ أحد الآباء الأطباء وعرض عليه أن يشغل له مديحة "أنا أول كلامي أصيح السلام" الخاصة بالسيدة العذراء والتي تُقال في برَمون عيد الميلاد فعندما سمع الترنيمة ابتسم واستنار وجهه وقال: "**العذراء الملكة أم الملك فخر جنسنا**".

وفي أحد الأيام أُصيب أبونا الحبيب بآلام شديدة في البطن وشبه توقف في حركة الأمعاء، وظل على هذا الحال لمدة ثلاثة أيام فبدأ الآباء الأطباء في

إعطائه بعض الأدوية لتسهيل حركة الأمعاء ولكن لم يحدث أي تحسن ملحوظ حتى ولو طفيف، بعد ذلك لجأ الآباء إلى بعض الحقن ولكنها لم تأتِ بأي نتيجة فإزداد الأمر سوءاً وتعقيداً وابتدأ أبونا الحبيب يشتكي من صعوبة في التنفس لانتفاخ البطن بشكل ملحوظ، وبالتالي ضغطها على القفص الصدري، واستمر هذا الأمر لمدة أسبوع بعدها قرر الآباء ذهابه إلى القاهرة لتلقي العلاج المناسب، وما أن رأى أبونا الحقائب المُجهزة للسفر حتى انفجر في البكاء كعادته كل مرة ينزل فيها من الدير إلى القاهرة وأخذ يقول بصوت عالي: "**يا ست يا عذراء يرضيكي كده عايزين ينزلوني مصر؟**".

وأخذ يترجى الآباء ليُعطوه فرصة حتى نهاية اليوم، وبعد نهاية اليوم قام الآباء بالكشف عليه فوجدوا حركة الأمعاء طبيعية جداً كأنه لم يحدث شيء من قبل وظل أبونا الحبيب يشكر ربنا والسيدة العذراء على شفاعتها واستجابتها.

حكى أحد الآباء أنه كان من عادة أبينا الحبيب أن يقضي الليل في الصلاة وفي بداية الصباح يأخذ قسطاً من الراحة، وفي صباح أحد الأيام بعد ما قضى هذا الأب احتياجات أبينا قال له هأترك قدسك لكي تستريح، فقال له خليك قاعد شوية وتحدث معه كثيراً عن الرهبنة وحياة الراهب داخل القلاية وكيف يشغل وقته بلا ضجر، وأثناء الحديث كان يأخذ غفوة من شدة التعب والإرهاق ثم يستيقظ ويواصل الحديث، وأثناء الحديث تكلم عن السيدة العذراء وابتدأ يستفيض في الكلام عنها ثم قال: "إحنا هنا قاعدين في حضنها، العذراء بتحرسنا كلنا وسهرانة علينا"، قال له: "قدسك قضيت سنين في حب العذراء"، قال له: "طبعاً بص كده هناك أكثر من صورة للسيدة العذراء وأشار إلى مكان الصور"، سأله: "كيف أصل لمحبتها؟" أجابه: "حاتحبها وتحس بها حاتقرب منك، لكن الأيام دي بعدت عنَا علشان إحنا بعدنا عنها"، سأله: "هيَ زارتك في القلاية هنا؟" قال: "أيوه" بس في الأيام الأخيرة، وعندما أراد أن يعرف تفاصيل الزيارة قال له: "كفاية كده علشان عايز أريح".

٢ ـ الملاك ميخائيل:

"ميخائيل رئيس السمائيين هو الأول في الطقوس الملائكية يخدم أمام الرب"

(ذكصولوجية الملاك ميخائيل)

كانت تربط أبينا الحبيب علاقة قوية برئيس الملائكة ميخائيل، فتربى من طفولته المُبكرة في كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل المجاورة لمنزله، كذلك عند انتقاله للدراسة في القاهرة سكن بجوار كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالظاهر، وكان بالنسبة له الملاك مثال للانتصار على الشياطين بقوة ويتشفع به في حروبه الروحية وفي الكثير من أموره، وكان عندما يطلبه يستجيب له، فعند التحاقة بالخدمة العسكرية كضابط احتياط تشفع بالملاك فتم فرزه وإعفائه من الخدمة العسكرية، كذلك حدثت له بعض المعجزات بشفاعة الملاك ميخائيل **لكنه لم يفصح عنها.**

٣ ـ القديس أندراوس الرسول:

"ربنا يسوع المسيح اختار رسله وهم بطرس وأندراوس ويوحنا ويعقوب".

(ذكصولوجية الآباء الرسل)

كان أبينا الحبيب مُحباً وشغوفاً بتلاميذ السيد المسيح دائماً يتحدث عنهم ومعهم، كان يتحدث عن مدى بساطتهم ومحبتهم وقربهم لرب المجد ويتحدث عن محبة السيد المسيح لتلاميذه البسطاء وكيف كان يأخذهم معه في كل مكان، يتشفع بهم خصوصاً القديس أندراوس الرسول، فحدث بينما كان أحد الآباء يقوم بترتيب الصور الورقية الموجودة في قلاية أبونا أنه قام باستبعاد صورة القديس أندراوس الرسول لقدمها، ففوجئ بأبينا الحبيب ينتهره وطلب الصورة وقبلها ووضعها في جيبه، وعندما سأله عن السبب حكى له أنه في إحدى الأيام عانى من شدة المرض الذي سبب له متاعب شديدة فطلب السيدة العذراء، ثم الملاك ميخائيل، ثم القديس أندراوس الرسول وقال له: "كما توسطت في معجزة الخمس خبزات والسمكتين اطلب من الرب عني، فاستجاب اللّه له بصلوات وطلبات القديس أندراوس الرسول.

٤ـ الشهيد العظيم مارجرجس:

"سلام لك أيها الشهيد ... السلام للشجاع المجاهد ... السلام للابس الجهاد ... سيدي الملك جورجيوس" (ذكصولوجة الشهيد مارجرجس)

كانت تربط أبينا الحبيب علاقة محبة قوية بالشهيد مارجرجس الروماني أمير الشهداء، فحدث في طفولته أنه ذهب مع ابن عمه إلى كنيسة مارجرجس بفرشوط لإيفاء نذر، وفي طريق ذهابهم قام بعض الأشرار بعمل كمين لهما لخطفهم وطلب فدية من أسرهم، وبعد إيفاء النذر وفي طريق عودتهم شاهدوا رجلين كامنين في زراعة القصب ومتحفزين للهجوم عليهم فصرخوا بأعلى صوتهم طالبين شفاعة مار جرجس فوقف الشخصين في مكانهم دون حركة حتى وصل أبونا الحبيب وابن عمه إلى الطريق العمومي، وهناك قابلهم أحد الأشخاص وقال لهما: "اسرعوا بالهروب لأن هناك من يُريد خطفكم وسأل عنكم وعن مكان تواجدكم"، فأسرعوا السير في الطريق حتى وصلوا إلى منازلهم بسلام بشفاعة مارجرجس أمير الشهداء.

٥ـ أنبا أنطونيوس وأنبا بولا:

"اطلبا من الرب عنا .. يا سيدي الأبويين مُحبي أولادهما .. أنبا أنطونيوس وأنبا بولا .. ليغفر لنا خطايانا".

(ذكصولوجية القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا بولا)

أحب أبونا الحبيب الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان محبة خاصة وقوية فقرأ سيرته ورسائله وتتلمذ عليها، وكان يُوصي أبناءه الرهبان بقراءة سيرة الأنبا أنطونيوس التي كتبها البابا أثناسيوس الرسولي، كما أحب القديس الأنبا بولا أول السواح وقبل ذهابه إلى دير السيدة العذراء السريان للرهبنة قام بزيارة دير الأنبا أنطونيوس ثم زار دير الأنبا بولا وتقابل مع المتنيح القمص فانوس الأنبا بولا ومن تلك اللحظة صارت بينهم علاقة محبة شديدة، وعند ذهاب أبينا الحبيب إلى مستشفى الحياة للعلاج تصادف وجود المتنيح القمص فانوس الأنبا بولا في فيلا مجاورة للمستشفى فعرض عليه أحد الآباء زيارته فوافق وذهب إليه وتقابل معه واستقبله بفرح وترحاب، وكان لقاء روحي شهد له جميع الحاضرين، وذكر الأب

الذي كان يقوم بخدمة المتنيح القمص فانوس الأنبا بولا أنه في كل مرة يبلغ له سلام أبينا الحبيب كان يفرح ويبتسم.

وحدث إنه في اليوم السابق لعيد النيروز لعام ٢٠٢١م انتهى أبونا القمص مكاريوس من فترة علاجه بمستشفى الحياة وطلب الذهاب للدير علشان يحضر عيد النيروز بالدير فقام الأب المرافق له بالاتفاق مع أحد الشباب ليقوم بتوصيلهم إلى دير الانبا أنطونيوس والأنبا بولا، وتحركت السيارة أثناء الغروب وطوال الطريق لم يتحدث أبونا مُطلقاً بالرغم من إحساسه بطول الطريق، وصلوا دير الأنبا بولا في منتصف الليل وعند نزول أبونا من السيارة سأل: "إحنا فين؟" فقال له السائق: "إحنا في دير أنبا بولا"، فأخذ يكرر اسم الأنبا بولا بفرح وقال: "أنا بقول ليه الطريق طول كده" .. فقال له أبونا المرافق له: "لماذا لم تسألنا طوال الطريق؟" فقال له باتضاع: "هو أنا أعرف أكثر منكم؟".

وقبل دخوله للدير قام بتقبيل باب الدير وجدران الدير لإحساسه بقدسية المكان، وأثناء مروره في ممر الدير تقابل مع آباء رهبان فأخفى العكاز التي كان يتوكأ عليها احتراماً للآباء وقام بالسلام على الآباء وحاول أن يُقبل أيديهم، بعد ذلك ذهب إلى بيت الكهنة وعند وصوله وجد صورة أنبا بولا فقبلها بفرح وأخذ يقول: "أنبا بولا الحلو السلام للأنبا بولا"، ووقف فترة أمام الصورة وأخذ يتكلم مع الأنبا بولا كأنه قائم أمامه، عرض عليه الآباء الرهبان أن يجهزوا له قلاية ليستريح فيها من طول مدة السفر فرفض وذهب إلى الكنيسة وحضر سهرة النيروز وسلم على رئيس الدير وقَبَّلَ يديه وعرض عليه أن يبقى معهم عدة أيام ولكنه اعتذر، وبعد السهرة حضر القداس ثم ذهب إلى المائدة وتناول قليل من الطعام ثم ذهب لزيارة مزار أبونا فانوس، ثم بعد ذلك ذهب لزيارة دير الأنبا أنطونيوس وزار كنائس الدير ثم قام بزيارة القمص بيجيمي السريانى في قلايته فتأثر أبونا بيجيمي بالزيارة وبكى فقَبَّلَ أبونا القمص مكاريوس رأسه ويده وفي طريق عودتهم لدير السريان قاموا بزيارة دير القديس أنبا مقار.

٦ ـ الأنبا موسى الأسود:

"لأنه صار محارباً .. مخوفاً ضد الشياطين .. ووقف على الصخرة .. كمثال الصليب". (ذكصولوجية الشهيد الأنبا موسى الأسود)

كان أبونا الحبيب يحب القديس الأنبا موسى الأسود حباً كبيراً وكان دائماً يطلب شفاعته خصوصاً في أموره الروحية، لأن الأنبا موسى كان من القديسين الأقوياء في توبتهم، وذكر أن أحد الآباء رآه مُنيراً في السماء أبيض في أبيض.

وبالرغم من محبته له كانت آخر زيارة لأبينا الحبيب لدير البراموس عام ١٩٦٤م أي قبل ذهابه للرهبنة بحوالي خمس سنوات وخلال فترة رهبنته التي تخطت الـ ٥٠ عاماً لم يقم بزيارة أي دير حتى الأديرة المجاورة، وعندما سأله الآباء عن ذلك فرد عليهم: "أنبا موسى الأسود صورته ورفاته موجودة عندنا بالدير يبقى ليه لازم أروح أزوره في دير البراموس؟" فرد عليه اثنان من الآباء: "أكيد هو زارك في قلايتك بالدير" فقال لهما: "**التأمُّلات الخاصة دي أنا مليش فيها هو أنا شخصية علشان يزورني**"، فسأله أحد الآباء: "ايه المشكلة إنك تزور دير البراموس" فرد عليه قائلاً: "دير البراموس مكان مقدس لكن المشكلة في ملابسات الزيارة، أي وجوه سوف تقابل وأي حكايات سوف تُحكى وهتقابل ناس كثيرة ودوشة وزحمة ويكون فيها عزومة على المائدة وتخرج عن طقسك الرهبانى".

زيارة أبينا الحبيب الأخيرة لدير البراموس:

في يوم الجمعة الموافق ٢٠٢١/٩/٣م حضر معي أبونا الحبيب قداس في كنيسة البابا كيرلس السادس بالدير في وجود بعض أفراد الأسرة، وبعد نهاية القداس فكرت أن نأخذ أبونا في زيارة لدير البراموس، ذهب معي أحد أفراد الأسرة بسيارته وأحد الشباب، وعند مكتبة دير الأنبا بيشوي سألني أبونا الحبيب: "رايحين فين"، فأجبته: "لما نوصل هاتعرف"، وصلنا إلى دير البراموس وتم وضع أبونا على كرسي متحرك وعند دخوله الكنيسة الأثرية كان فرحاً مُتهللاً، وقف أمام باب

الهيكل وقبَّلَ ستر الهيكل، ثم وقف فترة يُصلِّي وظل فترة طويلة أمام جسد الأنبا موسى الأسود وأنبا ايسيذورس، وأخذ يتحدث معهم بدالة قوية كمن يُناجي آبائه وأحباءه، وقفت صامتاً في مكاني أُراقب الموقف من بعيد وأخذت أتامل في عمق العلاقة بين أبينا الحبيب والقديس أنبا موسى الأسود، فهو لا يتحدث مع رفات أو عظام أموات بل مع قديس حي قائم أمامه، وكم من شياطين وأرواح شريرة هربت من أمام جسد الأنبا موسى وكم من معجزات تمت أمام رفاته. فهذا هو إيمان كنيستنا القبطية الأرثوذكسية وهذا ما ذُكر في سفر الملوك الثاني (١٣ : ٢١) **"وفِيمَا كَانُوا يَدفِنُونَ رَجُلاً إذ بِهِمْ قَدْ رَأوا الغُزَاةَ، فَطرَحُوا الرَّجُلَ فِي قَبرِ أَلِيشَعَ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّجُلُ ومَسَّ عِظَامَ أَلِيشَعَ عَاشَ وقَامَ عَلَى رِجلَيهِ".**

ثم زار هيكل مارجرجس وتبارك من رفاته الموضوعة بالكنيسة، والملفت للنظر في هذه الزيارة أن أبينا الحبيب كان يتحدث مع صور وأيقونات الآباء القديسين ويطلب صلواتهم وشفاعتهم كمن يتحدث مع الأحياء، منادياً كل قديس بلقبه فتذكرت كلمات الترنيمة التي تقول: "إيماني أكيد إن الصورة حية مش خطوط بالإيد"، بعد ذلك توجهنا لزيارة مغارة القديس البابا كيرلس السادس وظل أبينا الحبيب واقفاً فترة طويلة أمام باب المغارة يُصلِّي ويطلب شفاعة البابا كيرلس السادس.

٧ـ القديس أبو مقار:

"السلام للعظيم أنبا مقار .. مصباح الرهبنة .. الذي صار منارة ذهبية .. تُضئ أكثر من الشمس". (ذكصولوجية أنبا مقار الكبير)

كان أبونا الحبيب يحب القديس الأنبا مقار الكبير أب رهبنة برية شيهيت ومؤسس أديرتها، وعندما يرى تصرف لا يعجبه من أي راهب كان يقول: "تعالى يا أبو مقار شوف ولادك"، كان يتشفع به كثيراً ففي أحد الأيام ارتفعت درجة حرارة أبونا جداً دون سبب واضح، وبدأ يتعب والحالة الصحية تدهورت سريعاً وأصبح غير قادر على الحركة، فكان الآباء يساعدوه في الذهاب إلى الحمام، وبعد فترة

بسيطة ركبوا له قسطرة وتوقع الآباء نياحته في أي وقت، وتجمع الآباء الرهبان الأطباء حوله وقرروا نزوله سريعاً للقاهرة للعلاج، فطلب منهم أن يُعطوه مهلة يوم واحد، وفي الغد ذهب إليه الآباء ووجدوه فرحاً مُتهللاً وبحالة صحية جيدة جداً ووجهه مُبتسماً ومُنيراً، وكان هذا اليوم موافق عيد القديس أنبا مقار الكبير، سأله الآباء هو القديس أبو مقار زارك فلم يرد عليهم بأي كلمة.

† ملحوظة هامة:

في تلمذة أبينا الحبيب على المتنيح عم عباس الغالي كان يحكي له كثيراً عن ظهورات السيدة العذراء، مرة سأله أحد الآباء: "هو ينفع إني أحكي عن ظهورات السيدة العذراء لي؟"، فرد عليه أبونا: "حسب ما تقول لك السيدة العذراء، ففي معجزات السيد المسيح كان أحياناً يقول للشخص لا تخبر أحد وفي أحيان أخرى كان يقول له اذهب وخبر بما صنع اللّه بك"، وبالرغم من ذلك كان أبونا الحبيب حريصاً أشد الحرص على إخفاء علاقته بالآباء القديسين ولا يحب أن يتحدث عن حياته الشخصية، فما تم ذكره تم معرفته من أقاربه والآباء الذين عاصروه، ومن أمثلة ذلك أنه بعد نياحة أب اعترافة القمص عازر أرسانيوس سأله الآباء عنه فقال: "إن أبونا قاسى كثيراً في شبابه ووصل لدرجة عالية من القداسة، وأنا أعرف أسرار كثيرة عنه"، فقال له الآباء: "احكي لنا عنه" فرفض الإفصاح عن أى شيء بخصوصه.

شفافيته

"سِرُّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ، وعَهدُهُ لِتَعلِيمِهِم" (مز ٢٥ : ١٤)

يقول القديس يوحنا القصير: "**إن نعمة الروح القدس إذا حلت في عقل إنسان أروته ليخرج أثمار تصلح لعمل اللَّه فيه**" فحينما أشرق روح اللَّه على أبينا الحبيب بالنعمة الإلهية وعمل الروح القدس فيه وبه ومعه، ونتيجة لجهاده وتضحياته وتقدماته وإنكاره لذاته وهروبه الدائم من المجد الباطل واتضاعة، أراه اللَّه ما لم تراه عين وأسمعه ما لم تسمعه أذن، فعندما نتكلم عن الشفافية في حياة أبينا الحبيب نتكلم عن البصيرة الروحية التى أفاض اللَّه بها عليه فكانت عيناه تخترق أستار الماضي وتمتد إلى الحاضر وتتنبأ بالمستقبل كما ذكر في الإنجيل:

+ "لأَنَّكَ أخفَيتَ هذِهِ عَنِ الحُكَمَاءِ والفُهَمَاءِ وأعلَنتَهَا لِلأطفَالِ" (لوقا ١٠ : ٢١)، **فرأينا أبينا الحبيب في شيخوخته يتصرف ببساطة شديدة كالأطفال رغم شدته وقسوته على نفسه في بداية رهبنته.**
+ **وكذلك كما ذكر في إشعياء النبي** "مُقِيمٌ كَلِمَةَ عَبْدِهِ وَمُتَمِّمٌ رَأْيَ رُسُلِهِ" (إش ٤٤ : ٢٦). **فما كان يتنبأ به ويقوله للآخرين كان يتحقق بكل تفاصيلة.**
+ **وكما ذُكر في سفر العدد** "وحْيُ الرَّجُلِ المَفتُوحِ العَينَيْنِ. وحْيُ الَّذِي يَسمَعُ أَقْوَالَ اللَّهِ ويَعرِفُ مَعرِفَةَ العَلِيِّ. الَّذِي يَرَى رُؤيَا القَدِيرِ مطروحا وَهُوَ مَكْشُوفُ العَينَينِ" (عد ٢٤ : ١٥، ١٦).

حقاً كان أبينا الحبيب مفتوح العينين يرى ما لم تراه عين، وشفافية أبينا الحبيب شملت الكثيرين من الآباء الرهبان والإخوة العلمانيين في ديرنا العامر وفي أديرة أخرى ومن الذين تقابلوا معه لأول مرة بل ومن الذين رأوه لمرة واحدة وتمتعوا بشفافيته.

• **سوف نستعرض بعض المواقف والقصص التى تظهر شفافية أبينا الحبيب:**

† الموقف الأول:

حكى أحد الآباء أنه في أول مرة يتقابل فيها مع أبينا الحبيب كان في ذهنه مجموعة من الأسئلة يُريد أن يسألها ولكنه كان متردداً فقام أبونا الحبيب بالإجابة عن جميع أسئلته بالترتيب دون أن يسألها، فقال في نفسه يمكن تكون مجرد صدفة وعندما خرج من عنده أخذ يفكر في كلام أبونا وشعر أن روح اللَّه هيَ التى قادته للرد على أفكاره التي لم يبح بها.

† الموقف الثانى:

مرة أخرى قبل ذهابه لزيارة أبينا الحبيب كان يسمع عظة لمثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث بعنوان "مخافة اللَّه" وُرد في ذهنه بعض الأسئلة بخصوص العظة، فذهب إلى قلاية أبينا فوجده مشغل نفس العظة ويستمع إليها، فسأل أبونا: "كيف أقتني مخافة اللَّه؟"، فرد عليه: "مش تركز في العظة إللي كنت مشغلها في قلايتك قبل حضورك، لازم تركز مع البابا شنوده أنا كل يوم بسمع عظة للبابا شنوده".

† الموقف الثالث:

أحد الآباء قبل ذهابه لزيارة أبينا كان قد شاهد مباراة لكرة القدم مع عمال الدير في قاعة العرض الخاصة بهم، وعندما دخل القلاية عنده وبدون مقدمات قال له: "إن المتنيح القمص يوسف السرياني كان دائماً يقول: الألف تجيب الباء"، ويقصد أن الخطية الصغيرة تجيب خطايا كبيرة، فقال له: "مجرد مباراة كرة قدم حضرتها" فرد عليه: "مشاهدة الحاجات العالمية دى تبرد حرارة الراهب".

أبونا كان لا يحبذ اللجوء إلى وسائل التسلية، وفي أحد المرات أراد أحد الآباء أن يعرض له حلقة من عالم الحيوان ليراها أبونا على موبايله وكنوع من الأدب وافقه أبونا وبعد ما شاهد جزء بسيط منها قال له: "إيه رأيك يا أبونا أجيب لقدسك مجموعة من الحلقات" فرد عليه قائلاً: **"لقد أتيتم بآلات اللهو إلى جبل اللَّه"**، أنا بعتبر هذه الأشياء غير رهبانية ولا تناسب الراهب ولا أوافق عليها".

† الموقف الرابع:

في أحد الأيام سقط أبونا الحبيب على الأرض فأُصيب بكدمات وجروح واتصل الأب الموجود معه بأحد الآباء وقال له: "تعالى بسرعة أبونا وقع مني"، في هذه اللحظة كان هذا الأب يُصلي صلاة الساعة التاسعة فترك الأجبية وذهب مُسرعاً لقلاية أبينا الحبيب، وبعد ما قام الآباء بعمل اللازم استأذن هذا الأب من أبينا لكي ينصرف وقال له: "قدسك تأمرني بأي حاجة تاني؟" فقال له: "شكراً" ثم قال له أبونا: "كتر خيرك كان زمانك تسبح وتهلل، كنت قدسك بتصلي صلاة الساعة التاسعة وفي مزمور قال الرب لربي"، حدد له كل شيء بدقة وقصد بعبارة تُسبِّح وتُهلل أن صلاة الساعة التاسعة تبدأ بالتسبيح في مزمور "سبحوا الرب تسبيحاً جديداً" كذلك المزمور التاسع والتسعون "هللوا للرب يا كل الأرض".

† الموقف الخامس:

حكى أحد الآباء الرهبان الأطباء أنه في أسبوع الآلام وفي الشهور الأخيرة لحياة أبينا الحبيب كان مشغولاً جداً في عمله ولم يستطع أن يحضر أي بصخة في هذا اليوم الذي كان مشغولاً فيه، وفي نهاية البصخة الأخيرة سجد أمام الهيكل ثلاث سجدات، وذهب مُسرعاً لقلاية أبينا الحبيب ليطمئن عليه حيث كان مُلازماً للفراش، وبعدما سلم عليه مدحه أبونا مكاريوس وأشاد بتعبه وتفانيه في خدمة الآباء، فرد عليه: "أنا مش كويس حتى البصخات مش بحضرها" فقال له: "مش بتحضرها إزاي وأنا شايفك سجدت أمام الهيكل ثلاث سجدات وقلت يا رب سامحني" فلكي يشجعه اعتبر مجرد سجوده أمام الهيكل حضور للبصخة.

† الموقف السادس:

شاب من أقارب أحد الآباء كان من المتفوقين دراسياً وحدث قبل امتحان الثانوية العامة بشهور قليلة أنه أُصيب بحالة يأس وإحباط وتوقف عن المذاكرة فاتصل أحد أفراد الأسرة بالراهب قريبه، فذهب لأبينا الحبيب وأعلمه بالأمر وظل

يُصلي من أجله، وكان كل أب يزوره يطلب منه الصلاة من أجله، وفي زيارتي له عدة مرات كان كل مرة يقول لي: "صلي من أجل فلان قطع الكتب الدراسية"، هذا الشاب حالياً طالب بكلية الطب.

كذلك شاب آخر قريب لأحد الآباء قبل امتحانه بكليته توقف عن المذاكرة وتوقع لنفسه الرسوب في هذا العام فذهب الأب قريبة لأبينا الحبيب وكلمه من تليفونه وقال له: "تبعد عن الشخص غير المؤمن اللي بتمشي معه" وتحدث معه طويلاً بتأثر شديد، وحكى له عن تفاصيل في حياته كأنه عايش معه، وبعدها نجح الشاب بتقدير في هذه السنة.

† الموقف السابع:

أحد الشباب فشل في إدارة أحد المشاريع فتعثر مادياً وتراكمت عليه الديون، فذهب للدير وتقابل مع أبينا الحبيب فكان يعطف عليه ويُعطيه كل ما يملك من مال وطعام، كان هذا الشاب في فكره يدين أفراد أسرته لعدم وقوفهم بجواره، وفي كل مرة كان يزور أبينا الحبيب كان يقول له أنت الأسبوع اللي فات أو بالأمس قلت كذا وكذا على فلان وفلان .. مينفعش تدين أحد، كذلك في وجوده وسط مجموعة عند أبونا كان أبونا يوجه له رسائل شخصية لا يشعر بها أحد من الموجودين إلا هو وحده، هذا الأمر تكرر كثيراً مع أشخاص كثيرين عندما كانوا يحضرون عند أبينا الحبيب كان يوجه رسالة شخصية لكل واحد منهم يفهمها هو شخصياً دون الآخرين وضعفي شاهد عيان على هذا.

† الموقف الثامن:

عانى أحد الآباء في بعض الأوقات من ضغوط العمل التي كانت على حساب قانونه الروحي، فتذمر في فكره وازدادت وضغطت عليه الأفكار، وكان يقول في نفسه: "أي طاعة تفرض عليَّ أن أعمل ويكون عملي على حساب صلواتي؟"، فذهب إلى أبينا الحبيب في قلايته لكي يسترشد بكلمات النعمة على

لسانه، وقبل أن ينطق بكلمة تحدث أبينا الحبيب معه وقال: "أنا عايز أكلمك عن درسين هامين في حياة الرهبنة هما حياة الشكر الدائم وحياة الطاعة، وكأنه شعر بكل تعبه وأنينه وبما يدور في فكره، وحدث هذا مرات عديدة فأكد لي الكثير من الآباء والإخوة العلمانيين أن أبينا الحبيب أثناء وجدوهم معه كان يعرف الفكر الذي يُفكرون فيه وينبههم بطريقة غير مباشرة.

† الموقف التاسع:

حكى أحد الشباب في أول مقابلة له مع أبينا الحبيب كان داخل إلى الكنيسة فسلم عليه وقال له: أنت في سنة كام؟ فقال له: "في الصف الأول الثانوي اذكرني في صلواتك علشان عايز أدخل كلية طب"، فقال له: "مفيش كلية طب" قال: "حتى كلية صيدلة" وقال: "ولا صيدلة"، أخذ يذكر له الكليات العلمية فقال له: "مفيش كلية من دول هتدخل كلية سهلة قول كلية تجارة مثلاً"، وفعلاً حصل على مجموع ٨٦٪ في الثانوية العامة وبعد ظهور نتيجة التنسيق فوجئ أنه التحق بكلية التجارة كما ذكر له أبونا الحبيب سابقاً.

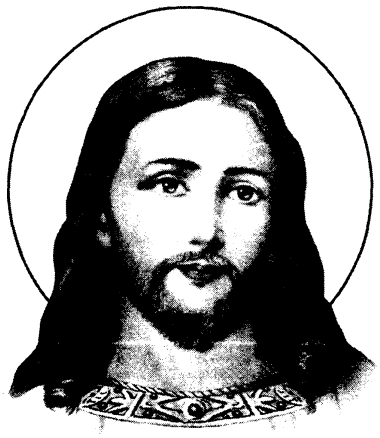

معجزاته

"آياتُهُ مَا أعظَمهَا، وعَجَائِبُهُ مَا أقوَاهَا" (دا ٤ : ٣)

ما نذكره من معجزات لأبينا الحبيب هو القدر اليسير لأن هدف الكتاب ليس إضفاء صفة القداسة على شخص أبينا الحبيب ولا حتى تخليداً لذكراه أو تمجيداً لشخصه، فإن لم يُمجد اللَّه الإنسان فمجد الناس باطلاً وهذه المعجزات مُسجلة بصوت أصحابها ومُرفقة بصور فوتوغرافية وتسجيل بصوت الطبيب المعالج.

- أحد العمال بالدير فكر أن يترك العمل بالدير ويلتحق بعمل آخر في العالم، بعد فترة عُرض عليه عمل في شركة مبيدات بأحد المحافظات فذهب لأبينا الحبيب ليستشيره فقال له: "روح" ثم قال له: "خلي بالك" وطلب السيدة العذراء أن تحافظ عليه بحزن، وكرر الطلب ثلاثة مرات أخذ يقول: "يا عذراء يا عذراء يا عذراء"، عمل نصف شهر ثم حدث أنه في أحد الأيام كان يشعل سبرتاية فاشتعلت به النار فترة طويلة وذهب إلى المستشفى ودخل العناية المركزة، وفي اليوم التالي فتح عينيه، فقالت له الممرضة: "أنت حصلت معك معجزة أجهزة الجسم كلها توقفت والأطباء توقعوا لك الموت في أقرب وقت"، وحدث أنه في هذا اليوم رأى أبونا يُصلي له في غرفة العناية، بعد ذلك قال له الأطباء: "أنت عندك حروق من الدرجة الثالثة والرابعة وتحتاج إلى ثلاث رقع، رقعة في الرقبة ورقعتين في الصدر يميناً ويساراً"، وبعد عشرة أيام في العناية المركزة قالوا له: "أنت هتنزل العمليات علشان تعمل رقع"، فقال لهم: "مش هعمل"، وطلب أبونا القمص مكاريوس وقال له: "قدسك تسيبني كده تعبان أنا زعلان منك ومش هروح الدير تاني"، في هذه الليلة أحس بأن يد تتحرك في جسمه وسمع صوت حصان بالحجرة، ففتح عينيه رأى أبينا الحبيب وقديس بحصانه فقال له أبونا الحبيب: "قوم نضفنا لك الجروح .. محتاج حاجة تاني؟" فقال له: "استنى علشان أروح معك الدير" فقال له: لا أنت هتيجي بعدي"، ثاني يوم كشف عليه الأطباء وجدوا الجسم سليم به آثار بسيطة للدلالة على عمل اللَّه، أخذ الأطباء

يصوروا مكان الحروق وأرسلوها لمدير المستشفى الذي قرر خروجه ثاني يوم، بعد خروجه من المستشفى ذهب لزيارة أبينا الحبيب في قلايته ففوجئ به يقول: "له المجد لاسم اللَّه مش لي، أنا إنسان ضعيف أوعى تحكي لحد".

- **معجزة بعد نياحته:**

حكت احدى السيدات التي كانت تزور أبونا أثناء وجوده في مستشفى الحياة أنه في شهر فبراير عام ٢٠٢٣م أحست بتعب وآلام شديدة فبعد عمل الأشعة والمناظير وجد الطبيب المعالج أن هناك ستة أورام بالرحم تحتاج إلى عملية جراحية، كانت مُتحيرة في اتخاذ قرار العملية، طلبت من أبينا الحبيب أن يذكرها في السماء، بعد ذلك سمعت صوت يتكرر ثلاثة مرات اعملي العملية هتتعبي شوية وبعد كده هتبقي كويسة، كانت العملية تتكلف من ٦٠ إلى ٧٠ ألف جنيه والأسرة لا تملك سوى ٢٥ ألف جنيه فقط فتحدثت مع أبينا الحبيب من خلال صورته المُعلقة في منزلها وقالت له: "قدسك تتصرف وتدبِّر فلوس العملية أنا مش هلجأ لأي أحد غير لربنا ولقدسك"، بعد دقائق معدودة اتصل بهم الطبيب الجراح الذي سيقوم بإجراء العملية وقال: "جاني هاتف إني أعمل العملية بمبلغ ٢٥ ألف جنيه فقط إيجار المستشفى الأمريكي الذي ستجري به العملية"، تم تحديد ميعاد العملية وفي صباح ذلك اليوم تحدثت مع أبينا الحبيب بدالة قوية وقالت له: "أنا زورتك كثيراً في المستشفى ممكن تيجي وتزورني وتقف معي في العملية؟"، بعد ذلك ذهبت إلى المستشفى وتم عمل الفحوصات اللازمة وقبل دخولها إلى حجرة العمليات أصرت أن تضع صورة أبينا الحبيب أسفل غطاء الرأس رغم رفض الأطباء، دخلت غرفة العمليات وقام طبيب التخدير باعطائها بنج كلي فنامت وأثناء العملية رأت أبينا الحبيب موجود معها في غرفه العمليات استغرقت العملية ٤ ساعات وبعد خروجها كانت حالتها حرجة وتوقعوا لها الموت فتم قياس النبض والضغط والأكسجين إلا أن الشاشة كانت لا تظهر أي قراءات، بعد ساعة أفاقت وسألت عن صورة أبينا الحبيب، وبعد حوالي ساعتين حضر الطبيب الجراح وقال لها: "أثناء العملية أحسست

بسلام شديد رغم صعوبة العملية واستغراقها لوقتٍ طويل"، وهيَ تعيش بصحة جيدة الآن.

- **أبونا في دير الأنبا بولا:**

"أعرِفُ هَذَا الإِنسَانَ. أَفِي الجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الجَسَدِ؟ لَستُ أَعلَمُ. اللَّهُ يَعلَمُ".

(٢ كو ١٢ : ٣)

حكى أحد الأطباء المُعالجين لأبينا الحبيب وهو أستاذ جامعي في إحدى الجامعات، في بداية حديثه معي قال لي: "أنا لا أؤمن بالغيبيات، أنا أؤمن بالعلم والنظريات العلمية، ولكن ما حدث معي هو الآتي: أثناء صيف عام ٢٠١٨م قمت بزيارة لدير الأنبا بولا بالبحر الأحمر وأثناء حضوري لصلاة القداس الإلهي وأنا في كامل اليقظة رأيت أبونا القمص مكاريوس السرياني وهو يدخل الهيكل في كنيسة أنبا بولا، وعندما ذهبت لأخذ بركته بعد انتهاء التناول لم أجده في الكنيسة، حينئذٍ أصابني القلق وفكرت أن يكون أبونا قد تنيح فاتصلت بأحد الآباء بالدير وأخبرني أنه موجود بالدير وبصحة جيدة".

وفي أول زيارة له لدير السريان بعد هذا الموقف وبعد الاطمئنان على صحة أبينا الحبيب جلس معه جلسة خاصة على انفراد وأثناء هذه الجلسة أحس أنه يعلم ما يدور بداخله وأنه يعرف ما لا يعرفه أب اعترافه عنه، وعندما قال له: "إني رأيتك في دير الأنبا بولا" أنكر تماماً بأسلوب بسيط، وفي نهاية اللقاء قال له: "احترس في شوية ضيقات سوف تحدث لك في الجامعة في الفترة القادمة" وفعلاً حدث ما قال له، فقد كان على وشك الترقية لدرجة أستاذ مساعد فقام أحد الأساتذة بالسعي لمنع ترقيته وتم تأجيل الترقية لمدة عام ووقتها تذكر ما قاله له أبونا، وفي كل مرة كان يذهب إلى الدير كان يجلس معه، قال عنه لقد كان بالرغم من بساطته فهو مُرشداً روحياً خبيراً بحروب الشياطين، وكان هذا الرجل باراً وقديساً.

قصته مع الأمراض

"إذا أصابك مرض فلا تصغر نفسك بل اشكر اللّه على ذلك، وإذا اضطربت نفسك فقل لها: لماذا تضطربين؟ أليس هذا المرض أفضل لكِ من أن تطرحين في جهنم ... عند ذلك تهدأ نفسك".

(الأنبا إشعياء الإسقيطي)

كان لأبينا الحبيب فلسفة خاصة في التعامل مع الأمراض والآلام والضيقات والتجارب تتلخص في الآتي:

١ـ احتمل أبونا صليب المرض مُعتبراً إياه بحسب منهج آباء الرهبنة أنه زيارة نعمة يفرح بها ويتلامس من خلالها مع الرب يسوع بصورة سرية عجيبة ولسان حاله يقول مع الرسول بولس: **"لِذلِكَ أُسَرُّ بالضَّعَفَاتِ والشَّتَائِمِ والضَّرُورَاتِ والاضطِهَادَاتِ والضِّيقَاتِ لأجْلِ المَسِيحِ. لأنِّي حِينَمَا أنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أنَا قَوِيّ".** (٢كو١٢ : ١٠)، إن المرض بالنسبة لمنهج الحياة الرهبانية هو وسيلة وفرصة رائعة للالتصاق بالرب يسوع والتمتع بحضرته الإلهية، وغذاء روحي يومي سماوي لا يُعبر عنه، وتعزيات إلهيه سماوية تفوق الوصف، هكذا شعر وهكذا عاش أبونا مكاريوس.

٢ـ **كان يعتبر إن الألم شركة في الام المسيح: "لأعرِفَهُ، وقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وشَرِكَةَ آلاَمِه ِمتشبهاً بموته"** (في ٣ : ١٠)، ففي لحظة الآلام كان يفضل أن يعيشها مع المسيح بمفرده لا يُشاركه فيها أحد، فكم وكم من آلام وتجارب وضيقات احتملها بدون تذمر أو شكوى أو طلب عطف أو مساعدة من أحد وكان لسان حاله يقول مع المسيح: **"لأنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً يَقدِرُ أنْ يُعِينَ المُجَرَّبِينَ"** (عب ٢ : ١٨).

٣ـ **كان في كل أمراضه وآلامه** نظره ثابت على السماء، يحتمل الآلام بشكر لكي ينال إكليل الحياة: **"طُوبَى للرَّجُلِ الَّذِي يَحتَمِلُ التَّجرِبَةَ، لأنَّهُ إذا تَزكَّى يَنَالُ «إِكلِيلَ الحَيَاةِ» الَّذِي وعَدَ بِهِ الرَّبُّ للَّذِينَ يُحِبُّونَهُ"** (يع ١ : ١٢)، **وكذلك "بضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنبَغِي أنْ نَدخُلَ مَلَكُوتَ اللَّه"** (أع ١٤ : ٢٢).

٤- **كان ينظر إلى المجد الذي سيناله نتيجة الآلام:** "فَإِنْ كُنَّا أولاَداً فَإِنَّنَا ورَثَةٌ أيضاً، ورَثَةُ اللَّـهِ ووَارِثُونَ مَعَ المَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتألَّمُ مَعهُ لكَي نَتمَجَّدَ أيضاً معه، فَإِنِّي أحسِبُ أنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالمَجدِ العَتِيدِ أَنْ يستعلن فينا" (رو ٨ : ١٧، ١٨).

٥- **كان أبونا مكاريوس يعتبر إن الآلام هبة:** "لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لكُمْ لأجْلِ المَسِيحِ لاَ أنْ تُؤمِنُوا بهِ فَقَط، بَلْ أيضاً أنْ تَتألَّمُوا لأجلِهِ" (في ١ : ٢٩).

كتب أبونا الحبيب في مذكراته الشخصية:

يسمح اللَّه بالتجارب أن تُحيط بنا لكي تكون حارساً لنا، فالتجارب تسندنا وتجعلنا نعيش بروح الاتضاع وهيَ نافعة لتذكيتنا فنعبر هذه الحياة محفوظين في اسمه القدوس.

"الَّذِي الآنَ أفرَحُ فِي آلاَمِي لأجلِكُمْ، وأُكَمِّلُ نقَائِصَ شَدَائِدِ المَسِيحِ فِي جِسمِي لأجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الكَنِيسَة" (كو ١ : ٢٤).

أكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي .... هل شدائد المسيح ناقصة حتى أكملها؟ والسيد المسيح قال على الصليب: "قد أُكمل" .. كلام السيد المسيح على الصليب يتعلق بالفداء الذي أكمله على الصليب ... لكن ما زال المسيح يعمل كي يكون له شهود.

كان دائماً يقول للآباء تذكر آلام سيدك واحساناته إليك فلا تزيد جروحه وآلامه ...

❖ الأمراض التي أُصيب بها أبونا:

قيل عن السيد المسيح في سفر إشعياء "رَجُلُ أوجَاعٍ ومُختَبرُ الْحَزَنِ" (إش ٥٣ : ٣).

عاش أبونا الحبيب مُتشبهاً بسيده حاملاً صليب المرض وسائراً خلفه مُتحملاً الكثير من الأوجاع والآلام والحزن الناتج عنها، فبعد التحاقه بالدير عام ١٩٦٩م سلك بنسك شديد، فكان يصوم عن الماء والطعام بالأيام مما أدى إلى فقدان

دهون الجسم وأُصيب بمشاكل في الكلى جراء تقليل استخدامه للماء، وظل يُعاني من المغص الكلوي باستمرار خصوصاً في فصل الشتاء وكان يستغرق معه وقتاً طويلاً، ففي إحدى زيارتي له قال لي: "الليلة الماضية اشتد عليَّ المغص الكلوي، وقضيت الليلة في آلام ربنا ما يوريها لحد".

وكذلك كان هناك **حصوة بالمرارة** طولها ١،٢ سم، استمرت هذه المشاكل معه حتى عام ٢٠١٢ كان خلالها يشرب الماء بمقدار، وفي هذا العام نزل إلى المستشفى لعمل عملية، فقام بإجراء الفحوص والتحاليل والأشعة اللازمة فقالوا له: "إن الكلى سليمة وحصوة المرارة اختفت بطريقة معجزية". وفي سنة ١٩٩٩م كان عمره يتجاوز الستين عاماً **أُصيبت عينيه بالمياه البيضاء** فاضطر للنزول إلى القاهرة لعمل عملية بالعينين وكان له حوالي ٣٠ عاماً لم يخرج من الدير، وعند نزوله لم يكن معه سوى الشنطة الجلد الكبيرة التي أتى بها من العالم، فكانت مُلفتة للنظر، وكل من رآها قال هذه الشنطة اندثرت من زمان بعيد، وكذلك كانت هذه أول مرة يأكل فيها خارج قلايته ويتعامل فيها مع الناس حتى قالت عنه إحدى المُمرضات عندما رأت حرصه الشديد: "إن أبونا شكله ما تعاملش مع ناس قبل كده"، ثم رجع أبونا إلى الدير بعد إجراء العملية ورفض أن ينزل مرة أخرى للمتابعة.

وفي عام ٢٠١٢ نزل إلى المستشفى لعمل **عملية فتاق**، وبعدها بفترة بسيطة بدأت تظهر **مشاكل في القلب**، فتم عمل قسطرة بالقلب كشفت عن **ضيق شديد بالشريان التاجي** في مكان لا يصلح لعمل دعامات به حيث أنه موضع التقاء الشريان الرئيسي بالفرعي، وتوقع الأطباء إن نياحته سوف تكون بعد مدة قريبة، بعدها بدأت عضلة القلب تضعف وابتدأ يحس بالتعب عند عمل أقل مجهود، أُصيب بعدها **بفشل في عضلة القلب** غير معروف السبب، فبدأت أرجله تتورم وكان يأخذ مدارات بول، بدأت حركته تضعف وبعد أن كان يتمشى يومياً لمدة ساعة أصبح يأخذ نفس المسافة في ساعتين، وفي هذه الفترة أُصيب بصداع شديد وفي بعض الأوقات كانت آلامه غير مُحتملة.

وفي عام ٢٠٢٠م أصبحت نبضات القلب ٣٥ مما اضطر لنزوله للقاهرة وذهابه للمستشفى لتركيب **جهاز تنظيم ضربات القلب** بعدها أحس بتحسن لمدة شهور قليلة، ثم أُصيب بالتعب مرة أخرى فبدأ الماء يتجمع في رجليه وبالرغم من ذلك كان يتحامل على نفسه ويقابل الآباء وضيوفهم ويجلس معهم فترة طويلة تمتد إلى ساعات وهو في أشد الحاجة للراحة، فكان يبذل من وقته وجهده وصحته لراحة الآخرين، في هذه الفترة أُصيب أكثر من مرة بنزلات البرد فكانت أدوار البرد تستمر معه فترة طويلة ويظل يعاني منها كثيراً نظراً لضعف المناعة وكان يحتاج لعمل جلسات استنشاق له ويحتاج لكثير من الحقن.

في عام ٢٠٢١م **أُصيب بفيروس كورونا** شديد أدى لارتفاع درجة الحرارة فاضطر للنزول إلى القاهرة، وأيضاً وقتها توقع الأطباء نياحته في أقرب وقت، وفي نفس اليوم ارتفعت حرارته وفشل الأطباء في السيطرة عليها حتى فَقَدَ الوعي، تم إعطائه حقنة مُضادة للفيروس وكانت نسبة الوفيات بفيروس كورونا في ذلك الوقت مُرتفعة جداً فتوقع الطبيب المُرافق له نياحته في اليوم التالي على أقصى تقدير خصوصاً لإصابته بفشل في عضلة القلب، بالإضافة لمناعته الضعيفة جداً ومشاكل التنفس، كذلك كبر السن وأمراض الشيخوخة، ثاني يوم ذهب إليه لإعطائه الحقنة الثانية فوجده جالساً على سريره بصحة جيدة يأكل بطيخ، لم يصدق عينه ونظر إليه وهو مُتعجب ثم سأله: "احكي لي إللي حصل بالتفصيل"، فرد عليه: "مفيش حاجة حصلت"، فتعجب وظل صامتاً لأن بالمقاييس الطبية غير متوقع أن يتحسن من أول حقنة خصوصاً أنه عندما أعطاه الحقنة الأولى كان فاقد الوعي، ثم قام بقياس درجة حرارته فوجدها طبيعية، وأثناء متابعته طبياً كان الأب الطبيب يرتدي كمامتين فوق بعض بالإضافة للقناع الواقي خوفاً من العدوى، فنظر إليه أبينا الحبيب وقال له: "هو إنت فاكر إن الكمامة هيَ إللي هتحميك من العدوى"، ثم أعطاه بعض من المكسرات ليأكل فأكلها، وكان هذا اليوم يوافق تذكار نياحة القديس أبو مقار الكبير وفي تلك السنة تم الاحتفال باليوبيل الذهبي لرهبنة أبينا الحبيب.

بعدها مباشرة أُصيب بدور برد شديد نزل بسببه إلى القاهرة للعلاج وبعد إجراء الفحوصات الطبية وجدوا عنده **إلتهابات وميكروب في البول** وتم علاجه ببعض الحقن والمضادات الحيوية القوية وتم حجزه في العناية، بعد فترة تحسن ورجع إلى الدير .

ثم مضت أيام قليلة وشعر **بمتاعب في معدته** جعلته غير قادر على تناول الطعام كما كانت هناك **مشاكل في هضم** الطعام مما أدى إلى انتفاخ في البطن، بعدها تم عمل سونار له فوجدوا أن هناك ماء بالبطن، وفي شهر فبراير عام ٢٠٢٢ نزل إلى القاهرة لعمل أشعة على البطن ففوجئ الأطباء **بتليف الكبد** وأنه في مراحله الأخيرة وحدث نتيجة لذلك استسقاء في البطن وتم شفط السوائل الموجودة بالبطن، كذلك تم إزالة دوالي المريء.

ومنذ ذلك الوقت أصبح طريح فراش وبالرغم من كل هذه الأعراض لم يفقد تركيزه بل ظل في كامل وعيه يُقابل الآباء وضيوفهم ويتحدث معهم فترات طويلة مُتحاملاً على نفسه حتى يرتاح الآخرين، في تلك الفترة فَقَدَ شهيته للطعام وكان أي طعام يتناوله يحدث له ترجيع، وكان يتألم في نومه وغير مُستريح في أي وضع، ثم تم تركيب قسطرة للبول وبالرغم من ذلك كان كثيراً ما تجده فرحان ومُتهلل ومحتمل لآلام المرض بشكر.

وفي شهر يوليو لنفس العام أُصيب **بمتلازمة الكبد الكلوية ونقص شديد في الصفائح الدموية**، وعلى إثرها تم نقل صفائح دم له على فترات وإعطائه حقن ألبومين، بعد ذلك ارتفعت حرارته وحدث له ارتفاع في مستوى الأمونيا بالدم مما أثر على الوعي ثم تم تركيب سنترلاين ورايل وخلال تلك الفترة لم نسمعه يشتكي أو يتذمر أو حتى يتألم بل ظل مُحتملاً للآلام بشكر وفرح حتى النهاية وكان دائماً ينادي السيد المسيح والسيدة العذراء، بعد ذلك تعرض لأزمات عديدة **وأُصيب بآلام في ظهره** ومع سوء حالة الكبد وبدأ يأخذ حقن ألبومين بكميات كبيرة وعندما كان يزوره الآباء في تلك الفترة كان واعي ومركز في كل كلمة في الحديث ولكن بعد مغادرتهم لقلايته كان يدخل في غيبوبة كبدية.

الاستعداد للرحيل

"فَإِنِّي أَنَا الآنَ أُسكَبُ سَكِيباً، ووَقتُ انحِلاَلِي قَدْ حَضَر" (٢ تي ٤ : ٦).

سوف نتحدث عن الاستعداد للرحيل من خلال ثلاث نقاط:

١ـ حياة التوبة الدائمة.

٢ـ حياة السهر الروحى.

٣ـ حياة الغربة.

✤ أولاً: حياة التوبة الدائمة:

قال شيخ: "يجب أن نحاسب أنفسنا كل يوم ونفتقد حياتنا بالتوبة".

يخرج الراهب من العالم ويذهب إلى الدير ليُقدِّم توبة صادقة عن كل ما اقترفه في العالم من خطايا وضعفات وزلات، ومن المعروف أن الرهبنة طريق توبة فيعيش الراهب حياته الرهبانية من بدايتها حتى نهايتها يحاسب ويفتش ويفحص نفسه كل يوم ماذا عمل مما يرضي اللَّه وماذا عمل مما لا يرضي اللَّه ويقدِّم توبة عن خطاياه وزلاته وضعفاته وتهاونه وتقصيره في الأمور الروحية بل حتى عن هفواته وسهواته والخطايا التي صنعها بدون معرفة، فتصير التوبة بالنسبة له حياة يحياها كل يوم طول اليوم، كذلك يضع خطيته أمامه كل حين، وحتى مهما وصل لدرجات رهبانية أو درجات روحية عالية فهو يشعر دائماً أنه خاطئ، عاش أبونا القمص مكاريوس السرياني طوال حياته الرهبانية يحاسب نفسه بدقة متناهية كل يوم وفي حالة شعوره بالتقصير كان يلوم نفسه بشدة ويوبخها قائلاً:

"أديك ضيعت وقت الصلاة مش بتبكي وتندم ليه على الوقت الضائع وتقصيرك في الصلاة".

وكما قال القديس مكاريوس الكبير:

"دعونا نبكي يا إخوتي ولتفيض أعيننا بالدموع قبل أن نذهب إلى المكان الذي تحرق فيه الدموع مقلة عيوننا".

اقتدى أبونا الحبيب بالقديس مكاريوس الكبير والقديس أرسانيوس معلِّم أولاد الملوك في موضوع البكاء والدموع فكان دائم البكاء، وكما قال مار إسحق السرياني:

"من يبكي دموعاً في صلاته يُشبه إنساناً يقدِّم قرباناً عظيماً أمام الملك".

فقد كانت صلوات أبينا الحبيب في قلايته مصحوبة بالدموع الغزيرة كذلك أثناء صلاته للقداس الإلهي، وكان في مرات كثيرة يبكي متأثراً بمشاكل الناس ومتاعبهم، وكان يبكي أثناء تناوله للطعام عندما يتذكر أنه يأكل من مال الصدقة، كان يبكي في أسبوع الآلام مُتأثراً بآلام سيده، فكان يذهب إلى الكنيسة لحضور البصخات ويضع شال على رأسه يُغطي وجهه حتى لا يرى أحد دموعه، وكان دائماً ينصح الآباء بضرورة البكاء في القلاية، وكان يقول: "الراهب يتذكر مراحم اللَّه ومحبته وعمله معه ثم يتذكر خطاياه وزلاته ويبكي ويطلب الرحمة من اللَّه"، وكما قال القديس العظيم الأنبا أنطونيوس: **"أوقد سراجك بدموع عينك".**

فقد كانت الدموع بالنسبة له هيَ الزيت الذي يُوقد به سراجه فصارت دموعه تُرافقه وتصاحبه في كثير من المواقف والأحداث، وكما قال الأنبا إشعياء الأسقيطي : **"عمل النائحين هو ألا يدين أحد من الإخوة".**

كان أبينا الحبيب بطبعه لا يزور أحداً ولا أحد يزوره، فكان لا يتكلم إلا عندما يتم توجيه الكلام له، وبالتالي كان لا يُدين أحد، ودائماً يلتمس الأعذار للجميع ويُشجعهم.

أب اعترافه مثلث الرحمات نيافة الأنبا صرابامون أسقف ورئيس دير الأنبا بيشوي قال عنه لأحد الآباء: "كان أب فاضل بيعترف عندي من وقت ما ابتدى يعترف عندي ماسمعتهوش أبداً جاب سيرة أحد، كان بعيداً كل البُعد عن خطية الإدانة وشايف كل واحد يتعامل معه إنه بار ويقول **عنه ده أحسن مني** وحتى في شيخوخته كان يحمل قلب طفل فتحلى بالاتضاع الحقيقي والشبع الرهباني فهو **راهب من القرون الأولى".**

عندما دخل القديس مكاريوس الكبير قلاية أخ عنده امرأة قال له: "احكم يا أخي على نفسك قبل أن يحكم عليك الآخرين"، كان أبونا الحبيب دائماً مشغول

بالحكم على نفسه وكان حريصاً ومُدققاً في رهبنته، فكان دائماً ينصح الآباء الرهبان ويقول لهم:

"الراهب إللي ما ياخدش باله من رهبنته يتلطش بسرعة ويتسرق من عدو الخير".

وكذلك يقول:

"اعتبر كل يوم في رهبنتك كأنه يوم جديد به حرب شديدة هيَ الأخيرة وكأنها آخر يوم لك في الحياة، وتذكر حزنك وخسارتك في حالة السقوط".

وكما قال القديس يوحنا كاسيان: **"من يكشف أفكاره لأبيه الروحي لا يمكن خداعه".**

فقد كان مواظباً على سر الاعتراف من بداية رهبنته كان يذهب لأب اعترافه يوم الإثنين الأول من كل شهر **وكان يُمارس سر الاعتراف وهو صائم،** وينصح الآباء ممكن الواحد يصوم ساعتين قبل الاعتراف، وآخر يصوم يوم كامل قبل الاعتراف كل واحد حسب ظروفه الصحية، كان يأخذ ميعاد من أب اعترافه ويجلس معه فترة تمتد من ساعة إلى ساعة ونصف.

كان مُدققاً وأميناً في اعترافه وبعد ما يعترف بخطاياه يطلب الحِل والإرشاد من أب اعترافه، أكثر ما يُميزه شعوره بأنه خاطئ ومحتاج إلى التوبة وفي كثير من المرات عندما كنت أتقابل معه كان يسألني: "كيف أتوب" وتقريباً كان يسأل الكثيرين نفس السؤال، **كانت حياة التوبة هيَ شغله الشاغل** ومسيطرة على فكره ووجدانه ودائماً يشعر أنه مُقصر في حياته الروحية، فكما قال الأنبا بيمن: **"الويل لي كيف أقف أمام عرش المسيح وكيف يمكنني أن أجيبه".**

كان أبونا يعيش هذا القول بكل مشاعره ففي مرة من المرات زرته في قلايته في وجود آباء كثيرين فقال للآباء: "دا أنا إنسان خاطئ"، فقلت له: "قدسك جاهدت كثيراً في رهبنتك"، فرد عليَّ قائلاً بصدق ومن أعماق قلبه: **"أنا مش عارف هقف قدام ربنا أقوله ايه".**

هذا كان شعوره وإحساسه المسيطر على فكره أنه خاطئ ومُقصر في حق اللَّه، قال عنه **المتنيح القمص أرمانيوس السرياني** عندما سأله أحد الآباء: "هو

فيه راهب مثل قدسك في الدير في جهادك؟" شاور على قلاية أبونا القمص مكاريوس وقال: "الراجل ده محدش يعرف هو بيعمل إيه في قلايته ده راهب مجاهد وشديد مع نفسه"، كتب في مذكراته: **"يا رب أعد قلبي لا للراحة والكسل بل أعده للضربات والآلامات، أخاف أن أجد نفسي مرفوضاً فأعد قلبي لا للراحة والكسل بل أعده لقبول الضربات والآلامات".**

كان دائماً يقول للآباء التراخي والكسل في القلاية بيجيب ضجر ونوم.

✤ ثانياً: حياة السهر الروحي:

"ليكن السهر مُكرماً عندك لتجد العزاء قريباً من نفسك"

(مار إسحق السرياني)

السهر الروحي هو أمر من اللَّه يأمرنا أن نسهر حيث يقول:

"فَاسهَرُوا إذا لأَنَّكُمْ لاَ تَعرِفُونَ اليَومَ ولاَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأتِي فِيهَا إبن الإِنسَانِ" (مت ٢٥ : ١٣)

وكذلك يقول: **"طُوبَى لأولَئِكَ العَبيدِ الَّذِينَ إذا جَاءَ سَيِّدُهُم يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ. اَلحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يتَمَنطَقُ ويُتكِئُهُمْ ويَتقَدَّمُ ويَخدُمُهُمْ"** (لو ١٢ : ٣٧).

كذلك السهر الروحي هو حالة إنسان ساهر على خلاص نفسه أي أنه دائماً في حالة استعداد روحي، هو حالة إنسان مُنتبه ومُتيقظ روحياً لخلاص نفسه ولكل ما يحيط به من أجواء، ومُنتبه أيضاً لكل ما يجول في نفسه من أفكار وتغييرات، وسهر الروح يرتبط بسهر الجسد **"إن السهر يحفظنا مُصليين والصلاة تحفظنا ساهرين".**

لقد وبخ السيد المسيح تلاميذه بقوله: **"أهَكَذَا مَا قَدَرتُمْ أنْ تَسهَرُوا مَعِي سَاعَةً واحِدَةً؟"** (مت ٢٦ : ٤٠) ثم قال لهم: **"اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجرِبَةٍ"** (مت ٢٦ : ٤١).

لقد تفوق أبينا الحبيب منذ شبابه في حياة السهر **والتي تعلمها من أب اعترافه مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث،** الذي أعطاه قانون روحي ألا ينام أكثر من ساعتين مُتصلتين كذلك تعلم من أب اعترافه "القمص عازر

أرسانيوس" ومن مُرشده الروحي "عم عباس الغالي" كيف يسهر مع المسيح ومن أجل المسيح وبالمسيح في الصلاة، كما قال السيد المسيح لتلاميذه "**اسهروا وصلوا**"، وكما قيل في المزمور:

"**ارفَعُوا أَيْدِيَكُمْ نَحوَ القُدسِ، وبَارِكُوا الرَّبَّ**" (مز ١٣٤ : ٢).

وقيل عن السيد المسيح: "**وفِي تِلكَ الأَيَّامِ خَرجَ إِلَى الجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وقَضَى اللَّيلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ للَّهِ**" (لو٦ : ١٢) في جبل الزيتون وفي بستان جَثسَيمَانِي.

وقيل في المزمور الكبير فِي صلاة مُنتَصَفِ اللَّيلِ "**أَقُومُ لأَحمَدَكَ عَلَى أَحكَامِ برِّكَ**" (مز ١١٩ : ٦٢).

وكما قال مار إسحق السرياني "**الليل مفروز للصلاة**" عاش أبونا الحبيب حياته الرهبانية ساهراً مُصلِّياً من أجل الكنيسة وسلام الكنيسة، من أجل المتضايقين والمتألمين.

ومن ضمن الأوراق القليلة التي وُجِدَت في قلايته، وجدنا هذه الصلاة التي تشمل كثيراً جداً من الفئات التي كان أبونا يُصلي من أجلها:

+ **أشكرك يا ربي يسوع المسيح ...**
+ **على كل يوم سمحت لي أن أعيش في بيتك ...**
+ **وعلى عنايتك وقياداتك لي في طريقي إليك ... احفظني فيك والهب قلبي بحبك ولا تجعل نفسي تبرد وتعتاد الفتور والهبوط.**
+ **اذكر يومي هذا وكل يوم، اذكر عملي وصلاتي وأفكاري وتصرفاتي وكلماتي وليكن هدفها هو أنت يا رب وخدمتك وخدمة أولادك وبيتك ...**
+ **وأعطِني صلاة طاهرة مرضية أمامك ولا تُخلي شفتاي من ذكر اسمك القدوس، وأعطِني فهماً لكلامك ونقاوة به.**
+ **أعطِني حكمة ولساناً يُمجدك ووداعة وبشاشة، وأصلح عيوبي ونقائصي، وفك عني رباطات خطاياي وأعطِني أن أُقدِّم مشيئتي على مذبح الحب الإلهي.**
+ **آزرني يا رب بروحك القدوس، أرجوك اشغل فكري بك.**

+ تفضل يا رب أن تذكر مجمع آباء الدير وكل ذويهم وكل من طلب الصلاة منهم وكل مجامع الأديرة والكنائس وكل خدماتها وأنشطتها والقائمين عليها والخدام بها أرسل فعلة أمناء لحصادك.
+ اذكر يا رب البابا البطريرك والمطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة والخدام والخادمات.
+ اذكر يا رب وحدة الكنائس.
+ اذكر يا رب كبار السن والأطفال والشباب.
+ اذكر يا رب الذين ستأخذ أرواحهم في هذا اليوم أعطِهم توبة ...
+ اذكر يا رب المتزوجين والمقدمين على الزواج والذين يُريدون الزواج ... اذكر يا رب سلام البيوت.
+ اذكر يا رب أطفال الشوارع وأطفال الملاجئ.
+ اذكر يا رب الأغنياء ولا تسمح أن يأخذهم غناهم بعيداً عنك واذكر الفقراء اشبعهم بك.
+ اذكر المتضايقين فرج عنهم.
+ اذكر يا رب الرهبنة والبرية والأديرة والرهبان والمُكرسين والرهبان الذين في الخدمة.
+ اذكر يا رب المرضى صبرهم وقويهم واشفيهم كإرادتك الصالحة.
+ اذكر يا رب الأيام الأخيرة والذين سيعيشون هذه الأيام.
+ اذكر يا رب المُرتدين والذين على وشك الارتداد وأسرهم.
+ اذكر يا رب الذين سيتناولون من جسدك المقدس اجعلهم يا رب مُستحقين.
+ اذكر يا رب المُنتقلين نيحهم وذويهم عزيهم.
+ اذكر يا رب الذين في الخطية الآن والذين على وشك السقوط أقمهم.
+ اذكر يا رب السواح والعباد الذين ترفع غضبك عنَا بسببهم ثبتهم وزدهم واكثرهم.
+ اذكر يا رب القائمين لئلا يسقطوا.

+ اذكر يا رب المُدمنين بأنواعهم، فك أسرهم.
+ اذكر يا رب المُستعبدين لعادات شريرة، اكسر نيرها عنهم.
+ اذكر يا رب المُرتبطين بعلاقات خاطئة، أقطعها.
+ اذكر يا رب المحبوسين والمأسورين، فكهم.
+ اذكر يا رب المُضطهدين انصرهم واعزهم وأعطِهم احتمال لنوال الإكليل.
+ اذكر يا رب كنيستك وأولادك ارفع شأنها، وأذل أعداءها.
+ اذكر يا رب المُلحدين وكل غير المومنين، أنر أعينهم.
+ اذكر يا رب العاجزين والذين ليس لهم أحد يهتم بهم.
+ اذكر يا رب المسافرين والرحماء والبخلاء وقساة القلوب والمجانين والمرضى النفسيين والمتنصِّرين والأيتام والأرامل والمضروبين بالكبرياء والبر الذاتي.
+ اذكر يا رب الرئيس ومعاونيه وكل من في سلطة والقضاة والجيش والصحفيين والإعلاميين، قُدهم للخير.
+ اذكر يا رب الطلبة والمحتاجين للوظائف والعمل ساعدهم وقويهم.
+ اذكر يا رب المديونين أوف عنهم.
+ اذكر يا رب الذين أعطونا وتعبوا معنا، محبةً في اسمك.
+ اذكر يا رب العواقر فرحهم، أنعِم عليهن بثمرة البطن المقدسة التي لك، اذكر الحوامل كمِّل أيامهن بالخير.
+ اذكر يا رب الخائفين طمنهم، والتائهين ارشدهم، والمعاقين ساعدهم، والذين بلا مأوي آوِهِمْ.
+ اذكر يا رب اليائسين، كُنْ رجاءهم.
+ اذكر يا رب الموظفين والعمال والفلاحين.
+ اذكر يا رب المُتجندين في الجيش، والذين في الحروب الآن، اذكر أعداءنا سامحهم وباركهم.
+ اذكر يا رب المربوطين برباط الشياطين بكل نوع وأسرهم والسحرة والذين يتعاملون معهم، رُدَّهم. والذين يعانون منهم قوِّهِم.

+ اذكر يا رب المترددين على الأديرة والذين يُريدون الرهبنة، قُدهم إلى الطريق التي تراها، واكشف لهم مشيئتك.
+ اذكر يا رب الحيارى، دبر اختياراتهم.
+ اذكر يا رب عمال الدير وكل الأديرة وذويهم.
+ اذكر يا رب الذين في بيت الخلوة والذين يُريدون أن يزوروا الدير، سَهِّلْ لهم.
+ اذكر زائري الدير في هذا اليوم وكل يوم.
+ اذكر يا رب بلادنا والأرض والنهر والحيوانات والطيور والأسماك وكل خليقتك.
+ اذكر يا رب المتخاصمين، أصلحهم.
+ اذكر يا رب أبي وأمي وإخوتي وكل أقاربي وجيراني وأصحابي ومعارفي وزملائي السابقين.
+ اذكر يا رب كنيسة (...) والخدمة بها وكل القائمين عليها وكل شعبها.
+ اذكر يا رب الذين أوصونا أن نذكرهم في صلاتنا أمامك أعطِهم سؤل قلبهم.
+ اذكر يا رب الذين ذكروني في صلواتهم أمامك، عوِّضهم أجراً سمائياً.
+ ازرع يا رب في قلب الجميع أن يُصلُّوا من أجلي وأعطِني أن أستفيد من آبائي وإخوتي.
+ لستُ أطلب بدالة أو عن استحقاق لكن بالصلوات والطلبات التي ترفعها عنَّا كل حين والدة الإله مريم أُمُّكَ الحنون وصاحبة هذا المكان و... اللَّهُم اجعلني مُستحقاً أن أقول لك بشكر: أبانا الذى في السماوات ...

كما قال القديس بطرس الرسول:

"اُصحُوا واسهَرُوا. لأنَّ أبلِيسَ خَصمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلتَمِساً مَنْ يَبتَلِعُهُ هُوَ" (١ بط ٥ : ٨).

ظل أبينا الحبيب ساهراً ومُتيقظاً في حربه مع عدو الخير وكذلك في حرب عدو الخير مع الكنيسة وأولاد الكنيسة، فكان دائماً يسهر ويُصلِّي لكي ينقذ اللَّه

كنيسته من الشيطان وكل قواته الشريرة، وكان في سهره وصلاته مُستعداً دائماً لملاقاة العريس السماوي فاستحق التطويب:

"**طُوبَى لأولَئِكَ العَبيدِ الَّذِينَ إذا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ. اَلحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: أنه يَتمَنطَقُ ويُتكِئُهُم ويَتقَدَّمُ ويَخدُمُهُمْ**" (لو ١٢ : ٣٧).

وكما قال مار إسحق السرياني:

"**عندما تذهب إلى فراشك لتنام قل: أيها الفراش لعلك في هذه الليلة تكون قبري**".

فكان أبينا الحبيب مُستعداً ومنتظراً لحظة الموت في كل يوم وفي كل ساعة وكان دائماً يقول: "**عندنا وصية إن الراهب ينام ويستيقظ على الكتب المقدسة**".

وكما ذُكر عن القديس الأنبا أرسانيوس الذي كان يقف مواجهاً الشرق وقت الغروب والشمس خلفه ويظل واقفاً حتى تظهر الشمس أمامه في الشرق، وكذلك القديس مكاريوس السكندري الذي قضى ٢٠ يوماً لم يُطبق فيهم جفن على جفن، فاقتدى أبونا الحبيب بهم فكان لا ينام سوى ساعتين في اليوم في نهاية الليل ويستيقظ باكراً قبل الفجر فلم تراه الشمس نائماً، كذلك كان يُقاوم النوم **ومرة ظل لمدة ثلاثة أيام ونصف ساهراً بدون نوم.**

✤ ثالثاً: حياة الغربة:

"**غَرِيبٌ أَنَا فِي الأرض فَلاَ تُخْفِ عَنِّي وَصَايَاكَ**" (مز ١١٩ : ١٩). يقول القديس برصنوفيوس: "**غُرباءٌ نحن، فلنكن غرباءً بالكمال**".

عاش أبينا الحبيب غريباً على الأرض لا يمتلك شيئاً ولا يضع قلبه على شيء، كان يكتفي بأقل القليل من الضروريات، وكما قال القديس أُغسطينوس:

"**جلست على قمة العالم عندما أحسست في نفسي أنني لا أشتهي شيئاً ولا أخاف شيئاً**".

فقد عاش وجلس على قمة هذا العالم مع القديس أُغسطينوس لأنه لم يشتهي مأكل ولا ملبس ولا مناصب ولا رتب بل كل الذي كان يشغله هو شهوة ملكوت السماوات، وكان دائماً يتذكر الهدف الذي خرج من أجله من العالم وهو خلاص

نفسه، كذلك يتذكر العهود التي بينه وبين اللَّه ويقول له: **"تعهدات فمي باركها يا رب" (مز ١١٩).**

وظل دائماً هدفه أمام عينه باستمرار لم يخفت ولم ينطفى وظل مُداوماً على الصلاة والتسبيح وتنفيذ الوصية في حياة عِشرة حقيقية مع اللَّه يتذوق حلاوة الوجود في حضرته الإلهية وهذا جعله يتحرر من الشهوات العالمية وتصبح شهوة قلبه دائماً هيَ السيد المسيح وحده فتحرر من الارتباط بالناس حتى أسرته، فلكي يقطع علاقته بهم ويبين لهم عزمه على الموت عن العالم والأهل والأقارب في بداية رهبنته كانت الأسرة ترسل له خطابات كثيرة كي تطمئن عليه وكان لا يرد عليهم مُطلقاً، ولما زاد الإلحاح رد على خطاباتهم الكثيرة بخطاب يحوي ورقة بيضاء، وكان دائماً يردد قول الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان الذي شدد على البُعد عن الأسرة لئلا يخدعك الحنين إلى الماضي.

وكان يعمل بهذا القول: **"من الأفضل أن يموت الإنسان عن العالم بدلاً من أن يموت في العالم".**

والآية التي تقول: **"وأمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أنْ أفتَخِرَ إلاَّ بصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ العَالَمُ لِي وأنَا لِلعَالَمِ"** (غل ٦ : ١٤).

فكان العالم بالنسبة له لم يعد له أي تأثير عليه:

"ولكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الجَسَدَ مَعَ الأهْوَاءِ والشَّهوَاتِ" (غل ٥ : ٢٤).

- **عاش أبينا الحبيب طوال رهبنته يصلب جسده بالصلاة والصوم والسهر والميطانيات ولم يُعطِ جسده راحة ولا لعينه نُعاساً**، وكان دائماً يقول: "الجسد لما تريحه يتعبك"، وكذلك لم يهتم أبونا بالعالم ولا أخبار العالم، فكان لا يمتلك أي شيء يجعله متصلاً بالعالم لا راديو ولا موبايل، بل كان دائماً يُصلي من أجل العالم ولم يسمح للعالم أن يدخل إلى داخل قلايته، متفقاً مع الانجيل **"لأنْ لَيسَ لَنَا هُنَا مَدِينَة بَاقِيَة، لكِنَّنَا نَطلُبُ العَتِيدَة"** (عب ١٣: ١٤)
- **عاش حتى نهاية حياته نظره وقلبه وفكره وأشواقه مُتعلقة بأورشليم السمائية**، وكان ينتظر ويترقب اليوم الذي ينطلق فيه إلى السماء، دائماً

يحرص على حضور جنازة الآباء المُنتقلين حتى في مرضه وبعد أن يأخذ بركة المتنيح كان يذهب إلى طافوس الدير (مدفن الآباء الرهبان) ويترجى الأب المتنيح أن يطلب من اللَّه أن يكون هو القادم.

"أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، أَطلُبُ إِلَيكُمْ كَغرَبَاءَ وَنُزَلاَءَ، أَنْ تَمتَنِعُوا عَنِ الشَّهوَاتِ الجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفسَ" (١ بط ٢ : ١١).

- عاش أبونا الحبيب فضيلة الغربة التي أهلته وهيأته وجعلته يمتنع عن الشهوات الجسدية فكانت نفسه متحررة من الارتباط بالعالم وشهوات العالم.

"حينما تسكن في موضع ضع في قلبك أنك غريب ولا تطلب أن تكون لك كلمة مسموعة أو أن تكون أول المتكلمين وبذلك تعيش في سلام".
(القديس الأنبا بيمن)

- عاش أبونا الحبيب هذا القول فعاش فضيلة الغربة بكل معانيها فعندما كنا نذهب لزيارته مع أحبائنا وأصدقائنا كان دائماً يشعرنا بأننا أفضل منه ويقدمنا في الحديث، **كان يطلب من جميع الحاضرين كلمة منفعة** ويكون هو آخر المتكلمين، ورغم شخصيته القوية إلا أنه في سنينه الأخيرة كان يقطع مشيئته لينفذ مشيئة أولاده الرهبان، وكان يقبل أن يفعل شيئاً لا يرغب به لهم، ولكن الشيء الوحيد الذي ظل رافضاً له حتى نهاية حياته التصوير وتسجيل الأحاديث التي كانت تجري بينه وبين الحاضرين.

كان أبونا رافضاً أن يترك ذكرى له في العالم حتى مذكراته الشخصية التي كتبها بخط يده قطعها وأحرقها في سنين حياته الأخيرة وفضل أن يعيش غريباً ويموت غريباً.

شهوة الانطلاق

"لِيَ اشتِهَاءٌ أنْ أنطَلِقَ وأكُونَ مَعَ المَسِيحِ. ذَاكَ أفضَلُ جِدّاً" (في ١ : ٢٣)

"اجعلوا الموت أمام عيونكم كل يوم وتفكروا في خروجكم من الجسد"

(الأنبا إشعياء الإسقيطي)

عاش أبونا الحبيب حياته الرهبانية من بدايتها حتى نهايتها وفكر الموت مسيطر عليه، من أجل هذه الساعة خرج من العالم وأتى إلى الرهبنة وعاش في الرهبنة الموت عن العالم بكل صدق وجديه وأمانة، وكما قال مار إسحق السرياني: "التاجر عيناه على البر والراهب يرمق ساعة الموت"، فعاش أبونا الحبيب وجاهد وصبر وثابر من أجل هذه الساعة التي لم تُفارق نظره وقلبه وفكره كما قال القديس يوحنا ذهبي الفم: **"تفكر في كل يوم أنه آخر ما تبقى لك في العالم"**.

عاش أبينا الحبيب بهذا الفكر وكان يعتبر أن كل يوم هو آخر ما تبقى له في العمر وكان يتعامل معه من خلال هذا المنطق بحرص شديد ففي سنين حياته الأخيرة على الأرض كنت كل مرة أزوره في قلايته كنت أستمتع بالجلوس معه والإنصات لكلامه وفي نهاية الجلسة كنت أقول له: "ربنا يُعطيك الصحة وطول العمر" كان يرد قائلاً: **"أعمل بيها ايه طولة العمر؟"**.

كنت أقول له: "قدسك مش محتاجها علشان مستعد للسماء لكن احنا وكل أولادك محتاجينها، ربنا ما يحرمناش من صلواتك ومحبتك".

فكان يدعى لي ويقول: "ربنا يُعطيك الصحة وطولة العمر ويحفظك في يمينه".

في السنة الأخيرة لما قلت له ربنا يخليك لينا، قال لي:

"أنا بسعى جاهداً ناحية طافوس الدير (مدفن الآباء الرهبان)".

في الشهور الأخيرة من حياة أبونا كان الكبد قد تدهور جداً والكلى توقفت والقلب به فشل، وذات مرة نظر إليه الأب الطبيب بتأثر وقال في نفسه دون أن يتكلم: "أبونا كان قوي وشديد شوف دلوقتي بقي ضعيف"، في تلك اللحظة كان سانداً يده على سرير أبونا ففوجئ بأبينا الحبيب يمسك يده بقوة وشدها ناحيته فنظر إليه بخوف وقال في نفسه: "أنا ماعرفش جاب القوة دي منين"، لدرجة أنه كان سيقع على الأرض من قوة الشدة، "لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي".

في يوم السبت الموافق ١٢ مارس ٢٠٢٢ زاره عدد كبير من الآباء في قلايته وكان في تلك الفترة طريح فراش، وعندما تقدم الآباء للسلام عليه كان يحتضن كل واحد فترة طويلة على غير عادته، فهو كان من شدة حرصه واتضاعه لا يسمح لأي راهب أو علماني أن يُقبل يده، من تلك المقابلة أدركت أنه أحس بقرب النهاية وكأنه كان يتودع من الآباء، وكان يقول لبعضهم مُعاتباً: "قدسك مش بتزورني من فترة طويلة"، وفي هذا اليوم كان عندما يطلب الآباء الحِل منه بالانصراف كان يقول لهم "**خليكم قاعدين شويه**"، كذلك حدث قبل نياحته بشهور في حديث صوتي مُسجل مع إحدى السيدات التي كانت تزوره كثيراً في المستشفى وأثناء الكلام معه والاطمئنان على صحته قال لها: "**بتعزل**" فقالت له: "مش سامعه" فقال لها: "**الحكاية بتعزل**"، فقالت له: "مش فاهمه كلام قدسك تقصد إيه"، فقال لها: "كلها شهر شهرين ثلاثة بالكثير"، فقالت له: "ربنا يُعطيك الصحة ويديمك لينا".

كذلك أيضاً حدث قبل نياحته بثلاثة شهور زاره أحد الآباء ومعه كاهن علماني اسمه أبونا أبانوب، وخلال فترة الزيارة كرر أبينا الحبيب اسم الشهيد أبانوب النهيسي بفرح شديد مرات عديدة، وفي يوم ٣١ يوليو ٢٠٢٢ الموافق تذكار الشهيد أبانوب النهيسي حضر أبونا الحبيب من المستشفى وتنيح صباح اليوم التالي مباشرةً.

وأيضاً قبل نزول أبينا الحبيب إلى القاهرة للمرة الأخيرة تعب كثيراً وتجمع الآباء حوله مُتأثرين، وبعد ذلك زاره الأب الطبيب وطلب من الآباء أن يتركوه بمفرده مع أبونا، جلس معه فترة صامتاً متأثراً بحالته المرضية الشديدة وفجأة رجعت له الحيوية ووجهه أنار وابتدأ يتحدث معه قائلاً: "**هو أنت فاكر أنا خايف من الموت؟**"، فرد عليه قائلاً: "**لا أعرف**"، فقال له أبونا الحبيب: "**نفسي أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً**".

ثم صمت وقال له: "**لا يخاف من الموت غير الرجل الجاهل، دا أنا منتظر تلك اللحظة**".

وفي ليلة نزوله إلى المستشفى آخر مرة، ذهب أحد الآباء لزيارته فوجد أحد الآباء خارجاً في حالة حزن شديد، فدخل إلى محبسته فوجد أيضاً أحد الآباء حزيناً، يقرأ في سفر المزامير ونور المحبسة مطفي، وكان أبونا الحبيب مُستغرقاً في النوم، فقال: "أغابي"، ففتح عينيه ورد عليه: "أغابي يا أبونا"، استأذنه في أن يقوم بإضاءة النور فسمح له بإضاءة النور، ثم قال له: "تأكل تين؟" فأكل حبه تين برشومي، وبعدما تحدث معه فترة عرض عليه التناول من الأسرار الإلهية في اليوم التالي، فوافق أبونا الحبيب، بعد ذلك قال له: "نراجع القداس مع بعض"، فراجع معه أجزاء من القداس الإلهي، وهو في كامل وعيه وفي صباح يوم الخميس تناول باكراً ونزل إلى القاهرة عقب التناول مباشرةً.

نياحته

"فَإِنِّي أَنَا الآنَ اسكَبُ سكِيباً، ووَقتُ انحِلاَلِي قَدْ حَضَرَ. قَدْ جَاهَدتُ الجِهَادَ الحَسَنَ، اكمَلتُ السَّعيَ، حَفِظتُ الإِيمَانَ، وأخِيراً قَدْ وُضِعَ لِي اكْلِيلُ البرِّ"
(٢ تي ٤ : ٦ ـ ٨)

في يوم الأحد الموافق ٢٠٢٢/٧/٣١ ارتفعت درجة حرارة أبينا الحبيب وتم إعطاءه كمية كبيرة من المضادات الحيوية، ولكنها فشلت في السيطرة على ارتفاع درجة الحرارة، كذلك كانت وظائف الكلى مُرتفعة ونسبة الأمونيا عالية والصفائح الدموية في تناقص شديد واستسقاء في البطن، وهذا دليل على وصول الكبد إلى المرحلة النهائية، مع وجود صعوبة شديدة في التنفس.

قرر الأطباء عدم مقدرتهم على عمل أى شيء تجاه حالة أبينا الحبيب الصحية المتدهورة ووضعه الطبي الحرج، وتحقيقاً لرغبة أبينا الحبيب الذي كان يُريد العودة إلى الدير، تم الاتصال بحضرة صاحب النيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس ديرنا العامر، وتم شرح الحالة الصحية والوضع الطبي الحرج للغاية فقرر رجوع أبينا الحبيب إلى الدير، وتم تجهيز سيارة إسعاف وذلك لنقل أبينا الحبيب إلى الدير مع اصطحاب مُشرف تمريض وبعض الأجهزة الطبية من المستشفى ليتابع الحالة الصحية له بالدير، تحركت سيارة الإسعاف صباحاً من أمام مستشفى الحياة، وكان الآباء في انتظار عودة أبينا الحبيب إلى قلايته في الدير، وقد وصلت سيارة الإسعاف في تمام الساعة ١٢ ظهراً، وتسارع الآباء لحمل السرير الموضوع عليه إلى داخل قلايته ـ هذه القلاية التي شهدت جهاده وصبره واحتماله وعرقه وتعبه وآلامه وتعزياته ـ بعدما أدخلوه القلاية تجمع الآباء حول سريره وظهرت على ملامحهم حالة التأثر والحزن الشديد وبدأت الدموع تسيل من عيون البعض، والكل ينظر إليه مُتأملاً، فقد كان أبينا الحبيب عظةً صامتة في حياته وحتى آخر ساعات عمره.

ثم توافد الآباء على قلايته كلاً منهم يسارع ليأخذ بركته ويتودع منه الوداع الأخير، وفي اليوم التالي توجهت مع أحد الآباء إلى قلايته وذلك لمناولته من الأسرار المقدسة، وبالفعل تناول في تمام الساعة ٥٤ : ٦ صباحاً، وبعد ذلك في تمام الساعة السابعة انطلقت روحه الطاهرة إلى السماء وسط تهليل الملائكة والقديسين إلى أحضان آباءنا القديسين إبراهيم وإسحاق ويعقوب، هذه اللحظة طالما اشتاق إليها وجاهد من أجلها.

❖ تكفينه ونقله للكنيسة:

وما أن انتشر خبر نياحته حتى توافد الآباء الرهبان على قلايته والتفوا حوله لأخذ بركة جثمانه الطاهر وإلقاء نظرة الوداع الأخيرة وطلب بركته وصلواته عنهم أمام عرش النعمة، وقد سالت دموعهم تأثراً بانتقاله، وبعدما تودع الآباء منه تم فصل جهاز الأكسجين الصناعي والخراطيم والأجهزة الطبية، ثم قام الآباء بتكفينه وإلباسه الملابس الكهنوتية المُتمثلة في التونية والصدرة الكهنوتية وشراب أبيض في قدميه.

ثم تم وضع الجثمان المُبارك في صندوق ووضعوا صليباً في يديه المُباركة، وكان منظره في الصندوق هادئاً وديعاً، كعروس تُزف إلى عريسها وحبيب نفسها، وبعدما وضع الآباء الغطاء على الصندوق تم نقل جثمان أبينا الحبيب من قلايته المنفردة بالجنينة الخارجية بالدير وخرجوا به من القلاية محمولاً على أكتافهم والجميع يُسارع في حمل الصندوق محبةً له وعرفاناً بجميله، فقد عاش حاملاً لهم في قلبه وفكره وذاكراً لهم في صلواته.

خرج الجثمان من القلاية وسط التسابيح والألحان حتى أدخلوه إلى كنيسة القديس العظيم الأنبا مقار الكبير بالدير وطافوا به الكنيسة ثم وضعوا جثمانه الطاهر أمام الهيكل ووجهه ناحية الشرق.

✣ صلاة الجنازة ودفنه :

بدأت مراسم صلاة الجناز الساعة الحادية عشر صباحاً بحضور حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس أسقف ورئيس ديرنا العامر وكذلك مجمع رهبان الدير ولفيف من الآباء الرهبان من الأديرة المجاورة وبعض الآباء الكهنة العلمانيين وعدد ليس بقليل من أقربائه ومُحبيه الذي سمعوا بخبر نياحته وتمكنوا من الحضور لأخذ بركته.

بعد انتهاء صلاة الجنازة حمل الآباء الرهبان الجثمان الطاهر ودخلوا به إلى الهيكل حيث طافوا حول المذبح ثلاث مرات ثم نزلوا إلى صحن الكنيسة حيث طافوا به ثلاث مرات أيضاً، ثم عادوا إلى الهيكل وطافوا به مرة أخرى، ثم خرجوا به من الكنيسة مُتجهين إلى طافوس الدير وسط الألحان ودقات الأجراس الحزينة ودموع الحاضرين، ثم وضعوه في الطافوس الغربي، بجانب أبونا المتنيح القمص بيمن السرياني، وبعد أن أغلق الطافوس وصلى سيدنا الأنبا متاؤس الصلاة الختامية، انصرف الآباء إلى قلاليهم ولكن ظلت أذهانهم تتذكر سيرته العطرة وجهاده ومواقفه النبيلة ومحبته وخدمته المتفانية لهم.

ونحن أبناؤه رهبان دير السريان العامر وجميع أبنائه في كل مكان، نطلب منه أن يشفع فينا ويذكرنا أمام عرش النعمة، لكي ما يعيننا اللَّه كما أعانه، ويُكمل جهادنا وأيام غربتنا بسلام، ويجعل لنا نصيباً وميراثاً مع كافة قديسيه في ملكوت السماوات.

له المجد الدائم في كنيسته من الآن وإلى الأبد. آمين.

أحاديثه ومناظَراته

"كان مملوءً حلاوةً ومحبةً ونشاطاً" (أنبا أغاثون)

كان أبونا الحبيب يُجيد فن الحوار فكان يعرف متى يتكلم ومتى يصمت ومع من يتكلم، كذلك كان عندما يُسأل يُجيب بعض الأسئلة بأسلوب مباشر وبعضها بأسلوب غير مباشر حتى يخفي ذاته، وبعض الأسئلة الشخصية كان يعتذر عن إجابتها، كان مملوء بالحلاوة والمحبة، كنت أسعد بلقائه والحديث معه، تعلمت منه الكثير، كما قال الكتاب المقدس: "**وأمَّا مَنْ عَمِلَ وعَلَّمَ فَهذَا يُدعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ**" (مت ٥ : ١٩).

عمل أبونا الحبيب كثيراً جداً وعلم قليلاً، فكان كل من يتعامل معه يتعلم من قدوته ومثاله، فقد كان يجمع بين هيبة الشيوخ وبساطة الأطفال، ففي كثير من المرات كنت عندما أزوره في قلايته أعمل له ميطانية وأنحني أمامه احتراماً له، وكذلك كثير من الآباء كانوا يفعلون مثلي فكان يرد الميطانية وبعد ذلك يعبر عن ضيقه من هذا التصرف قائلاً: "**لما تحب تشتم واحد تُعطيه حاجة مش بتاعته**". وكان يجمع بين العلم الغزير واتضاع العلماء، فكان يشعر كل من يتحدث معه أنه أفضل منه "**وادِّينَ بَعضُكُمْ بَعضاً بالمَحَبَّةِ الأخَوِيَّةِ مُقَدِّمِينَ بَعضُكُمْ بَعضاً فِي الكَرَامَةِ**" (رو ١٢ : ١٠)، فغالباً كان يبدأ هو الحوار بسؤال الشخص الذي أمامه عن كلمة منفعة، وأحياناً كان يسألني ويسأل الآباء **كيف أتوب؟**

كان يشعر في أعماق قلبه أنه خاطئ ومقصر في حق اللَّه، وفي مرة من المرات زرته في قلايته فمدحه أحد الآباء على ثباته في الدير، فرد عليه: "يعلم اللَّه أنا غير مُستحق أني أكون راهب"، فقلت له: "قدسك جاهدت كثيراً في رهبنتك"، فرد متأثراً بأسى وحزن قائلاً: "صدقني يا أبونا أنا حاسس إني طول عمري ما عملتش حاجة ترضي ربنا أنا مش عارف حأقف قدام ربنا أقول ايه".

ما زال صدى هذه الكلمة يتردد في أذني ومحفور في قلبي لقوة الإحساس والصدق التي قيلت بها، كما قال أنبا بيمن: "**الويل لي كيف أقف أمام عرش المسيح وكيف يمكن أن أجيبه**".

كذلك كان مملوء بالنشاط مثل مُعلِّمه "**يجول يصنع خيراً**"، كنت أتقابل معه عند توزيعه للفاكهة على قلالي الآباء الرهبان، وكنت أقف أتحدث معه فآخذ منه الخيرات الجسدية والخبرات الروحية، يتميز بشدته وحزمه ولكن بالرغم من ذلك يتميز بمحبته الشديدة وبذله وتحامله على نفسه لراحة الآخرين عملاً بالآية "**وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحتَ السَّمَاوَاتِ وَقتٌ**" (جا ٣ : ١)، كان له ابتسامة هادئة لطيفة، دائماً ينكر ذاته ويرفض المديح ويهرب من المجد الباطل.

ونود أن نستعرض بعض مُقتطفات من أحاديثه وحواراته مع ضعفي ومع الآباء للاستفاده من جهاده وخبراته الروحية كيما تشعل فينا غيرة الاشتياق إلى السماء حيث ربنا يسوع المسيح فادينا المُحب الحنون مع كافة القديسين.

❖ الحوار الأول:

في يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٣/١/٨ تقابلت مع أبينا الحبيب أمام قلايته وتكلمت معه كثيراً وبعدها ذهبت إلى قلايتي مُسرعاً وكتبت الأجزاء التي تذكرتها من الحوار في البداية.

✝ سألته قدسك تنصحني بإيه؟ **فقال: "أهم حاجة للراهب إنه يكون عايش حياة الشكر والتسبيح على الدوام وفي كل وعلى كل حال، كل حاجة ربنا يُعطيها لنا بزيادة ... لم يعوزنا شيء وهو يُدبِّر أمور حياتنا.**

✝ **سألته: "كيف أُميز الفكر هل هو من اللَّه أم من الشيطان؟".**

حكى لي قصة آدم وحواء ثم قال: "دائماً كلام الشيطان يبدأ بكلام معسول ثم نهايته تكون مُرَّة، وممكن بعد السقوط في الخطية أقول لنفسي أنا كانت حياتي الروحية في العالم أفضل من الدير بالرغم أن العيب مني لأني سمعت لكلام وأفكار الشيطان ونفذتها".

قلت له: ادعيلي أن ربنا يُعطيني توبة، فقال: "**ما هو مُعطيك، بس تشكر ربنا وتطلب منه يُعطيك احتمال**".

† سألته عن السرحان في الصلاة، **قال: "الواحد يقف في الصلاة برجولة**".

† سألته كيف أنتصر على الشيطان، **فقال: "أوعى الشيطان يخطف فرحك منك ولا يشوش على عينيك**".

† وقفت أحكي معه كثيراً في مواضيع روحية مُختلفة، وفي نهاية اللقاء سألته: "قدسك تأمرني بأي شيء؟" فرد عليَّ قائلاً: "**تطلب أن ربنا يغفر لي خطاياي ونجساتي ورجساتي**".

قلت له: "هذا كلام ينطبق عليَّ أنا ـ وهذه اللطمة على خدك يا أرساني"، فرد **وقال: "أنت قديس طالما تحس بكدا**"، وقال معلِّمنا بولس الرسول يقول: "الخطاة الذين أولهم أنا".

وأكمل قائلاً: "فيه **واحد تقول له اتناول واعترف يقولك أنا أحسن من غيري، وهو أنا قتلت، ولا عملت حاجة غلط؟**".

ثم قلت له: "اطلب من اللَّه أن يغفر لي خطاياي"، فرد قائلاً: "**الرهبنة هيَ طريق توبة، والراهب شغله يشكر ربنا على الدوام**".

† طلبت منه كلمة منفعة فقال مجموعة من النصائح الرهبانية الأصيلة وكانت كالآتي:

+ **اعتبر نفسك باستمرار أنك لم تدخل الدير وأنك غريب وأنك أقل واحد في الدير.**
+ **اخدم الكُل وطيع الكُل.**
+ **والمحبة تلين الحجر.**
+ **احسب نفسك أنك غير مُستحق للزي الرهباني ولا أن تحسب نفسك راهباً وعليك أن ترى كل الناس قديسين.**
+ **قف عند السلام على أي راهب وقبل أن تسلم عليه تقول هذا أفضل مني وتسأل اللَّه أن يرحمك بصلواته.**

+ لا تتذمر من أي عمل أو تعب واشكر وافرح بربنا وهو يقويك.

+ كُن حلواً لكل أحد وبشوشاً مع الكل.

+ الراهب لا يشكوا من نصيبه، الراهب لا يجازي عن شر بشر.

❖ الحوار الثاني:

يـوم السـبت الموافـق ٢٠٠٣/٨/٢م تقابلـت مـع أبونـا القمـص مكـاريوس السرياني وكان الحوار التالي:

† سألته: عن الثبات في الدير؟

فقال: "إحنا محظوظين، لولا معونة ربنا لا نقدر أن نقعد دقيقة واحدة في الدير، أنا بعتبر كل دقيقة بعيشها في الدير دي هبة من عند ربنا، وحكى لي عن أحد العمال من غير المؤمنين أتى ليقضي عمل واضطر للمبيت ليلة في الدير، وكان في هذه الليلة مُكتئباً قلقاً حزيناً، وكان يقول للآباء: "احنا هنا في سجن ما فيش تليفزيون ما فيش فيديو ما فيش سينما كيف سأقضي هذه الليلة".

† سألته: هل خلاص الراهب في الدير مضمون؟

قال لي: "لا، السيد المسيح قال "**تَمِّمُوا خَلاصَكُمْ بِخَوفٍ وَرِعدَةٍ**" (في ٢ : ١٢)، ولا بد أن يُجاهد الراهب حتى الدم ويسعى علشان يخلُص، وحكى لي عن راهب أُمِّيّ (غير مُتعلم) ويُدعى "أبونا غبريال"، في أثناء فترة ترددي على الدير قال لي: "مش كل اللي هيدخل من الباب ده (وأشار لباب الدير) هيخلُص"، دا كان فيه ناس كان من الأفضل لهم، لو لم يدخولوا من باب الدير، ولا أن يسيروا في هذا الطريق"، وعلَّق قائلاً: "قوة الكلمة لأنها صادرة من راهب أُمِّيّ"، ثم قال: "لازم تجاهد وتعيش حياة رهبانية فاضلة علشان تخلُص".

† سألته: لو أنا بعمل اللي مطلوب مني، بصلي قانوني، وبحضر التسبحة، ما هو المطلوب مني بعد ذلك؟

قال: باقي الميل الثاني وهو غير محدود "من سخرك ميلاً فسر معه ميلين" (مت ٥: ٤١)، قال: لو لقيت أخاك في المجمع تعبان وترك لك حلة غير نظيفة لازم تنظفها وتسلم المجمع آخر نظافة، وتقول في نفسك ممكن يكون هو مهتم بحياته الروحية أكثر مني، وهو أفضل مني، يمكن يكون هو ضعيف جسدياً، وتنظر إلى نفسك أن كل عمل بتعمله علشان خاطر ربنا وتأخذ أجراً منه مباشرة.

† سألته: ماذا أتجنب حتى لا أهلك؟

قال: الإدانة، دي رصيد الشيطان، كذلك أيضاً النميمة، لازم تشوف كل الناس أطهار وأفضل منك وتلتمس لهم العذر، الإدانة معناها أنك تأخذ حكم اللَّه وتحكم به على الناس، الشيطان مش قادر يخليك متصليش، مش قادر يخليك متحضرش التسبحة، يروح يجيبلك الإدانة وتقعد تدين في أخوك، وممكن المواقف التي تدينه فيها تكون غير حقيقة، الإدانة مثل السرطان، عندما تدخل إلى نفس الواحد تبتدئ تكبر وتزيد ويصعب السيطرة عليها.

† سألته: كيف أوفق بين عملي وقانونى الروحي؟

قال: دا لا يكون على حساب دا، تكون مخلص شغلك، تؤدي صلاتك على أكمل وجه، ولما تكون مخلص صلاتك تؤدي عملك على أكمل وجه ولا تقصر في أي منهما "أعطِ ما لقيصر لقيصر وما للَّه للَّه" (لو ٢٠ : ٢٥).

† سألته: هو الجسد مش له طاقة؟

قال: تطلب من ربنا أنه يُعطيك قوة ومعونة وهو يُعطيك، المسألة مسألة قلب "**يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِي**" (أم ٢٣ : ٢٦)، يعني يوم تصحى الساعة الثالثة فجراً وتحضر التسبحة وبعدها القداس الذي ينتهي الساعة التاسعة صباحاً ثم تنزل إلى عملك وربنا يساعدك في عملك.

قلت له: "الجسم محتاج راحة علشان كده أنا أحياناً أنام في القداس"، قال: الموضوع عايز عزيمة وجدية تقول في نفسك أنا ها أحضر التسبحة والقداس وحأقف في مكاني حتى نهاية القداس وتقف وقفة جادة، ربنا يُعطيك نعمة أنك تكون يقظاً حتى نهاية القداس، وبعد ذلك تعمل عملك بكل قوة ونشاط ده هو عمل النعمة معك.

القديس أرسانيوس مُعلِّم أولاد الملوك كان يقف من غروب الشمس حتى شروقها وهو يُصلِّي، ده مش كان إنسان مثلك! أنت تضع في فكرك كده ولا تلتمس الأعذار لنفسك ولا تشفق على جسدك، القديس أبو مقار الكبير يقول: "ليكن تعب جسدكم مشتاهكم ومحبوباً لديكم"، والقديس مار إسحق السرياني يقول: "هكذا لا يمكن أن يشفق المجاهد على جسده وتنجو نفسه من الهلاك"، حينئذ نعمة ربنا تشتغل معك وتعمل بفرح علشان تأخذ أجر وما تشتغلش وأنت متضرر ومتذمر على أخيك.

† سألته: ما هيَ حروب الراهب؟

قال: ربنا عارف أنك ضعيف علشان كده لما يرفع عنك الحرب تقول له: "أشكرك يا رب لأنك رفعت الحرب عني بسبب ضعفي وحقارتي".

† سألته: عن معنى الآية التي تقول: "يُعطِي الجَمِيعَ بسَخَاءٍ ولاَ يُعيِّرُ" (يع ١ : ٥).

أجاب: "يعطي بزيادة بدون معيار ولا مكيال".

† سألته: لو عندي طلب؟

قال: أي حاجة اطلبها من ربنا وكلمه كثيراً الأب دائماً يحب إن ابنه يُكلمه ويطلب منه.

† في نهاية اللقاء سألته: قدسك تنصحني بأيه؟

قال: لما تعمل عمل خير لا تذكره لأحد ولا تشتكي من أخيك وتقول أنا عملت الشغل وحدي وهو ما عملش حاجة زي ما قالت مرثا "**يَا رَبُّ أمَا تُبَالِي بأنَّ أُختِي**

قَدْ تَرَكَتنِي أَخْدِمُ وَحدِي؟" (لو ١٠ : ٤٠)، ثم قال لي تشوف احتياجات الآباء الشيوخ وتخدمهم، اللي عايز يخدم ربنا يفتح له مجال للخدمة، ثم قال اليوم اللي يعطي ربنا فيه تعزيات أو كلام منفعة وتفرح به تجد موقف صعب من عدو الخير بعدها.

❖ الحوار الثالث:

يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٣/١٠/٢٤م تقابلت مع أبينا الحبيب وأنا ذاهب إلى عملي فقال لي: علشان ماضيعش وقتك هتمَشّى معك حتى مكان العمل ودار الحوار التالي:

سألني: "إيه رأيك في بعض الأيقونات اللي بتطلع زيت في البيوت؟" أجبته: "عيب أقول رأي في وجود قدسك" ... قال: "في الأيام الأخيرة هيحاول الشيطان يضل الناس حتى باستخدام حاجات روحية.

✝ سألته: الخلاص صعب في هذه الأيام؟

قال: الخلاص بدون المسيح مستحيل، أما بالمسيح فالخلاص سهل جداً.

ثم سألني: كيف أتوب؟ قلت له: "قدسك تعلمني كيف أتوب"، فرد عليَّ قائلاً: "أنا بسألك"، قلت له: "بستان الرهبان يقول: سأل أخ شيخاً" فرد عليَّ قائلاً: "هيَ بالأيام! أنا أفنيت عمري في اللذات والشهوات، والسنين أكلها الجراد في بداية رهبنتي، كنت بقول لنفسي: "بأعمالي ليس لي خلاص" (القطعة الأولى من صلاة الخدمة الثالثة)، فتهاونت وفي النهاية قرأت في سفر الرؤيا أن ملكوت السماوات لا يدخلها زناة ولا عابدي أوثان فارتعبت ... وبعد إلحاح شديد أجابني على **سؤال "كيف أتوب؟"**

قال: "**تقول لربنا توبني يا رب فأتوب**".

قلت له: "يعني أطلب التوبة في صلواتي؟"

قال مار إسحق يقول: "من يظن أن هناك طريق آخر للتوبة غير الصلاة فهو مخدوع من الشياطين"، ثم قال: "اللي يتعب في الدير قديسين الدير يمسكوا فيه،

لما تشتغل في الدير بأمانة تقعد في قلايتك مرتاح، وربنا يرسل لك تعزيات وزيارات نعمة، ربنا مش بيعطي حاجة للكسالى ... أنت تظهر محبتك لربنا في شغلك وعملك وهو يُعطي لك ثبات في الدير، ثم قال الثبات في الدير من اللَّه، وحكى إن مرة واحد قام من تحت ستر الرهبنة ومشى من الدير يوم رهبنته.
قال ممكن العمل يكون مش مناسب لك وتقول أنا جاي الرهبنة علشان أشتغل في هذا العمل؟ دي أفكار يزرعها عدو الخير فيك، أنا بشتغل علشان آكل، مُعلِّمنا بولس الرسول يقول: "**من لا يعمل لا يأكل**"، وكذلك قال: "**حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان**" مش هبقى نايم في قلايتي وآكل، وأنا هنا في الدير بأعمل من أجل اللَّه مهما كان نوع العمل ... مطلوب منك الأمانة في العمل.

† سألته: كيف أعيش راهب بالحقيقة؟

قال: لازم تكون لك العين البسيطة التي ترى الناس كلهم أحسن منك، ولازم المسيحي يشهد لمسيحه، ولازم تعترف وتتناول باستمرار، وتعيش مع ربنا كل الوقت ... كل شيء في الطبيعة يُمجد اللَّه ... لازم توفق بين عملك وصلاتك تدخل إلى حجرتك في عملك وتصلِّي مزاميرك، كذلك وأنت شغال تُصلِّي ولازم تقرأ في الكتاب المقدس ويكون هدفك هو اللَّه، وتستفيد من الهدوء وبُعدك عن العلمانيين.

❖ الحوار الرابع:

في حوار مُسجَّل مع مجموعة من الآباء في قلاية أبينا الحبيب يوم الاحتفال باليوبيل الذهبي لرهبنته.

† سأله أحد الآباء: كيف يلتزم الراهب بأمانته في رهبنته؟

قال: لا يوجد تراخي أو تهاون في القلاية، حتى جسدك لا تلمسه، بستان الرهبان يقول أن الراهب لا ينظر إلى جسده، عدو الخير واقف بالمرصاد، التراخي والكسل يخلي الحرارة الروحية تنخفض، والاحتراس واليقظة تخلي

ترمومتر الحياة الروحية يرتفع حتى أخره، مضيعة للراهب أن يتراخي، فيجب ألا يُعطي فسحة من الوقت للعدو ويستفيد بكل دقيقة من وقته ولا يضيع وقته بقدر الامكان.

† سأله: ماذا أعمل في القلاية في يوم أجازة من العمل، بأكمل قانوني في خمس ساعات، فماذا أفعل في باقي اليوم؟

قال: هو أنتَ بتصلي لربنا ولا للناس! ١٩ ساعة في القلاية فاضي بعد تأدية القانون الروحي مش بتأكل مش بتنام! حتى في نومك "**أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي** مُستَيقِظٌ" (نش ٥ : ٢). أنام وكلام ربنا في فمي، أُكرر الصلوات حتى في النوم وأصحى من النوم وأنا بقول صلوات، ماجيش أقول أريح وأنام خمس دقائق العدو يجيبلي نوم عميق.

† سأله: ماذا أقول قبل النوم؟

أجابه اللحن اللي يعجبك، الترنيمة اللي تعجبك، تقرأ في الكتاب اللي يعجبك، عندنا وصية "**أن الراهب ينام على الكتب المُقدسة**".

† قال له أحد الآباء: قُدسك دائماً كنت تقول: الراهب مثل الجندي لا يترك سلاحه؟

قال: أيوه الجندي الذي يترك سلاحه في الحرب يُصاب، لازم تقدس فراشك قبل النوم، عدونا شرس وغير منظور يجي يوسوس في أُذنك ويلقي بسمومه وهو عنده سموم كثيرة، اطلب من ربنا إنه يكون معك في بحر هذا الليل واطلب منه المعونة وإنه يُرسل لك ملاكك الحارس وتُصلي حتى لو في سرك، المهم تطلب النجدة والمعونة تلاقي ربنا بعتلك ملاكك الحارس وممكن تنام بكلام اللَّه وتستيقظ بكلام اللَّه، بذلك تكون أرضيت ربنا، كيف أنام وأنا متهاون، طبعاً لا أنام إلا لما أرضي ربنا، كذلك عايزين تَحَفظ في القراءة، ابعد عن قراءة الجرائد والمجلات حتى يتقدس الفكر وتقضي فترة النوم في طهارة وعفة.

+ سأله أحد الآباء: الراهب مفروض الراهب ينام كام ساعة؟

أجابه بستان الرهبان يقول: الراهب العمَّال تكفيه ساعة واحدة، الراهب العمَّال يعني كل دقيقة مزامير عمَّال في الفضيلة وفي جيلنا هذا ممكن تنام من ٦ ـ ٧ ساعات، مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده قال: ممكن تنام ٦ ساعات مقسمين على ٣ مرات في اليوم، كل مرة ساعتين.

+ سأله أحد الآباء: هل فيه رهبان عمَّالين في أيامنا هذه؟

أجابه: يعلم اللَّه فيه رهبان عمالين، **فسأله: هل في ديرنا؟ فأجاب:** أيوه بس بياكل ويشرب باحتراس، يشرب الماء بمعيار، ويأكل الخبز بالميزان، ماكنش يقول أنيميا وريجيم.

+ سأله أحد الآباء: كيف أُميز هل المرض من الشيطان أم تجربة من اللَّه؟

أجابه: إذا كان في أفكار حلوة ومُتزنة يبقى من ربنا، ولو كان في تشويش وفيها جذب للأرض والأرضيات، تبقى من عدو الخير كله بسبب التهاون في رشم الصليب مش بنرشمه بجدية، لازم رشم الصليب يكون بالأصبع ولازم على كل الحواس بجدية على مداخل الفكر الأذن والعين والفم، القديسون يقولوا مفيش مانع إنه يرشم جسمه كله بالزيت، الواحد يرشم الصليب على أعضائه كلها علشان يكون مُحصَّن ضد العدو الشرير، ويستخدم زيت مسحة المرضي إن كان كاهناً وزيت القنديل وماء اللقان، وممكن قبل الرشم يقول صلوات من كتاب الطلبات اليومية.

+ سأله أحد الآباء: في بستان الرهبان كان فيه آباء يصومون بالأيام، يومين أو أكثر، دلوقتي هل فيه كده؟

أجابه: لو كان مفيش كان ربنا غضب على العالم وأفناه، يوجد أعمدة مثل إيليا النبي، وهناك سبعة آلاف ركبة لم تجثو للبعل، بعد كده يبقى لو مفيش ناس ساندة العالم كان العالم انتهى.

† سأله: مايتعبوش من الصوم؟

لا، جسمهم خفيف ويشعروا بمعونة في صومهم مثل القديسة مريم القبطية صامت وجاهدت حتى وصلت إلى درجة السياحة وكانت قاعدة في صحراء جرداء.

† سأله أحد الآباء في الدير: كيف أطمئن أني ماشي في الطريق الصحيح؟

لو كان الواحد بيعترف اعتراف طاهر كل حاجة بيقولها لأب اعترافه وأب اعترافه يوجهه في الطريق يبقى بذلك قطعت هواي وأسلك بإرشاد أب اعترافي، لازم تسمع كلام أب اعترافك، اللي يسمع كلام أب اعترافه رب المجد كلامه صادق ولا يسقط منه شيء "ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً في السماء"، اللي يعيش باعتراف طاهر مفهوش تذويق ولا تلوين ويكون أب اعترافه حلو السماء تستجيب له، واللي يكون بلا إرشاد يتعب قوي في رهبنته، اللي يمشي بدماغه يتعب.

الاعتراف هو حياتك، الإنسان الأمين تحس به السماء، أهم حاجة الطاعة والاتضاع يخرجوا الشياطين وتخلي الحياة حلوة والشيطان لا يلهو بك ولا يضحك عليك ويجيبلك فكر من هنا ومن هناك وأنت تائه إنما أكون صامد، لكن مش التواضع فقط لكن معه طاعة لكل الدير وخاصة رئيس الدير وأب الاعتراف، لأنه في طقس الرهبنة يجب أن تكون مُطيع لأب اعترافك حتى الموت، لازم ندوُر على أنفسنا هل نحن نعترف اعتراف طاهر حقيقي ولا في حاجات بنخبيها وحاجات بنقولها، اللي مش عايز تقوله هنا حايتقال فوق في السماء، لازم تعترف عن نفسك فقط ولا تذكر الآخرين.

† في نهاية اللقاء طلب الآباء الصلاة من أجلهم فصلى وقال: ربنا يُعطيكم قوة ومعونة وشدة ونُصرة.

✤ الحوار الخامس:

✝ سأله أحد الآباء: قدسك بتحب الرهبنة قوي!

قال: اللَّه يعلم إنني أتمنى إن أكبر قدر يأخذ بركة الرهبنة.

✝ سأله: ايه اللي خلاك تحبها كده؟

قال: لأنها حياة الإنطلاق مع ربنا، حياة متعولش فيها الهم.

✝ سأله أحد الآباء: إيه حدود الفلوس والقنية بالنسبة للراهب؟

على قد كفافه، يعني أنا تركت المال والقنية وأقتني في الدير! لما جيت الدير قولت أنا واللَّه وبس، لو دخلت فيها القنية ومحبة المال خلتها مش أنت واللَّه وبس، ساعات يكونوا هما وربنا في تنافس داخل القلب.

✝ سأله أحد الآباء: أعمل إيه في القلاية كيف أعيش الرهبنة صح؟

أجابه: تخلص قانونك الروحي، قال له: بخلصه بدون تركيز، أجابه: ممكن أسال قدسك سؤال ... أيه اللي يمنعني إني أعيش بتركيز، هل بعد ما تدخل القلاية حد بيطلب منك إنك تفتحها وتعملها قهوة.

✝ سأله أحد الآباء: ما هو المنهج الثابت لليوم الرهباني؟

خط سيرك من القلاية إلى الكنيسة ومن القلاية للعمل المُكلف به مفيش قعدات وزيارات.

✝ سأله: قدسك جربت الطريقة دي وريحتك؟

أجابه ممكن تقفل باب القلاية وتكون بتصلي ومنسكب أمام اللَّه وبتعمل الحاجات الحلوة، تفكر تطلع خمس دقائق من القلاية تضيع كل اللي عملته.

✝ سأله أحد الآباء: هيَ قعدة القلاية صعبة؟

أجابه: أيوه صعبة مين قال سهلة، عايزة تدريب وترويض للنفس، الطريق صعب مش سهل.

† سأله أحد الآباء: فيه علاج لحروب الشهوة والعظمة؟

أجابه: كلها لها علاج، الواحد يقول أنا بتحارب بخطية الزنا، أيوه يا سيدي .. ربنا في تصميمه للإنسان وضع في كل الخليقة هذه الشهوة لكن في واحد منضبط وواحد لا، في واحد يُعطي لبطنه ما لذ وطاب ويُعطي لفراشه وقت طويل وينام كثيراً ويحدث له أحلام، يبقى دلوقتي إيه معناها بستان الرهبان يقول احترس! يبقي احترس ولا أنام زي ما أنا عايز وآكل زي ما أنا عايز! الحاجتين دول بيثيروا حرب الشهوة وكذلك القراءة المُعثرة.

† سأله أحد الآباء: إيه اللي يمسح الشريط القديم اللي في دماغي؟

أجابه: بولس الرسول يقول: "لم تجاهدوا بعد حتى الدم"، الجهاد يمسح القديم بس جهاد معه اتضاع ووداعة، مفيش غير دول ... هما الأساس الذي تبني عليه، في حاجة اسمها الكبرياء النجسة يعني تصيب الشخص غير المتواضع ويتغلغل في النجاسة ويكون مغلوب من نفسه ويقول: أنا كده بأعبد ربنا في كل مكان، الكبرياء من ضمن الحاجات اللي تجيب حروب الشهوة ومعها الأكل الكثير والأكل اللذيذ والنوم الكثير والنوم على فراش ناعم.

† سأله أحد الآباء عن أمور فائقة للطبيعة؟

إجابة الحاجات دى تتعرف مع الوقت وبعد أن يتقن الراهب الاحتمال ويترك الملاججة والتذمر ولا يملأ الهواء كلاماً أثناء صلاته - أي يُصلي بدون فهم وبدون تركيز - ثم بعد ذلك يبدأ يفهم هذه الأمور ويتكلم ويسمع الأمور العالية تدريجياً.

† سأله أحد الآباء: لماذا قلت المعجزات والآيات في عصرنا؟

أجابه: بسبب قلة الإيمان بها.

† سأله أحد الآباء: ما سبب انتشار الأمراض العضوية والنفسية حتى في الأوساط الدينية؟

أجاب: لأن كل واحد بيقول لئلا يقول عدوي إني قد قويت عليه.

بعض التأملات والأقوال من مذكراته الشخصية(*)

كما قال القديس غريغوريوس الكبير: "**إن حلاوة التأمُّل تستحق مِنَا كل الحب، فإنها تحمل النفس فوق ذاتها لتحلق بها نحو السماويات، فتتحقق أن الأشياء الأرضية تستحق الإزدراء لتسمو نحو الروحيات وتغض الطرف عن الأشياء الجسدية الفانية**".

إن حياة الآباء القديسين تتلخص في مدى نجاحهم في **حياة التأمُّل** حيث أن السلوك بالروح غايته أن يتعلق الذهن بالإلهيات.

فنجد أن الآباء القديسين كانوا يحيون في جهادات عظيمة حتى يصلوا إلى **حياة التأمُّل**، كذلك فالتأمُّل يُعطينا الفرصة للتخلي ولو للحظات عن المعطلات والشوائب التي تعوق النفس للوصول إلى اللَّه.

التأمُّل يمنح النظرة الواسعة المدى، فإذا نظر الإنسان إلى نفسه فإنه يرى ماضيه وحاضره ومسئولياته، فنحن لا نستطيع أن نعرف حقيقة أنفسنا إلا بالتأمُّل، وكذلك لا نعرف اللَّه إلا بالتأمُّل في خيراته وعطاياه واحساناته.

عاش أبونا الحبيب في قلايته في حياة وحدة مع اللَّه، عاش فيها العمق الروحي **وحياة التأمُّل**، وكما قال القديس ايرونيموس: "**إن جهلنا بالكتاب المقدس هو جهلنا بالمسيح**"، درس أبونا الحبيب الكتاب المقدس دراسة مُتأنية وحفظ أجزاء كثيرة منها، كذلك تأمل في أجزاء كثيرة، في حياة الأنبياء الكبار والصغار .. في سفر الرؤيا .. في رسائل بولس الرسول التي كان يحبها ويحب كاتبها جداً، تأمل في العهد القديم وارتباطه بالعهد الجديد .. ثم سجل لنا في مذكراته التي كتبها في كشاكيله البسيطة زهيدة الثمن هذه الأقوال والتأمُّلات، وسنكتفي بالقدر اليسير منها لضيق المساحة.

(*) **ملحوظة**: هذه الكتابات وُجدت في قلاية أبينا الحبيب وبعضها من كتاباته الشخصية، والبعض الآخر كانت مقالات أعجبته وأثرت فيه فكتبها ليسترجعها من وقت لآخر.

✤ أولاً: الكتاب المقدس:

كيف ندرس الكتاب المقدس؟

١- الصلاة قبل وبعد القراءة.

٢- اقرأ بنفس خاشعة، أو وقوفاً.

٣- اقرأ بترتيب ونظام.

٤- تدوين الوعود والوصايا الإلهية.

٥- استرجع ما تقرأه في الصلوات.

٦- مراجعة الآيات التي قرأتها بالأمس.

٧- خصص للكتاب المقدس ساعة يومياً يفضل أن تكون صباحاً.

٨- اقرأ الكتاب المقدس كتلميذ وليس كمُعلِّم أو لكي تعلم به الآخرين.

- **كف جبابرة بابل عن الحرب:**

اللَّه يرسل لنا المعونة في الوقت المناسب فيجب الثقة باللَّه وعدم الاعتماد على النفس مع الصلاة، فلا نتضايق من الاضطهادات والافتراءات، فهيَ تأتي بنا إلى المجد الحقيقي، كذلك الآلام تؤول إلى أفراح.

- **لماذا يسمح الله بالشر؟**

١- بعد فساد طبيعة الإنسان أصبح وقوع الشر لا بد منه في حياتنا.

٢- لإظهار حسن الفضائل، فلولا قبح الشر لما ظهر حسن الفضائل.

٣- لو أمعنا النظر فيما يحدث لوجدنا ما نحسبه شراً ليس هو شراً على الاطلاق، فقد يكون موت شاباً مثلاً سبباً في رفع غضب اللَّه عنه إذ قد يحدث بسبب وجوده شرور كثيرة له وللمُحيطين به.

- **"فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ"** (١كو ١ : ١٨)

اليهود يرون في الصليب عثرة لأنهم يطلبون ملكاً أرضياً يهديهم مجداً زمنياً فوق كل الشعوب، وكذلك اليونانيين يرون في الصليب جهالة لأنهم يطلبون

مُعلِّماً فيلسوفاً يُقدِّم لهم الفلسفات الجديدة التي تشبع الفكر وحده، أما قوة الصليب فهيَ القوة المُحركة لتغيير أعماق الإنسان الداخلية وتجديدها، وقوة الصليب موضوع مقاومة ولكنه أعظم من أن يُقاوم، فهو يجتذب المقاومين للإيمان، وهو الذي حطم الموت وينهي قوة الشيطان.

- "**هكَذَا فَليَحسِبنَا الإنسَانُ كَخُدَّامِ المَسِيحِ ووُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللَّه**" (١ كو ٤ : ١).

١- خدام اللَّه ووكلاء أسراره هم أدوات مقدسة في يد اللَّه.

٢- ليس لهم قالب واحد بل لكل منهم موهبته التي تسلمها من اللَّه وله دوره المُكمل للآخر، فلا يجوز المقارنة بينهم أو المُفاضلة بين أعمالهم، فالكل مدعوون من اللَّه الواحد والكل لهم هدف واحد هو مجد اللَّه وخلاص كل نفس بشرية، ولكن خلاص النفس من اختصاص اللَّه وحده فلا بد من اختلاف المواهب، فنحن كرم اللَّه الذي غرسه بيمينه، ونحن بناء اللَّه الذي يقوم ببنائه ويود السُكنى فيه.

- "**هَئَنَذَا أَضَعُ فِي صِهيَونَ حَجَرَ زَاوِيَةٍ مُختَاراً كَرِيماً، والَّذِي يُؤمِنُ بِهِ لَنْ يُخزَى**" (١ بط ٢ : ٦).

السيد المسيح هو حجر الزاوية فيكم، فقد جمعكم من العالم ليُقيم منكم شعباً له والمسيح للَّه، إذ نصير جسد المسيح يُقدِّمنا للَّه أبيه الواحد معه في الجوهر عطية حبه الباذل على الصليب، بينما يعتز المسيح بنا لدي الآب "**أما أنتم فللمسيح**" فالمؤمن الحقيقي يُدرك تمتعه بالمسيح ويُسلم كل كيانه له فهو مُخلصه الذي مات من أجله، إذ يصير المؤمنين أبناء للمسيح فهو يحملهم فيه كأعضاء جسده الحاملين بره والمُقدسين بروحه القدوس، ولقد صالحهم مع الآب مُقدِماً دمه ثمناً لذلك، لهذا يتقدم بنا إلى حضنه إذ صرنا نحن أعضاء جسده فمن مِنَا يُدرك المهر الذي قدمه المسيح للكنيسة "**عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افتُدِيتُمْ لاَ بِأَشيَاءَ تَفنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ ... بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيبٍ ولاَ دَنَسٍ، دَمِ المَسِيحِ**" (١ بط ١ : ١٨، ١٩).

- **"وَلَكِنَّ الَّذِي يَحكُمُ فِيَّ هُوَ الرَّبُّ"** (١ كو ٤ : ٤).

لا تتعجل في إصدار حكم على الناس، لأن فحص القلوب هو من سلطان اللَّه وحده، وأيضاً اللَّه ترك الحكم إلى يومه العظيم **فلماذا تغتصب كرسي اللَّه بإدانة الآخرين؟**

- **"هَذَا وَإِنَّ مَنْ يَزرَعُ بالشُّحِّ فَبالشُّحِّ أيضاً يَحصُدُ"** (٢ كو ٩ : ٦).

لا يُعفي مسيحي من العطاء لأنه يئن مع آنات من هم أكثر منه تعباً واحتياجاً، فنعمة العطاء أعظم من إقامة موتى وعمل الآيات، فعند عمل المعجزات تكون أنت مديناً للَّه أما في تقديم العطاء تجعل اللَّه مديناً لكَ، وعلى أي الأحوال لا يوجد طريق أكثر أماناً من أن يخزن الشخص جزء من أمواله في أفواه الفقراء، فكل ما نُعطيه للفقراء فهو ربح لنا، أمَّا البخيل في العطاء فهو لص لأنه يحتفظ بالمال الذي تسلمه من اللَّه لكي يُعطيه للفقراء، فما يُقدِّمه الإنسان كعطاء سيزول وينتهي سواء قدمه أو احتفظ به، لكن ما يبقى هو البر الدافع للعطاء، إن قوة الرحمة خالدة عديمة الفساد ولا تهلك مُطلقاً، أما كل الأعمال زائلة، وثمرة الرحمة لا الأيام تمحوها ولا الموت.

✤ ثانياً: مواضيع روحية ولاهوتية:

† أنت كنيسة وأيضاً كاهنها:

١- الكنيسة هيَ بيت اللَّه، وأنت بيت للَّه يحل فيك روحه القدوس، إذاً أنت كنيسة ونحن جميعاً كنائس، ولعله من هنا سُمِّيت الكنيسة بأنها جماعة المؤمنين.

٢- أنت ليس مجرد كنيسة بل هيكلها وقدس أقداسها **"جَسَدكُمْ هُوَ هَيكَلٌ للرُّوحِ القُدُسِ"** (١ كو ٦ : ١٩).

٣- أنت كذلك منزل للآب والابن **"إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحفَظْ كلاَمِي ويُحِبُّهُ أَبِي وإِلَيهِ نَأتِي وعِندَهُ نَصنَعُ مَنزِلاً"** (يو ١٤ : ٢٣).

٤- المسيح يؤكد هذه الحقيقة أنك بناء وجدران وباب فيقول: **"هَئَنَذَا واقِفٌ عَلَى البَابِ وأقرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوتِي وفَتَحَ البَابَ، أَدْخُلُ إِلَيهِ وأَتَعَشَّى مَعَهُ وهُوَ مَعِي"** (رؤ ٣ : ٢٠).

٥- عرفت وتأكدت الآن أنك بيت اللَّه، فلعلك تقول مع المُرنم "**بَبَيتِكَ تَلِيقُ القَدَاسَةُ يَا رَبُّ**" (مز ٩٣ : ٥).

فالواجب وواجبك الأول أن تكون قديساً وتقدِّم للَّه ذبيحة التسبيح، فلو احتفظ كل واحد منَا بقداسته فلن تكون هناك حاجة بعد للإصلاح، يهتم الكثيرون بالآخرين أكثر من اهتمامهم بأنفسهم كأن نفوسهم ليست بكنيسة، فاخرج الخشبة من عينك، أولاً كن عظة صامته ولا تقم نفسك مصلحاً قبل الآوان.

† مضرة الكلام الموجع:

+ الفأس يقُطع بها الشجر فيعود ينبت، والسيف يُقطع به اللحم ثم يرجع ويندمل، أما اللسان لا يلتئم جرحه.
+ النصل من السهم يغيب في اللحم ثم ينزع فيخرج، والكلام إذا وصل إلى القلب لا يُنزع ولا يُستخرج.
+ لكل حريق مُطفئ، فالنار لها الماء، وللحزن الصبر، أما نار الحقد لا تخبوا أبداً.
+ الكلام الذي يلقي منه سامعه المكروه يُورث الحقد والضغينة، فلا ينبغي أن نسمي أشباه هذا الكلام كلاماً ولكنه سهاماً.
+ العاقل لا يجلب على نفسه العداوة، كما أن الذي عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السم.

† طقس يعني ترتيب:

النظام أمر طبيعي ولازم للشيء النافع والمُفيد مثل:

+ الأفلاك تجري في مساراتها وفق نظام بديع وقوانين صارمة (دلالة على وجود اللَّه).
+ النظام في جسم الإنسان فهناك أجهزة ثم أعضاء كل عضو يتركب من أعضاء أصغر منه، وكل الأجهزة تخضع للجهاز العصبي الذى يخضع بدوره لمحركه الأساسي وهو المخ.

+ النظام في العقل فهو يتكون من قوى وملكات مختلفة لكل منها عمل (تفكير ـ تخيل ـ تذكر ـ تعليل)، العقل لا يقبل المعلومات إلا مُرتبة ومُنسقة ومُنظمة.
+ مثال في العهد القديم: كان الكهنوت محصور في سبط لاوي وجعل الكهنة محصورين في بني هارون والعبادة لها نظامها ومكانها وشروط إتمامها.
+ مثال في العهد الجديد: السيد المسيح في معجزة الخمس خبزات وسمكتين أمر بجعلهم فرقاً (٥٠٠٠ نفس).
+ الطقوس لازمة لفائدة المؤمنين وتدبير الكنيسة ولنمو الحياة الروحية.
+ الطقس نظام روحي يؤديه المؤمن في الظاهر مُعلناً حقيقة إيمانه والطقوس هيَ التعبيرات الظاهرة للعقائد الإيمانية الباطنية وهيَ الوسيلة التي بها يشترك الجسم مع الروح في أداء العبادة.

† سر التوبة والاعتراف:

المؤمن الحقيقي المختبر والذي يعرف مقدار ضعف الطبيعة البشرية لا يجهل كم هو ضروري مُمارسة سر التوبة، واقتضت الضرورة أن يتكرر هذا السر إذ هو الفلك الثاني الذي به نخلص من طوفان الخطية، فهذا السر لازم لخلاصنا ويقوينا ويسلحنا ويُعطينا الرجاء، فإن من تنكسر بهم السفينة لا شك أنهم سيغرقوا إن لم يستعملوا لوحاً منها لوصولهم إلى الميناء بسلام، هكذا كل من دنس ثوب المعمودية إن لم يستعمل هذا الدواء الذي رسمه الطبيب الحقيقي فلا يُمكنه الخلاص، فلا تستبيح الشر وتسر به ولا تقطع الرجاء، فالذين يسرون بفعل السوء نهايتهم الحريق والذين يقطعون الرجاء يعدمون الحياة ويهلكون النفس مثل (قايين ويهوذا)، فضيلة التوبة فضيلة سماوية لأن الكتب الإلهية وعدتها بملك السماوات "**تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماواتِ**" (مت ٣ : ٢).

† مُجمل سر التوبة:

١ـ انسحاق (توجع القلب) وعزم على إصلاح السيرة.
٢ـ اعتراف بالفم في حضرة الكاهن (القاضي الشرعي).

٣- الالتزام بإيفاء ما يفرض عليه من قوانين روحية.
فالانسحاق يجعل القلب يخشع ومن الانسحاق يتولد التواضع في الجزء الأدنى من النفس الذي يحتوي على قوة الشهوة، وأيضاً من فوائد الانسحاق به نُقدِّم صلوات وأصوام وصدقة فتكون دائماً مقبولة لدي اللَّه "**ذَبَائِحُ اللَّه هِيَ رُوحٌ مُنكَسِرَةٌ. القَلبُ المُنكَسِرُ والمُنسَحِقُ يَا اللَّه لاَ تَحتَقِرُه**" (مز ٥٠ : ١٧)، فيجب أن نتمم هذا السر بتواضع وبانسحاق كثير لأننا نطلب الرحمة الإلهية، ويجب أن أعترف بجراحات نفسي وأركز على الشفاء منها بدلاً من إدانة أخي ويجب محاسبة النفس أولاً لكي أركز في خطاياي وأحصرها.

✝ العلم والعمل:

"**مَنْ عَمِلَ وعَلَّمَ فَهذَا يُدعَى عَظِيماً فِي مَلكُوتِ السَّمَاوَاتِ**" (مت ٥ : ١٩).
النصوص الشرعية قدمت العِلم على العمَل "**فَتشُوا الكُتُبَ**" (يو ٥ : ٣٩)، من المعلوم أن التفتيش لا يكون على شيء ظاهر، فالأمر يحتاج إلى بحث ونظر في أنفاس اللَّه **(الكتب المُقدسة)**، كذلك الإيمان علم هو "**إني عالم بمن آمنت**"، فالذي يعمل بدون عِلم تائه هو "**فَأجَابَ يَسُوعُ: أَلَيسَ لِهَذَا تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعرِفُونَ الكُتُبَ ولاَ قُوَّةَ اللَّهِ؟**" (مر ١٢ : ٢٤)، فالذي يجمع بين العِلم والعمل يُهيئ نفسه العاقلة لأسرار الروح القدس الذي حل عليه في وقت المعمودية المقدسة حسب استعداده ونموه، "**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلُّ كَاتِبٍ مُتعَلِّمٍ فِي مَلكُوتِ السَّمَاوَاتِ يُشبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيتٍ يُخرِجُ مِنْ كَنزِهِ جُدُداً وعُتقَاءَ**" (مت ١٣: ٥٢)، أجمع المتكلمين في الشريعة على أن المقصود بملكوت السماوات في هذه الآية هيَ الشريعة العُليا أي الذي يجمع بين علمها وعملها فيحمي نفسه وغيره.
اجتهد في طلب العِلم وواظب على التعليم، بل وبولس نفسه يجتهد في المطالعة "احضر الكتب ولا سيما الرقوق، اسكندر النحاس أظهر لي شرورا كثيرة ليُجازِه الرب حسب عمله" (٢ تي ٤ : ١٣)، لأن إسكندر النحاس قاوم أقواله، فبولس يطلب الكتب ليُقيم منها الحجة، وهذا رد على كل من يقول أن الإيمان والبساطة كافية بدلاً من التعمق في العلم، "**مُستَعِدِّينَ دَائِماً لِمُجَاوَبَةِ**

كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ" (١ بط ٣ : ١٥)، من المعروف أن بعض آباء البيعة لم يسلكوا طريق الزهد والرهبنة إلا بعدما أكملوا مع علوم البيعة العلوم الأخرى التي أُتيح لهم التعمق فيها.

† البتولية ... ما هيَ البتولية؟

ذكر الكتاب المقدس عن بتولية الجسد:

"لأنه ... يُوجَدُ خِصيَانٌ خَصَوْا أنفُسَهُمْ لأجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مت ١٩ : ١٢).

١- هيَ حفظ الإنسان نفسه بلا دنس في العالم. ٢- حفظ وصايا اللَّه.

وتنقسم إلى:

- ✓ **بتولية الجسد:** أن لا يقترب الإنسان إلى جسد غريب ولا يتدنس بجسد آخر.
- ✓ **بتولية الروح:** أن تكون روحه في بتولية كاملة مع اللَّه، أي يقترن باللَّه في قيامه وجلوسه ونومه ويقظته.

† رأي أبونا في الترانيم:

الترانيم تعزي إذا قيلت بروح الصلاة، أحياناً نقول إحنا رهبان إحنا هنا مش في مدارس الأحد، ده الترانيم والتسابيح تنعش القلب المُحب والروح، فلا تكبت الروح لأن في كبت الروح تفريغ القلب والعقل للشيطان، القلب يُفرغ فقط لكي يمتلئ بمحبة المسيح. الترانيم تبعث في أرواحنا الحب والاشتياق، وكذلك الترانيم والتسابيح سنسمعها في ملكوت السماوات ونعيش هناك حياة التسبيح.

† الاتضاع:

طريق الرهبنة الحقيقية هو طريق الاتضاع الخاص، مار إسحق السرياني يدعو الاتضاع وشاح الإلوهية، فالاتضاع أساس الحياة الرهبانية فنبتدي بالاتضاع ونستمر في الاتضاع حتى النهاية، إذ كيف يسقط الراهب المتضع! فرب المجد أطاع حتى الموت، فلنحذر من الكبرياء **"مكرَهَةُ الرَّبِّ كُلُّ مُتَشَامِخِ القَلبِ. يَداً لِيَدٍ لاَ يَتبَرَّأ"** (أم ١٦ : ٥).

كذلك الإنجيل يقول: "لَيسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى المِحرَاثِ ويَنظُرُ إِلَى الوَرَاءِ يَصلُحُ لِمَلَكُوتِ اللَّه" (لو ٩ : ٦٢)، فلا عودة للماضي ولا تسترجع حتى الفضائل بل نسترجع ضعفاتنا والموت والعذابات المعدة للخطاة بعد الموت.

مناجاة ...

يا كنز الرحمة ونبع الخلاص ...

لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بغيظك، ولا تحاكمني بحسب استحقاقي ...

اذكر يا رب عمل يديك، قلت أعترف للرب، نفسي ضلت وتاهت فتمررت وتهت في أودية العصيان فاروي عطشي من ينابيع المياه الحية، املأني بالرجاء والإيمان ...

سعادتي وراحتى فيك يا رب، اسرع لإماتة كل أهوائي الدنيئة، أعد الحياة لقلبي وأيقظ ضميري ...

شتت جميع خيالات العدو، أعطِنا أن نعمل للطعام الباقي للحياة الأبدية، أيها المسيح كلمة الآب أعطنا سلامك المملوء فرحاً ...

ولسان حالي يقول:

أمضي وتبقى صورتي ... فانظر إلى دنيا الغرور
لا ترتجو عودة إلى ... دار المآثم والشرور
وطني السماء ومجدها ... في ظل فاديَّ الغيور
حيث السلام مُرفرف ... فيها إلى كل الدهور

أطلب إليك يا سيدي يسوع المسيح
أن تُعطيني حسن الختام ... وغفران الذنوب والآثام
وأكون دائماً في حضرتك
أنت هو اللَّه الديان ... ارحمني يوم نصب الميزان
لأنك أنت ملك السلام

✤ ثالثاً: بعض الأقوال القصيرة:

† اعرض قضيتك أمام اللَّه والفهم من عنده، فاللَّه من محبته يُعطينا الفهم ونقول له: من فيض قلبك النابض بحبك للبشرية، ولا تمنع حبك عني، فأنت عالم باحتياجي.

† حب الكل، ولكن لتكن الثقة الكاملة في المسيح يسوع، ومهما كانت ثقتك في البشر فقد تشوبها شائبة.

† العالم أُبغضه وأسعى خلفه، هو عدوي وأنا أعمل معه، رائحته نتنة وأنا احتضنه، فأبكي على ابن الحرية الذي ربط عنقه ليتعبَّد لمُبغضه.

† الخشبة التي في عيني لم تثقل عليَّ، والقذى التي في عين أخي انظر باجتهاد إليها، لم يدنسني صديد جراحاتي، ومن عرق آخرين أنفر.

† الطاعة تتقدمها غربة كما يتقدم الزهر الثمر، هيَ جحود النفس وموت المشيئة.

† الأبدية ليست حياة مُستقبلية بعيدة لكن هيَ حياة نحياها هنا إذ أنها حاضر ملموس ومستقبل أكيد "**هَا مَلَكُوتُ اللَّهِ دَاخِلَكُمْ**" (لو١٧ : ٢١).

† الصليب هو محبة اللَّه، هو انتصار على الخطية، الراهب شخص مُتطهر من العالم وشهواته.

† نحن الرهبان تخلينا عن العالم فدعونا نتخلى عن شهواته أيضاً التي تربطنا بالعالم من جديد، فنحن صلبنا العالم بدخولنا الدير، فكيف نقول العالم صلب لي وأنا مُرتبط بأهوائه.

† المُحب لذاته يُجادل ويُحاور إلى أن يحول الخطأ إلى عقيدة.

† يسمح اللَّه بالتجارب المُحيطة بنا لكي تكون حارساً لنا، فالتجارب تسندنا وتجعلنا نعيش بروح الاتضاع لتذكيتنا فنعبر هذه الحياة محفوظين فيه.

† أعد قلبي لا للراحة بل أعده لقبول الآلامات، أخاف لئلا أصير أنا نفسي مرفوضاً، فأعد قلبي لا للنياح بل أعده لقبول الضربات.

† الكنيسة جاءت إلى العالم نتيجة حقيقة عظيمة هيَ صليب المسيح، ووضعنا في العالم أننا لا بد أن نحمل الصليب، فمهلاً أيها المتألمون!! إننا نسير في طريق الجلجثة.

✝ إن آلام المُخاض تتوقف فقط بنزول المولود من بطن أُمه، وعلى هذا القياس سوف نظل نتمخض حتى نخلع الجسد.

✝ الغفران تم بالفداء وهذا يرتبط بموت المسيح الكفاري على الصليب، فالصليب رمز المسيحية ومجدها ومجد الصليب كعاره تماماً.

✝ التثليث من أعمق أسرار الوجود، فلا عجب فهيَ تتناول طبيعة اللَّه، عقيدة أُعلنت بواسطة الوحي الإلهي.

✝ الزم السكوت فإن فيه السلامة، فإذا تكلمت فالكلمة ملكتني وإذا لم أتكلم ملكتها.

✝ العلم لا يتم إلا بالعمل، وإن العلم كالشجرة والعمل به كالثمرة.

✝ يُردد عن أحد الآباء أن العذراء قالت عن المسيحيين الحاليين: "إنهم حتى صلاة "أبانا الذي" مش بيصلوها كويس".

✝ لا تكن مثل دودة القز التي تصنع الحرير ولا تنتفع به.

✝ المواهب الروحية لا تُعطي بحسب الأعمال، إنما بحسب الاتضاع، والشهوات تكسر أنفسنا وتعلِّمنا الاتضاع.

✝ كلما زادت الضيقات إزدادت قوة شفائها، فالضيقات طريقنا إلى المجد، وكما قال القديس برصنوفيوس: "إنسان بلا ضيقات هو إنسان بلا خبرة"، أفراحنا في الأبدية تكون بمقدار تجاربنا وآلامنا هنا على الأرض.

✝ عند هجمات العدو علينا فلا بد من الاتضاع، نعرف ضعفنا ونتضع، وكذلك نلتجئ إلى اللَّه فهو مُعيننا في الضيقات (مز ٤٦)، وبذلك نتعلم كيف نسلك "باجتيازنا في الماء والنار" (مز ٦٦ : ١٢).

✝ الصليب يا إلهي كان في قلبك قبل أن تحمله على ظهرك، لأن الصليب يعني حبك وتضحيتك، وبذلك السيد المسيح لم يأتِ إلى العالم ليرفع عنَا الصليب لكن لكي يشترك معنا في حمل الصليب.

✝ كيف يخشى الموت من بلغ الموت بصلاته؟!

✝ الروح القدس حافظ طهارة مُحبيه.

✝ التوبة الرهبانية مخلوطة بالمرارة، ممزوجة بالدموع.

✝ الأكل بين الوجبات غير رهباني.

† صاحب الرحمة الذي نجى الفتية ودانيال لم يقبل أن يُنجي نفسه من الجلد والصلب وجاز فيه للنهاية، فأين أنت من هذه المشاعر! كيف تطلب وتئن من كل ألم وهو الذي سر بالآلام من أجلك.

† كل مرة أهنت فيها المسيح إكراماً أو خوفاً من الناس تتشبه ببيلاطس الذي أسلم المسيح خوفاً على مركزه. † الحفظ خزين الراهب.

† إهود القاضي كان يحسن استخدام السيف باليمين واليسار، وكذلك نحن يمكننا استخدام كل شيء بالطريقة التي تصب في مصلحتنا كالغنى والصحة والمرض والجمال والقوة والفقر والمدح والذم.

† جعلت الرب أمامي في كل حين.

اجعل شعورك إنك مُراقب وكأن هناك كاميرا في كل مكان أنت فيه، اشعر أن اللَّه يرافقك وينظر إليك في كل مكان وقد يساعدك على هذا بعض التصرفات، مثل أن تستأذن قبل دخول القلاية على اعتبار إنها ملك للَّه أو تستأذن قبل خلع ملابسك أو قبل النوم، وهكذا اجعل كل تصرفاتك باستحياء كمن يرى أحداً معه.

† اللَّه لا ينسى لك وقفة التسبحة ولا ميطانية وحتى دمعة واحدة من أجله.

† لا تتوقع المثالية من أي من كان.

† الرهبنة جهاد فردي، لا تُقارن نفسك بأحد وتذكر عبارة "اتبعني أنت".

† ابذل ذاتك من أجله كما بذلها من أجلك.

† التدقيق في الأشياء الصغيرة أول خطوة للتدقيق في الفضيلة.

† من نصائحه لتجنب الإدانة إذا رأيت شخص يخطئ قل: "ويل لك يا (اذكر اسمك) لأنه لو صُنعت في أخيك هذه القوات والعطايا والمواهب والنِّعم التي صُنِعَت فيك لكان تائباً في المسوح والرماد، ووصل إلى أعلى الدرجات".

† ينبغي أن يكون سعينا بجد واجتهاد في أيام عمرنا القليلة لئلا نُوجد في يوم موتنا غير مُثمرين فنموت بجوعنا نادمين.

† من منع نفسه من الكلام حفظ نفسه من الأوجاع.

† الذي يجمعه الراهب في شبابه يعزيه في كبره.

† لا نستسلم للجبن، ولا نخاف من أعداء نفوسنا، لئلا يطمعوا فينا.

مديح لأبينا القمص مكاريوس السرياني

من نظم الراهب صفنيا السرياني

من شيوخ الرهبان في دير السريان في هذا الزمان

أبونا مكاريوس السرياني

بركة غير محدودة حياته أنشودة من ولاد البابا شنودة

من البداية حتى النهاية راهب قلاية

واضع لنفسه قانون أن لأفكاره يصون فصار سرّاً مكنون

يا مثال في الجدِّية في الحياة الروحية فضائله مخفية

رجل الصلاة والصوم يجاهد ضد النوم حياته سر مختوم

في أيام الحصار في قلايته ليل ونهار حتى تعجب الأشرار

راهب بالحقيقة في قطع المشيئة والإرادة الجريئة

صاحب القلب الحاني والعمل الجواني والحُب المتفاني

تمسك بالثبات وإنكار الذّات من البداية للممات

عايش في حضور اللَّه لا يطلب سواه فهو مشتهاه

بالعمل والقول بحب اللَّه مشغول ثبات فاق العقول

للقديسين مِنَّا الثناء أحبَّ العذراء وأنبا مكاريوس قنا

مكاريوس الجديد صاحب النُّسك الشديد قد نال المواعيد

اذكرنا يا أبونا في صلواتك المضمونة يكون لنا معونة

تفسير اسمك في أفواه كل المؤمنين الكل يقولون يا إله

أبونا مكاريوس السُّرياني أعِنَّا أجمعين

الفهـرس

الموضـوع	الصفحة
تقديم نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس	٧
مقدمة المؤلف	٩
كلمة لا بد منها	١١
• **سيرة وحياة أبونا القمص مكاريوس السرياني**	١٢
+ ميلاده ونشأته	١٢
+ طفولته	١٢
+ صباه	١٣
+ شبابه	١٤
+ المرحلة الجامعية	١٧
+ دعوته للكهنوت	٢١
+ عمله	٢١
+ اشتياقه ودعوته لحياة الرهبنة	٢٢
+ ذهابه إلى دير أبي سيفين بطموه	٢٤
+ ذهابه إلى دير السريان	٢٥
+ زيارة والدته وإخوته له	٢٧
+ فترة الاختبار	٢٩
+ تلمذته لأب اعترافه	٣٠
+ رهبنته	٣٣
+ الأيام الأولى	٣٥
+ عمله في الدير	٣٦
+ نذوره الرهبانية	٣٨
+ الفقر الاختياري	٣٩

مديح لأبينا القمص مكاريوس السرياني

من نظم الراهب صفنيا السرياني

من شيوخ الرهبان في دير السريان في هذا الزمان

أبونا مكاريوس السرياني

بركة غير محدودة حياته أنشودة من ولاد البابا شنودة

من البداية حتى النهاية راهب قلاية

واضع لنفسه قانون أن لأفكاره يصون فصار سرّاً مكنون

يا مثال في الجدِّية في الحياة الروحية فضائله مخفية

رجل الصلاة والصوم يجاهد ضد النوم حياته سر مختوم

في أيام الحصار في قلايته ليل ونهار حتى تعجب الأشرار

راهب بالحقيقة في قطع المشيئة والإرادة الجريئة

صاحب القلب الحاني والعمل الجواني والحُب المتفاني

تمسك بالثبات وإنكار الذّات من البداية للممات

عايش في حضور اللَّه لا يطلب سواه فهو مشتهاه

بالعمل والقول بحب اللَّه مشغول ثبات فاق العقول

للقديسين مِنَّا الثناء أحبَّ العذراء وأنبا مكاريوس قنا

مكاريوس الجديد صاحب النُّسك الشديد قد نال المواعيد

اذكرنا يا أبونا في صلواتك المضمونة يكون لنا معونة

تفسير اسمك في أفواه كل المؤمنين الكل يقولون يا إله

أبونا مكاريوس السُّرياني أعِنَّا أجمعين

الفهـرس

الموضـوع	الصفحة
تقديم نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس	٧
مقدمة المؤلف	٩
كلمة لا بد منها	١١
• **سيرة وحياة أبونا القمص مكاريوس السرياني**	١٢
+ ميلاده ونشأته	١٢
+ طفولته	١٢
+ صباه	١٣
+ شبابه	١٤
+ المرحلة الجامعية	١٧
+ دعوته للكهنوت	٢١
+ عمله	٢١
+ اشتياقه ودعوته لحياة الرهبنة	٢٢
+ ذهابه إلى دير أبي سيفين بطموه	٢٤
+ ذهابه إلى دير السريان	٢٥
+ زيارة والدته وإخوته له	٢٧
+ فترة الاختبار	٢٩
+ تلمذته لأب اعترافه	٣٠
+ رهبنته	٣٣
+ الأيام الأولى	٣٥
+ عمله في الدير	٣٦
+ نذوره الرهبانية	٣٨
+ الفقر الاختياري	٣٩

+ العفة ٤١
+ الطاعة ٤٣
+ سيامته قساً ٤٤
+ استلام الذبيحة ٤٦
+ ترقيته قمصاً ٤٨
+ تزكيته للأسقفية ٤٩
+ فترة التحفُّظ ٥٠
+ بناء قلاية منفردة ٥٢
+ حديقة القلاية ٥٣
+ ذكريات يوم السيول ٥٥
• **فضائله** ٥٦
+ أولاً: الفضائل الإنجيلية ٥٧
+ ثانياً: بستان الرهبان وأقوال الآباء في حياة أبونا ٧٣
• **علاقته بالسماء والسمائيين** ٩٢
• **شفافيته** ١٠١
• **معجزاته** ١٠٦
• **قصته مع الأمراض** ١٠٩
+ الأمراض التي أُصيب بها أبونا ١١٠
• **الاستعداد للرحيل** ١١٤
+ أولاً: حياة التوبة الدائمة ١١٤
+ ثانياً: حياة السهر الروحي ١١٧
+ ثالثاً: حياة الغُربة ١٢٢
• **شهوة الانطلاق** ١٢٥
• **نياحته** ١٢٨
+ تكفينه ونقله للكنيسة ١٢٩
+ صلاة الجناز ودفنه ١٣٠

• **أحاديثه ومناظراته** ١٣١
+ الحوار الأول ١٣٢
+ الحوار الثاني ١٣٤
+ الحوار الثالث ١٣٧
+ الحوار الرابع ١٣٨
+ الحوار الخامس ١٤٢
• **بعض التأمُّلات والأقوال من مذكراته الشخصية** ١٤٤
+ أولاً: الكتاب المقدس ١٤٥
+ ثانياً: مواضيع روحية ولاهوتية ١٤٧
+ ثالثاً: بعض الأقوال القصيرة ١٥٣
• **مديح لأبينا القمص مكاريوس السرياني** ١٥٦

الراهب القمص مكاريوس السرياني (الطوباوي)

كان عموداً من أعمدة دير السريان.

قضى في الرهبنة أكثر من خمسين عاماً لم يخرج خلالها من الدير

إلا في أواخر حياته للعلاج عندما تكاثرت عليه الأمراض.

كان راهباً مثقفاً بالعلوم العالمية والدينية.

تتلمذ على أيدي آباء ذوي قامات روحية ورهبانية عالية مثل:

مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث، والمتنيح نيافة

الأنبا صرابامون أسقف ورئيس دير الأنبا بيشوي ببرية شيهيت.

كان يعيش في قلاية منفردة في حديقة الدير،

في نسكيات روحية عالية.

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العام